كتاب اليوم

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

كمال عبد الرؤوف



الدبابات حول القصر

(مذكرات لورد كيلرن عن ٤ فبراير ١٩٤٢)

كتاب اليوم

ثقافة اليوم وكل يوم
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

رئيس مجلس الإدارة :
إحسان عبد القدوس

رئيس التحرير :
دكتور قاسم فرحات

نائبا رئيس التحرير :
أمين محمد عدلي
عبد العزيز عبد العليم

العدد ٧٥
فبراير ١٩٧٤
المحرم ١٣٩٤

الإدارة : دار أخبار اليوم ٦ شارع الصحافة ت ٧٧٧٧٧ سبعة خطوط

الاشتراكات

البريد العادي

المجموعة الأولى ١,٢٠٠ مليم ج.م.ع واتحاد البريد العربي والافريقي

المجموعة الثانية ٢,٠٠٠ باقي دول العالم ..

المجموعة الأولى ٢,٠٠٠ مليم اتحاد البريد العربي والافريقي

باقي دول العالم ..

معافة بالقاهرة ت ٧٧٧٧٧ / ٧٧٨٦٠

كتاب اليوم
ثقافة اليوم وكل يوم

الدبابات حول القصر

بقلم كمال عبد الرؤوف

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

الغلاف بريشة الفنان

مصطفى حسين

الإشراف الفني

سعيد عارفة

قبل أن تقرأ هذه المذكرات

بقلم : إحسان عبد القدوس

ترددت طويـــلا قبل أن ننشر مذكـــرات اللورد كيلرن ، فالمذكرات تضع جميع الاحداث الوطنية وجميـع الشخصيات السياسية المصرية ، فى مستوى الاستهانة وفى قفص الاتهام بالاستسلام الكامل للاحتـــلال البريطانى الذى لم يفقد شيئا من سيادته حتى بعد معاهدة ١٩٣٦ التى كان المفروض أنهــا معاهدة استقلال تام ..

ولكن بعد مناقشات طويلة قررنا أن ننشر المذكرات ، لانها أولا تعبر عن نظرة رجال الاحتلال لشخصيات واحداث البلد الذى يحتلونه ، ونشرها يعتـــبر مساهمة فى الدعوة التى نطلق عليها شعار (اعـرف عدوك) .. ثم ان نشرها يعتبر تحذيرا لكل من يحاول التحالف مع الذين يحتلون بلده بانه سيفضح يوما ما بمثل مذكـــرات اللورد كيـلرن ، حتى لو افترضنا أن كل ما جاء فى هذه المذكرات كذب ..

ومن ناحية اخرى ، فان اللورد كيلرن تجاهل فى مذكراته، او ربمـــا كان لا يعرف ، ان فـــترة حكمـه فى مصر ،

والاسلوب الذى كان يتبعه فى ممارســـة سيادته ، هو الذى ادى فى النهاية الى ثورة ٢٣ يوليـــو •• فحادث ٤ فبراير المشهور، يوم حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين ، كان هو الدافع الاقوى الى تحريك الثورة الوطنية داخل الجيش ، وبدء قيام التنظيمات السرية بين الضباط والتى كان من بينها تنظيم الضباط الاحرار، كما كان هذا الحادث هو أقوى ضربة وطنية وقعت على رأس حـــزب الاغلبية الشعبية وهو حزب الوفد ، مما ادى الى أن فقد الحزب قوته وسلطاته الوطنية وزعامته الشعبية ، مما ادى بالتالى الى القضاء على النظام السياسى الذى كان يحكم مصر ••

واذكر ان اول مرة دخلت فيها السجن كانت بسبب اللورد كيلرن •• كان ذلك عام ١٩٤٥ ، وكانت الحرب العالمية قد انتهت ، وكانت الرقابة على الصـــحف قد بدات تخف ، فكتبت مقالا فى (روزاليوسف) بعنوان (هذا الرجل يجب ان يذهب) طالبت فيه بأن يخرج اللورد كيلرن من مصر لانه لا يعتبر نفسه سفيرا فوق العادة ، ولا حتى مندوبا ساميا ولكنه يعتبر نفسه حاكما ، ولانه هو الذى قام بتخطيط حادث ٤ فبراير •

وكانت هذه هى أول مرة فى تاريخ اللورد يهـــاجم فيها علنا وعلى صفحات الصـــحف المصرية ، وفوجئت بمصادرة روزاليوسف وجمعها من الشوارع ، ثم القبض على وادخالى السجن ولكن المفاجاة الاكبر هى ان رئيس الوزراء ايامهـــا كان محمود فهمى النقراشى ، وكان صـــديقا للاسرة وزميلا دائما فى الخط السياسى ، وكنت أنا شخصيا أثق فى وطنيته ونزاهته ، فكيف يقبض على الصديق الذى اثق فى وطنيته ويدخلنى السجن حمـــاية للسفير البريطانى •• وبريطانيـــا تحتل مصر ••

وقيل لى أيامها بعد أن خرجت من السجن ، ان النقراشى كان مضطرا ســـياسيا للقبض على حتى لا يثـير أزمة مع السفارة البريطانية ، ولكنى كنت فى بداية شبابى ، ولم اكن أستطيع أن أقبل التفريق بين الاجراءات السياسية والدوافع الوطنية ، وكانت هذه هى بداية التفكـــير الذى جمعنى مع تفكير كل الجيل السياسى الذى أنتمى اليه ، وهو الذى أدى الى رفض الكيان السياسى كله القائم فى مصر ، والذى كان يعتمد على النظام الملكى والاحزاب القائمة التى تمثل طبقة واحدة ، هى طبقة رأس المال الاقطاعى •

اى أن اللورد كيلرن كان أحد الاسباب التى ادت الى تأكيد الفكر الثورى ثم تحقيق الثورة• وهذا ما لم يعترف به اللورد كيلرن فى مذكراته ••

وأخيرا فقد مر على آخر الاحداث التى وردت فى المذكرات قرابة ثلاثين عاما ، وهى مـــدة كافية لتجعلها كلها أحداثا ملكا للتـــاريخ ، وليست أسرارا تمس الحيـــاة السياسية القائمة •• ونحن ننشرها للدراسة التاريخية فقط ، دون أن يكون من وراء نشرها قصد الحكم على الحياة السياسية فى مصر قبل الثورة ، ولا الحـــكم على الشخصيات السياسية التاريخية التى تردد اسمها فى هذه المذكرات •

احسان عبد القدوس

مقدمة

حكاية ٢ مليون كلمة!

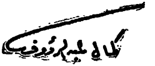
عندما وصل المندوب السامي البريطاني الى مصر في يناير ١٩٣٤، كان اسمه سير مايلز لامبسون ، وعندما رحل من القاهرة في عام ١٩٤٦ .. أي بعد ١٢ عاما قضاها في مصر كان اسمه لورد كيلرن. وطوال هذه الفترة كان يحتفظ بمذكراته اليومية كاملة . ومهما كانت الاجتماعات ، ومهما كانت العواصف السياسية كان السفير يجلس كل يوم ليملى على سكرتيره الخاص ملخصا لما جرى في ذلك اليوم .

وهكذا ترك لورد كيلرن سجلا كاملا يتألف من ٢ مليون كلمة تحكي الموقف السياسى فى الشرق الاوسط بوجه عام وفي مصر بوجه خاص اثناء الفترة التى قضاها السفير فى القاهرة ، وفى مذكرات كيلرن تظهر أسماء زعماء مثل تشرشل وروزفلت وديجول وايدن وتشانج كاى تشيك وجنرالات بريطانيا أثناء معارك العلمين والصحراء مثل ويفل وتيدر والكسندر ومونتجومرى ، وأسماء الزعماء العرب ومنهم الملك ابن سعود والرئيس السورى شكرى القوتلى ونورى السعيد ، وتظهر فى معظم المذكرات الشخصيات السياسية المصرية فى هذه الفترة وعلى رأسها الملك السابق فاروق ورؤساء الاحزاب والوزارات الذين كانوا يتغيرون بسرعة مثل أوراق الخريف .

وقبل تعيينه مندوبا ساميا فى القاهرة والخرطوم كان سير مايلز لامبسون سفيرا لبريطانيا فى الشرق الاقصى ، وآخر منصب تولاه قبل وصوله للقاهرة هو سفير بريطانيا فى الصين ، وقد عمل قبل ذلك فى طوكيو وصوفيا وسيبيريا • وبعد نجاحه فى الصين تقــرر نقله الى انقرة •• لكن سير أوستن شـــمبرلين وزير الخارجيـة البريطانى فى ذلك الوقت قرر ارساله الى القاهرة التى كانت فى نظر لندن أهم العواصم دبلوماسيا •

وهو من أسرة لها جذور امريكية وانجليزية واسكوتلاندية ، واسم لامبسون يرجع الى أحد أجداده الذى كان جنرالا فى جيش الرئيس الامريكى جورج واشنطن •• وعندما جاء الى القاهرة كان وحيدا بعد أن ماتت زوجته راشيل فى الصين سنة ١٩٣٠ ، وهى من أصل امريكى انجليزى ايضا ، وفى السنة الاولى بعد وصوله الى مصر تزوج مايلز لامبسون للمرة الثانية من جاكلين ابنة كبير الجراحـين فى الجيش الايطالى الذى منح الجنسية الانجليزية بعد ذلك • وقد انجبا ثلاثة ابناء هم فكتور وجاكيتا وروكسانا •• وجميعهم ولدوا فى القاهرة أثناء الحرب العالمية الثانية •

وفى هذه المذكرات يبدو السفير فى دور الشخصية الرئيسية • ويلعب الدور الثانى فيها الملك السابق فاروق الذى خلف والده على العرش عام ١٩٣٧ ، ويظهر فى المذكرات ممثـــلون ثانويون ومنهم أمين عثمان الذى بكى السفير يوم علم بنبأ مصرعه سنة ١٩٤٦ لانه كان رجل بريطانيا المخلص لهم دائما •





كيرن يجلس فى منتهى الوقاحة بجوار فاروق وبينهم زوجه السفير

غليان فى مصر ..

١٩٣٤

هتلر كان قد وصل الى كرسى الحكم فى المانيا •• والسفير البريطانى الجـديد سير مايلز لامبسون كان قد وصـل الى القـاهرة ، كانوا يسمونه المنـدوب السامى البريطانى ، فى القاهرة والخرطوم ، كان كل شئ يبـدو هادئا فى القاهرة ، وكان لامبسون سعيدا بهذا المنصب الجديد الذى ناله مكافأة على خدماته السابقة فى السلك الدبلوماسى البريطانى •

ولكن سحب الحرب كانت تتجمع فى المنطقـــة • والعواصف السياسية والعسكرية كانت على وشك أن تهب على الشرق الاوسط وافريقيا • وفى نهاية السنة الاولى من وصول لامبســـون الى القاهرة بدأت الحرب بين بريطانيا واثيوبيا (كان اسمها الحبشـــة فى ذلك الوقت) فى مدينة وال وال • وبينما كانت انظار العـــالم متجهة الى الحرب الدائرة عند أهم منابع النيل لم يكن أحد يتوقع أن ينزلق العالم بعد ذلك بـ ٥ سنوات (سنة ١٩٣٩) الى الحـــرب العالمية الثانية •

وبالرغم من أن الحرب بين بريطانيا والحبشة كانت تبدو بعيدة جدا عن القاهرة •• الا أن لندن كان ينتابها القلق خوفا عـــلى مصر التى كانت تعتبرها أهم دولة استراتيجيا وسياسيا فى الشرق الاوسط • وقد قال نابليون فى مذكراته عن مصر بالحرف الواحد : « انها أهم دولة فى العالم » •

وبعد افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ لم تفقد مصر شيئا من أهميتها رغم أن القناة قصرت المسافة بين أوربا والهند الى النصف تقريبا ، وكانوا يقولون فى أوروبا دائما : « ان الذى يسيطر على مصر يستطيع أن يسيطر على اقصر طريق بحرى الى الشرق والى الخليج العربى حيث يوجد البترول » •

وبعد نمـــو حركة الطيران فى العـــالم ازدادت أهمية القاهرة والاسكندرية كمحطات حيوية ليس فى الطريق الى شبه القارة الهندية فحسب بل الى شرق ووسط وجنوب القارة الافريقية أيضا •• ومن الناحية الاقتصادية كانت مصر مهمة أيضا بفضل ثروتها الزراعية ويعتبر وادى النيل من أخصب بقاع العالم ، وقبل اختراع الالياف الصناعية كان للقطن المصرى الطويل التيلة أهمية قصوى لكثير من المصانع الانجليزية •

وعن تاريخ مصر فى هذه الفترة تقول مقدمة مذكرات كيلرن :

كانت مصر عندما احتلتها القوات البريطانية عام ١٨٨٢ تابعـــة للامبراطورية العثمانية ، وكان ولاء الخديوى أو حاكم مصر فى ذلك الوقت موجها الى القسطنطينية . وظل الحال هكذا حتى انضمت تركيا الى المانيا فى الحرب العالمية الاولى ، وانتهزت بريطانيـــا الفرصة فاعلنت أن مصر محمية بريطانية وتم عزل الخديوى، وعينت بريطانيا أحد افراد أسرة محمد على حاكما على مصر ، ومنحته

لقب سلطان ، وكان الحاكم الفعلى لمصر فى ذلك الوقت هو لورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر •

وتوترت العلاقات المصرية البريطانية أثناء الحرب العالمية الاولى وبعدها • وانتشرت بعد الحرب فى مصر الافكار الجديدة مثل حق تقرير المصير • وطالب المصريون بانهاء الاحتلال الاجنبى والاستقلال الوطنى ، وأدى ذلك الى كثير من المتاعب والصعوبات لبريطانيا فى مصر •• وانتشرت الثورة فى البلاد سنة ١٩١٩ ، وقتل عدد من الجنود البريطانيين ، وظهر على المسرح السياسى فى مصر حـــزب الوفد •• وبدأت المفاوضات ، ولكنها لم تنته الى اتفاق •

وفى سنة ١٩٢٢ اعلنت الحكومة البريطانية من جانبها التصريح المشهور باستقلال مصر مع ٤ تحفظات ، اهمهـــا تأمين ســـلامة المواصلات الامبراطورية ، وكان معنى ذلك استمرار الاحتـــلال البريطانى لمصر ، واستمرار وجود القوات البريطانية هناك ، وبعد ذلك استمرت المحاولات فى سنة ١٩٢٨ و ١٩٣٠ لتوقيع معاهدة مع مصر تحدد العلاقات بين مصر وبريطانيا ، وجاء النحاس باشا ، ثم ذهب النحاس باشا • وجاء بعده اسماعيل صدقى باشا ، وفى سنة ١٩٣٣ سقط صدقى باشا وجاء بدلا منه عبد الفتـــاح يحيى باشا الذى كلفه الملك بتشكيل الوزارة الجديدة •

وفى هذا الوقت كانت الحياة السياسية فى مصر يسيطر عليها ويؤثر فيها الضغوط من ٣ مصادر :

(١) القصر : ويمثله الملك الذى ينتمى الى أسرة محمد على وهى من أصل البانى تركى ، وطبقا لدستور ١٩٢٣ فان الملك يملك ولا يحكم • ولكن الهواية الملكية فى ذلك الوقت كانت طرد الوزارة وتعيين اخرى بدلا منها •

(٢) الاحزاب : وكانت تعمـــل عن طريق البرلمان ومن خلال الجماهير ، وكان أقوى الاحزاب فى هذه الفترة حزب الوفد بزعامة النحاس باشا ، وكان خطيبا تستجيب له جماهير المصريين • ولكن القصر لم يكن يرتاح لحزب الوفد ويشك دائما فى نواياه ويعتبره تهديدا لسلطة الملك •

(٣) السفارة البريطانية : وهى آخر هذه المصادر الثلاثةللضغوط على الحياة السياسية فى مصر ولكنهـــا اقواها اثرا وذلك بسبب وجود القوات البريطانية فى مصر •

وعندما كانت هذه القوى الثلاث تتصادم أو تتصارع حول قرار معين كانت السفارة تحسم الامر معتمدة على القـــوة البريطانية مثلما حدث بعد ذلك فى حادث ٤ فبراير المشهور سنة ١٩٤٢ ، وكاد أن يتكرر مرة أخرى سنة ١٩٤٣ ، وفى الاحوال العــــادية كانت القوى الثلاث تناور وتساوم من أجل الوصول الى حل يوفق فيما بينها ، وكان مجال المناورة واسعا ، وكانت اللعبة يشترك فيهـــا الثلاثة الكبار وهم :

(١) السفير البريطانى •

(٢) الملك فؤاد فى ذلك الوقت وبعده ابنه فاروق •

(٣) الاحزاب وأهم زعمائها النحاس باشا فى هذه الفترة •

واستمرت العلاقات المصرية البريطانية فى تدهور بعد فشـل المفاوضات سنة ١٩٣٠ • وفى ٨ يناير سنة ١٩٢٤ وصل سير مايلز لامبسون الى مصر •• وفى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ (٠أى بعد وصول لامبسون بسنتين تقريبا) تم توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، وكان المؤرخ البريطانى ارنولد توينبى معجبا ببراعة لامبسون فى ابرام هـــذه المعاهدة •• اذ كتب توينبى يقول فى مجلة الشئون الخارجية :

« ما الذى جرى بين سنة ١٩٣٠ و١٩٣٦ وكيف تغير الجو هكذا فى مصر وتم توقيع المعاهدة ؟ •• لا بد أن نعترف بأن هناك عدة عوامل وراء معاهدة ١٩٣٦ ، وأولها ظهور مايلز لامبسون على المسرح خلفا لسير بيرسى لورين ، ان تاريخ العلاقات المصرية الانجليزية فى الاثنى عشر عاما الماضيـة كان حافلا بالمفاوضات الفاشلة ، ولكن سير مايلز لامبسون لعب فى هذه المرة دور العبقرى الطيب عندما وصلت المفاوضات الى ذروتها الدرامية •• أما العبقرى الشرير الذى ساعد على نجاح هذه المفاوضات فهو موسولينى طبعا •• فقد شجعت الحرب بين ايطاليا والحبشة المصريين على الاتفـــاق مع الانجليز » •

ويمكن تقسيم الاثنى عشر عاما التى قضـاها كيلرن فى مصر الى ٤ مراحل :

١ ــ المرحلة الاولى (١٩٣٤ ــ ١٩٣٦) وتم فيها توقيع معاهدة ٣٦ فى عهد حكومة الوفد •

٢ ـ المرحلة الثانية (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) بعد توقيع المعاهدة وحتى نشوب الحرب العالمية الثانية ٠

٣ ـ المرحلة الثالثة (١٩٣٩ ـ ١٩٤٢) بعد نشوب الحرب وحتى حادث ٤ فبراير المشهور الذى عاد فيه الوفد الى الحكم ٠ وبعدها بقليل انتصر الانجليز فى معركة العلمين وبدأ تيار الحرب يبتعد عن مصر ٠

٤ ـ المرحلة الرابعة (١٩٤٢ ـ ١٩٤٦) منذ معركة العلمين وحتى انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء ورحيل لورد كيلرن من مصر ٠

وقد ظهرت براعة لورد كيلرن الدبلوماسية فى المرحلة الاولى عندما أقنع حزب الوفد بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ ٠ كما ظهر فى المرحلة الثالثة تصميم كيلرن على فرض ارادته على الملك فاروق واجباره على استدعاء الوفد الى الحكم رغم أن جيوش روميل كانت تدق أبواب الاسكندرية ٠

وتقول المذكرات فى مقدمتها أيضا :

لقد انتقد كثيرون من المؤرخين فى مذكراتهم الطريقة التى عامل بها كيلرن فاروق أثناء أزمة ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠ وقال بعضهم ان السفير بدلا من أن يكسب فاروق الى صف بريطانيا كان يعامله كغلام صغير يستحق العقاب من حين لآخر ٠ وهذه ليست دبلوماسية ٠

ولكن كيلرن له رأى اخر قاله لبعض أصدقائه وهو على المعاش ٠ فقد اعترف لهم : « ان أكبر خطأ ارتكبته كان فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠ ليتنى أجبرت فاروق على التنازل فقد كنت لا أثق فيه ٠ وليتنى وضعت على العرش بدلا منه الامير محمد على فى ذلك اليوم » ٠

ودفعت البقشيش اللازم :

ترك سير مايلز لامبسون شنغهاى حيث كان يعمل فى الصين سفيرا فوق العادة لمدة ٧ سنوات واستقل الباخرة فى طريقه الى مصر ، وكان قد دفن زوجته الاولى راشيل فى هونج كونج وأقلعت السفينة فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٣ ووصل السفير الى المياه المصرية فى ٧ يناير ١٩٣٤ ليتولى منصبه الجديد ، كان الملك فؤاد ما زال على العرش ، وابنه فاروق لم يبلغ الرشد ، وكان ولى العهد

فى ذلك الوقت الامير محمد على الذى شارف على الستين ، ورئيس الوزراء عبد الفتاح يحيى باشا .

ومنذ اليوم الاول فى مصر بدأ مايلز لامبسون يدون مذكراته ، كتب يقول :

● الاحد ٧ يناير ١٩٣٤ :

وصلنا الى السويس ، وكان الجو باردا للغـــاية ، وكان فى انتظارى كمية بريد هائلة من القاهرة ، دفعت فواتير الرحـلة فى الباخرة وتركت للبحارة بقشيشا قدره ١٩ جنيها استرلينيا و١٠ شلنات ، دخلنا قناة السويس فى السادسة صباحا ، كانت القنـاة خالية تقريبا من السفن طوال الرحلة الى بورسعيد وتوقفنا فى الاسماعيلية نصف ساعة ، ووصلنا الى بور سعيد فى الخامسة والنصف بعد الظهر .

كان فى استقبالى فى بورسعيد رجال السفارة الذين جاءوا من القاهرة ، ووراءهم محافظ القناة وكبار مديرى شركة قناة السويس . وأثناء انزال حاجاتى من الباخرة جلست اتحدث مع رجال السفارة عن الحالة السياسية فى مصر ، وكنت لا أعرف شيئا عنها ، وكان الحديث الذى استمع اليه يبدو محيرا ، ولكنى كنت واثقا ان كل شيء سوف يكون على ما يرام بعد فترة اتعلم فيها كل شيء عن مصر . وركبت القطار الى القاهرة لاصل اليها فى اليوم التالى .

● الاثنين ٨ يناير :

وصلنا الى محطة القاهرة ، كان فى انتظارى هناك أيضا عدد كبير من المسئولين البريطانيين ومعهم رئيس الوزراء المصرى عبد الفتاح يحيى باشا الذى كان أيضا وزيرا للخارجية ، وظللت نصف ساعة أصافح الموجودين واتعرف على أسمائهم ، ثم وصلت الى السفارة والى المنزل الذى سأقيم فيه ، كان يبدو لاول وهلة قبيحا وفى الايام الاولى اضطررت الى اقتراض بعض الاطباق والاكواب من فندق سميراميس المجاور حتى ترتب ابنتى اثاثنا .

وبعد الظهر ذهبت لزيارة هرم زوسر المـدرج وتحـــدثت الى المهندس الفرنسى الشاب الذى كان يشرف على عمليـــات الحفر هناك . واذهلنى أن هذه الاحجار التى كنت أنظر اليها عمرها أكثر من ٥ آلاف سنة ، وتذكرت سور الصين العظيم ، ولكن كان يبدو

من الواضح ان قدماء المصريين اكثر فنا واحساسا بالجمال ، لم يكن هناك أثر لعملية قطع الاحجار ، كان كل شيء يبدو رائعا ناعما ودقيقا ، أما احجار الجرانيت الكبيرة فى سور الصين العظيم فانها لم تلق مثل هذه الدقة والاهتمام ٠

وكان هذا أول درس لى فى الحضارة المصرية القديمة ٠

● الثلاثاء ٩ يناير :

توجهت لمقابلة الملك فؤاد فى قصر القبة ٠ فى الطريق قال لي مستشارنا المالى ان هناك ٦٠٠ مستشار إنجليزى يعملون فى خدمة الحكومة المصرية ، وان ٢٠٠ من هؤلاء فى المناصب العليـــا ، واعجبنى قصر القبة للغاية وخصوصا حدائقه الجميلة ، استقبلنى الملك على الفور ، وكان يحاول أن يكون لطيفا معى ٠٠ وهو قصير القامة ممتلىء أكثر من اللازم ٠ وكان واضحا انه يهتم كثيرا بدهان شاربه بالشمع ورفع طرفيه الى أعلى ٠

وكان انطباعى العام بعد أول مقابلة مع الملك فؤاد انه شخص يسهل التعاون معه ، وانه قد لا يبدو ذكيا ولكنه عـــلى قدر من الدهاء ٠ وخيل الى انه قد يضعنا فى موقف حرج اذا اضطررت الى الدخول فى صدام معه يوما او اذا حاولت توبيخه ، وأخذت أسأل نفسى :

٠٠ ترى ما الذى يحدث مع هذا المخلوق اذا حاولنا أن نجعله يفعل شيئا لا يريده ؟

وآثرت أن أترك الايام تجيب على هذا السؤال فى الوقت المناسب

● الاربعاء ١٠ يناير :

لم يكد يمضى على وصولى الى القاهرة ٤٨ ساعة حتى نشبت اول أزمة بينى وبين المصريين ٠٠ قد ذكرت من قبل أن من بين الذين كانوا فى استقبالى بمحطة القاهرة عبد الفتاح يحيى باشا رئيس الوزراء ووزير الخارجية المصرى ٠ وجرى العرف الدبلوماسى أن يكون وزير الخارجية فى استقبال السفير ، ولكن عبد الفتاح يحيى قال انه كان فى المحطة بوصفه رئيسا للوزراء ، وأنه بهذه الطريقة يكون قد قام بزيارة المجاملة الاولى لى ، وأن على أن أرد له الزيارة فى مكتبه ٠

كان الامر يبدو أشبه بعاصفة فى فنجان • وحاولت تسويتها خارج نطاق القصر ، ولكن رئيس الوزراء المصرى تمسك بموقفه وصمم أن ارد له الزيارة في مكتبه ، وعقدت اجتماعا عاجلا فى السفارة لبحث الموقف ، وأجمعت آراء الحاضرين ألا أتراجع عن موقفى • وأن أرفض الذهاب الى رئيس الوزراء قبل أن يأتى هو أولا لزيارتى

وكلفت السكرتير الاول بابلاغ هـذا القـرار لرئيس الوزراء ، ولننتظر ونر ما الذى سيفعله • وكنت فى الواقع مستاء أن يحدث ذلك فى الاسبوع الاول بعد وصولى ، ورغم تفاهة الواقعة الا أن معراها كان كبيرا بالنسبة لى ، وكانت مثالا لما يجب أن أتوقعـه بعد ذلك من المصريين •

ومرت فترة انتظار ليست قصيرة ، وفى أثنائهـا سافرت الى بريطانيا لاجراء مشاورات مع الخارجيه ، ودعانى الملك للغـداء معه ومع ملكه بريطانيا ، كان الملك مهتما بأخبار مصر ، ولكنه لم يكن يوافق على طلب المصريين بجلاء القوات البريطانيه عن القاهرة والاسكندرية ، وطلب منى الملك أن أبلغ تحياته للملك فؤاد وأن اكتب له دائما بعد عودتى عن الاحوال فى مصر •

فنجان شاى مع فاروق :

● ٧ فبراير :

عدت الى القاهرة لاستئناف زيارات المجامـلة • قمت بزيارة الامير محمد على ، وزارنى السيده صفيه زغلول ، كما زارنى نشات باشا السفير المصرى فى برلين فى ذلك الوقت وفى بريطانيا بعد ذلك ، كما زارنى حاييم ناحوم الحاخام الاكبر فى مصر ، وبعده جاء امين عثمان افندى (لقبه فى ذلك الوقت وبعدها أصبح باشا) ؛ وهو خريج كلية فيكتوريا بالاسكندرية ودرس فى جامعة اكسفورد، وقد لعب دورا كبيرا أثناء المفاوضات لابرام معاهدة ١٩٣٦ ، كما أدى خدمات جليله لبريطانيا لتنفيذ المعاهدة فى الايام العصيبة أثناء الحرب العالمية الثانية • وكانت خسارة لنا عندما سقط بعد ذلك برصاص أحد المصريين •

● ١٩ فبراير :

- تمت تسوية الازمة بينى وبين رئيس الوزراء المصرى عبد الفتاح يحيى باشا ، فقد زارنى فى مكتبى فى العاشرة والنصف صباحا ،

ورددت له الزيارة بعدها بساعة واحدة ، ثم زرته مرة أخرى فى الثانية عشرة والنصف بوصفه وزيرا للخارجية هذه المرة ، وحتى أرد له استقبالى فى المحطة .

وانتهزت الفرصه وابلغت عبد الفتـــاح يحيى باشا ان ملك بريطانيا طلب أن يسافر ولى العهد الامير فاروق الى بريطانيـــا ليكمل تعليمه هناك ، وكان رئيس الوزراء المصرى متفهما ومتعاونا ولكنه أبلغنى ان الصعوبة الوحيدة أمام هذا الاقتراح ان الملك فؤاد قضى أيام شبابه فى ايطاليا . وتعلم هناك اللغة الايطاليـــة وانه يقاسى من عقدة أنه لم يتعلم اللغة التركية فى وقت مبكر . وان الملك فؤاد مصمم الا يقع ابنه فاروق فى نفس الخطأ ، ولهذا فهو مهتم جدا بتعليمه اللغة التركية منذ الان ..

وقال لى رئيس الوزراء ان الامير فاروق اذا سافر الى انجلترا فلن يستطيع أن يتقن اللغة التركية كما يريد الملك . وافهمته ان هذا الامر يمكن تسويته ، وان الامير فاروق اذا سافر ليدرس فى كلية ايتون فانه يمكن احضار مدرس يعطيه حصصا اضافية هناك فى اللغة التركية .

وبعد ذلك افهمنى رئيس الوزراء ان الملك فؤاد وافق على سفر ابنه فاروق الى انجلترا . ولكنه يفكر فى أن يؤجل الرحـــلة حتى يبلغ الامير ١٦ عاما ، وقد عارضت هذه الفكره بشدة ، وطلبت أن يسافر الامير فى أسرع وقت . وقال لى عبد الفتاح يحيى باشا انه أقنع الملك فؤاد أن الامير يجب أن يسافر كشاب عادى والا تذهب معه حاشية ملكيه حتى لا يفسد هناك ، ووافق الملك فؤاد على هذا الرأى .

● ٢٣ فبراير :

قابلت الامير فاروق لاول مرة فى استعراض للطيران ، ادهشنى انه لم يكن يبدو مدللا . ولكنه كان ضخم الحجم بالنسبة لسنـــه (١٤) وكان يبدو ساذجا ، فقد كان يضحك لكل نكتة يسمعها ، وكان يتحـــدث الانجليزية بطلاقة وبعد انتهاء العرض دعانا الى تناول الشاى فى خيمته الخاصة . وقضيت معه وقتا طويلا نتحدث عن رحلته القادمة لبريطانيا ليتعلم هناك .

النحاس على السلم :

● ٢٠ مارس :

اقمنا حفل استقبال كبيرا فى حديقة السفارة ودعونا اليه ٢٠٠ شخص تقريبا من بينهم جميع الزعماء السياسيين فى مصر بغض النظر عن الاحزاب التى يمثلونها ، وكان من الطبيعى أن يحضر النحاس باشا الحفل ، كان النحاس فى ذلك الوقت زعيما لحزب الوفد والسياسى الذى يتحدث عنه الجميع فى مصر • وكان مسليا لنا نحن اعضاء السفارة أن نراقب أثناء الحفــل كيف يتصرف النحاس وباقى الزعماء عندما يتقابلون فى الحديقة •

كان منظر النحاس باشا يبدو عجيبا • وعندما كان يصعد سلم السفارة كان ذيل البالطو الاسود الطويل الذى ارتداه خصيصا لهذا الحفل يهتز يمينا ويسارا ، وكان يتعمد أن ينفخ صدره وهو يقترب منى وكأنه يتحدى العالم ، وكنت اقف على قمـــة الدرج استقبل الضيوف وارحب بهم •

وبعد أن حضر الجميع نزلت الى الحديقة وتحدثت الى كل واحد من رؤساء الوزارات السابقين على انفـــراد •• وكان من بينهم النحاس باشا • وكان كل ما يهمه من الحديث أن يعرب لى عن قلقه لنقص تعليم اللغة الانجليزية فى مصر •• ولم يتطرق الحديث بيننا الى المســائل السياسية بالمرة ، وتحـــدثت بعــد ذلك الى اسماعيل صدقى باشا الذى كان صديقا مفضلا لسير بيرسى لورين سفيرنا السابق ، وتحدثت أيضا الى محمد محمود زعيم حزب الاحرار ، وبدا لى أن كلا من صدقى ومحمد محمود على درجة كبيرة من الذكاء وانه من السهل أن يخضعا عند الضرورة لتعليمات السفارة •

ثعابين فى السفارة :

عدت من رحلة الى مرسى مطروح والسلوم • وفى مرسى مطروح طلب حفيد السنوسى الكبير من ليبيا موعدا لمقابلتى (الملك السابق ادريس السنوسى) • وكان شابا ولكنه كان يبدو مختلفا عن الباقين •• وتحدثنا عن الحالة فى بلاده • وقال لى انه لاجىء فى مصر وانه استقر فى مرسى مطروح بعد أن هرب من طرابلس • وقرب نهاية الزيارة عرفت الغرض من قدومه •• فقد طلب منى أن أتوسط لدى وزارة الاوقاف المصرية لزيادة المعونة التى يتلقاها •• وقد وعدته بذلك .•

وبعد عودتى الى القاهرة اكتشفت انه يتقـــاضى من الاوقاف المصرية مرتبا شهريا قدره ١٨ جنيها • وكان عليه أن يعول أسرة كبيرة تتألف من زوجاته الاربع وعدد كبير من الاقارب • ويبدو أن الايطاليين كانوا قد استولوا على كل ممتلكاته فى طرابلس • ورفضوا أن يعطوه أى شىء من دخلها الا اذا عاد الى ليبيـــا • وسألته اذا كان مستعدا للعودة الى بلاده تحت حكم الايطاليين فأكد لى أنه لن يعود مطلقا الا اذا خرج (الطلاينة) وقد حرصت ان أدون فى مذكراتى هذا اللقاء مع واحد من أسرة السنوسى الذى سمعنا عنه كثيرا •

وكان أول شىء حرصت أن أفعله بعد عودتى الى القاهرة البحث عن طريقة لنتخلص من الثعابين الموجودة فى حديقة السفارة وفى البدرومات ، ونصحنى أحدهم أن أبحث عن ساحر مصرى متخصص فى استخراج الثعابين من جحورها • وفعلا احضر لى البـوليس رجلا مشهورا فى هذا المجال • وتوجهت معه الى الحديقة حيث استخرج من طرفها الشمالى ثعبانا كبيرا من النوع غير السام • وقال الرجل أن هـــذا النوع من الثعابين يعيش على العصافير • وتجولنا فى أنحاء الحديقة • ولكننا لم نجد شيئا بعد ذلك •

واقترح احد حراس السفارة أن نبحث فى البدروم ، وتوجهنا الى هناك • ووجـــدت المكان ممتلئا بالصناديق وحقـائب السفر المبعثرة فى كل مكان • وتوقف الرجل عند مكان معين وقال ان هنا ثعبانا كبيرا •• ومن المحتمل أن يكون من نوع الكوبرا • وبدأ الرجل يتلو أناشيده وينفخ فى مزماره حتى تمكن أخيرا من انتزاع الثعبان من خلف كومة من الخشب القديم • وكنت فى غاية الدهشة مما يحدث أمامى • وكان كل شىء يبدو حقيقيا لاننى اتخذت كل الاحتياطات ضد أى تلاعب • فقد قام حراس السفارة بتفتيش الرجل بدقة قبل دخوله حتى لا يخفى الثعابين داخل ملابسه ثم يزعم بعد ذلك انه أخرجها من المكان • كما طلبت من البوليس أن يحتجز حقيبته الجلدية الصغيرة وكان بها عدد من الثعابين •

وبالاضافة الى ذلك فان كل مكان كان الرجل يعثر فيه على أحد الثعابين كنا نرى بوضوح اثار الثعبان على الارض أثناء تجوله ليلا • ولهذا فانى مقتنع تماما ان الرجل قدم لنا عرضا حقيقيـا فى فن استخراج الثعابين • وهو شىء يدعو للدهشة والاستعجاب والاغرب من ذلك انه بعد استخراج ثعبان ثالث من نوع غير سام

فى بدروم المفوضية دعانا الرجل لمشـــاهدة قدرته فى التحكم فى الثعابين • وعدنا الى الحديقة • وأطلق الرجل ثعبان الكوبرا الذى اصطاده • وبحركة من يده كان الثعبان ينطلق مسرعا • وبحركة أخرى كان يتجمد فى مكانه وكان ذلك شيئا مذهلا • واذا كانت هناك فى الامر لعبة من أى نوع فانها لعبة جيدة • ولكنى شخصيا أعتقد ان ما رأيته كان حقيقيا •

غرام فى مصر •• وزواج فى لندن :

فى آخر يونيو ١٩٢٤ اسس الجميع الى الاسكندرية لقضاء فصل الصيف هناك • ولم يكن نقل السفارة وأوراقها والعاملين بها شيئا بسيطا • وقدمت الحكومة لى نفس القطار الذى كان فى انتظارى فى بور سعيد عند حضورى الى مصر لاول مرة • وهو أيضـــا القطار الذى سافرت فيه من قبل مرتين الى الاسكندرية• وكان مريحا للغاية • وكان الشىء الذى روعنى بعد وصـولنا الى الاسكندرية ازدحام الشواطىء بالناس • وبحثنا طويلا عن مكان مناسب حتى وجدناه فى أبو قير حيث كان يوجد معسكر لسلاح الطيران الملكى البريطانى •

وأثناء اجازة الصيف فى الاســـكندرية قابلت لورد ويلنجدون وزوجته وهما فى طريق العودة من بريطانيا الى الهند حيث يعمل اللورد نائبا للملك • وكعادة السيدات ابلغتنى ليدى ويلنجدون التى كانت تجلس بجوارى اخر الشائعات فى لندن سنة ١٩٢٤ : كان نجم أوستن شمبرلين فى صعود • وكان واضحا انه صاحب أكبر نفوذ سياسى فى بريطانيا فى ذلك الوقت • اما تشرشل فقد كانت أسهمه فى الارض بعد تصرفه بغباء فى مسألة الهنـــد • وانطونى ايدن يعتقدون انه لا بأس به • ولكن الاجانب رغم اعجابهم به لا يعتقدون انه ماهر فى لعبة السياسة •

وقالت لى ليدى ويلنجدون أيضا ان الناس فى بريطانيا لا يبدون أقل اهتمام بأخبار مصر •• وان اهتمامهم كله موجه الى الهند والورقة البيضاء التى تنوى الحكومة اصدارها • واعترفت لى ان بعض صحف بريطانيا تتهمها هى وزوجها بالرشوة والفساد • وقال لى زوجها انه اشترى على حساب حكومة الهند طائرة تتسع لعشرين شخصا ليستخدمها فى رحلاته الخاصة •

وتقول المذكرات :

فى ذلك الصيف حدث شيء لا ينساه السفير . فقد زارته فى مصر ابنة شقيقه بنى لامبسون ومعها صديقتها الانســـة جاكلين كاستيلانى . وهى ابنة طبيب مشهور فى شارع (هارلى ستريت) بلندن ويدعى سير الدو كاستيلانى . وظلت الاثنتان مع أسرة السفير طوال الصيف حتى عادت الاسرة الى بريطانيا لقضــاء اجازتهـا هناك . وقد وقع السفير ، وكان فى الرابعة والخمسين من عمره فى ذلك الوقت ، فى غرام الآنسة جاكلين . وكانت أصــغر منه سـنا بما لا يقل عن ٣٥ عاما . اذ أنها لم تتجاوز التاسعة عشرة فى ذلك الوقت .

وكانت جاكلين جميلة وجذابة . ومنذ أول لقاء دق قلب السفير لها . وظل هذا الغرام مشتعلاً بعد ذلك طول حياته . وقد تزوجا فى أواخر ديسمبر ١٩٣٤ بعد عودتهما الى انجلترا من مصر . وكان السفير يدعوها باسم الدلع الذى اختاره لها (جاكيتا) بدلا من جاكلين . وكان مغرما بهذا الاسم حتى انه أطلقه على ابنتهما الكبرى .

ويقول السفير عن يوم زواجه الثانى من جاكيتا فى المذكرات :

فى الرابعة بعد الظهر تمت مراسم الزفاف بكنيسة سان جورج بلندن . كنت أخشى أن تبدو على مظاهر القلق والتوتر . ولكنى كنت هادئا . وكانت جاكيتا تبتسم الى جوارى ونحن نوقع عقــد الزواج . وخرجت من الكنيسة وهى معلقة فى ذراعى بعد أن أعلن القس اننا أصبحنا زوجين .

١٩٣٥

موسولينى مصمم على الحرب :

تقول المذكرات : عاد المندوب السامى البريطانى الى مصر فى ٩ يناير ١٩٣٥ ليجد أن الملك فؤاد قد اقال وزارة عبد الفتاح يحيى باشا . وأتى بدلا منه بتوفيق نسيم باشا كرئيس للوزراء .

وقد وصف بروفيسور توينبى ذلك بأنه نقطة تحول فى الســـياسة المصرية . وقال ان التغيير يعكس فى حد ذاته تضاؤل نفوذ القصر . كما أنه يمهد الطريق لعودة القوى الوطنية الى الحكم .

ويقول المندوب السامي في مذكراته : عدت الى مصر لاجد الملك فؤاد مريضا للغاية في قصر القبـــة • وقالوا لي انه لن يستطيع التحدث معي اكثر من ١٠ دقائق • ولهذا كانت مفاجأة لي أن الملك ظل يحثني على البقاء حتى قضيت معه ساعة ونصف الســاعة ». والواقع انى تخلصت منه بصعوبة بعد كل هذا الوقت • وقد دونت في مذكرة بعثت بها الى لندن بعد ذلك أن الملك يبدو مريضا فعلا «. وان لونه سيىء للغاية • وان وجهه منتفخ وشاحب ولكن مظهره الخارجي كان افضل مما كنت أتوقع • وقد نقلت اليه تحيات ملك بريطانيا الذي تحدث عن الملك فؤاد في عبارات طيبة وتمنى له سرعة الشفاء • وطلب منى الملك فؤاد أن اشكر ملك بريطانيـــا على اهتمامه بصحته •

وفي أوائل الصيف بدأت مشكلة ايطاليا والحبشة (اثيوبيا الان) تتخذ ابعادا خطيرة • وفي شهر مايو زارني في السفارة والد زوجتي سير الدو كاستيللاني وهو من أصل ايطالي وقد منح بعـــد ذلك الجنسية الانجليزية • وكان مكلفا بالذهاب الى اريتريا للتفتيش على الترتيبات الصحية للقوات الايطالية في اريتريا والصومال • وبعد عودته من هناك قال لي ان موسوليني مصمم على الحرب في الحبشة • وتوجهنا معا الى مقر المفوضية الايطالية بالقاهرة لمقابلة وكيل وزارة المستعمرات الايطالي الذي كان يبدو لي من الجيل الجديد من السياسيين الشبان الذين لا يعرفون شيئا عن الاحوال الدولية •

وأذهلني هذا الايطالي عندما قال لي : لماذا لا تفعل بريطانيا مثل فرنسا وتوافق على الانضمام الى ايطاليا في حملتها في شرق افريقيا على أن يقتسم الثلاث بعـــد ذلك الغنائم معا • وأكد لي الرجل انه من ناحية ايطاليا فانها لن تمانع أن تأخذ بريطانيا بحيرة تانا التي تعتبر أحد المنابع الهامة لنهر النيل • وقال أيضا ان فرنسا سوف تأخذ نصيبها من هذه العملية في الصومال • وعندما سألت هذا السياسي الايطالي عن التزامات ايطاليا أمام عصبة الامم وفي معاهدتها مع الحبشة ظهر لي انه جاهل وانه رغم كل الابتسامات التي يثيرها يعتبر شخصا عاديا وليس من طراز خاص •

وأثناء عودتنا شكا لي والد زوجتي من احتمال تدخل موسوليني لاستدعائه للعمل مع القوات الايطالية في افريقيا • وقال أن ذلك سوف يعطل أعماله وارتباطاته في أمريكا وبريطانيا ومختلف انحاء

العالم بوصفه متخصصا فى أمراض المناطق الحـــارة وقد شعرت بالرثاء له فى ذلك الوقت وخاصة عندما قال :

ـ اذاحدث وكنت ايطاليا لاتحاول أن تقف فى وجه موسوليني.

وتقول المذكرات بعد ذلك : فى أواخر الصيف توجه المنـــدوب السامى لقضاء أجازته فى بريطانيا . ولكن الحـكومة طلبت منه العودة بسرعة الى القاهرة لتدهور الموقف بعد نشوب الحرب بين ايطاليا والحبشة وتدخل عصبة الامم فى الموقف .

ثروة فؤاد فى بنوك ايطاليا :

وفى أوائل أكتوبر ابحر الامير فاروق من رأس التين الى انجلترا لاتمام تعليمه هناك . كان يتحدث الانجليزية بطلاقه . وكان يبدو كغلام انجليزى ممتلىء قليلا . واعتقد انه مدين بالكثير لمربيته الانجليزية مسز نايلور التى جعلته يبدو هكذا . وكان يبدو عليه السرور لرحلته الى بريطانيا .وقلت له ان الشعب البريطانى سوف يرحب به. والواقع اننى تاثرت به .. فقد كان يبدو شابا لطيفا فى ذلك الوقت .

وفى نوفمبر مر بالقاهرة صديقى فيلبى . وهو مؤلف ومستكشف بريطانى كان يبدى اهتماما بالعالم العربى . وهو والد كيم فيلبى رجل المخابرات البريطانى الذى هرب الى الاتحاد السوفيتى فى أوائل الستينات . وقال لى فيلبى انه فى طريقه للمملكة العربيـة السعودية بعد جولته بالسيارة هو وزوجته فى شمال افريقيا . وقال انه لم يلحظ أية تحركات عسكرية للقوات الايطالية فى ليبيا حتى وصل الى مرسى مطروح فوجد المنطقة كلها تعج بالنشـــاط العسكرى .

واقترح فيلبى أن أقوم بزيارة للسعودية فى يوم ما وأقابل الملك ابن سعود . وقال ان هذه الزيارة قد تكون شيئا مفيدا لبريطانيا . وكنت أود كثيرا أن أقوم بهذه الرحلة ولكنى اضطررت الى تذكيره ان وزارة الخارجية فى لندن لا يهمها كثيرا أن يقوم ممثلها فى دولة ما بزيارة الدول المجاورة . وفوق ذلك فان العالم كله يعرف قصة العداء بين الملك فؤاد والملك ابن سعود .

وكان الملك فؤاد يطمح بعد تفكك الامبراطورية العثمانية أن يصبح خليفة المسلمين . ولكن الملك ابن سعود حرمه من هذا اللقب .

ولهذا كان يشعر نحوه بمرارة شديدة • وقلت لفيلبى اننى اذا قمت بزيارة السعوديه فى ذلك الوقت ووقابلت الملك ابن سعود فان الملك فؤاد لن يكون سعيدا بذلك • وسوف تثور الشكوك فى رأسه • ووافقنى فيلبى على ذلك •

وزارنى بعد ذلك رجل الاعمال روبرت رولو • وأثناء حديثنا معا علمت منه أن الملك فؤاد دعاه الى الاسكندرية عندما سمع نبـأ عودته من أوربا • وقال لى ان الملك فؤاد فى صحه جيدة الآن وانه شفى من المرض • وعلمت اعرف ان رولو يعمل كوسيط مالى للملك فى عدة صفقات • وانه كان صديقا حميما للملك قبل أن يجلس على عرش مصر • وظل الحال هكذا بعد ذلك •

وكانت مفاجأة لى عندما أخبرنى رولو ان الملك فؤاد رجـــل ثرى للغاية • وان الملك كلفه أخيرا أن يشرف شخصيا على عملية نقل ٤٠٠ الف جنيه استرلينى باسم الملك الى ايطاليا • وقال لى رولو انه لا يعرف اذا كان الملك قد نجح فى اخراج هذا المبلغ ومبالغ أخرى مماثلة أودعها هناك وخاصة ان الحرب بين الحبشة وايطاليا جعلته يخشى على ثروته فى بنوك ايطاليا •

وعندما ابديت دهشتى من الارقام التى ذكرها رولو قال لى ان الملك فؤاد يجنى ثروة طائلة سنويا من أملاكه الزراعية • كما انه لجأ أخيرا الى المتاجرة فى الاراضى • فكان يشترى بأسعار منخفضة ويبيع بأرباح خيالية • وقد ظل رولو مسئولا عن الاحوال المالية للملك فؤاد فترة طويلة • وبعد ذلك جاء مكانه الابراشى باشا الذى سيطر على كل شىء عندما عينه الملك رئيسا للديوان الملكى •

١٩٣٦

شاى •• ومفاوضات :

فى هذا الجزء من المذكرات يتحدث لورد كيلرن عن أهم سنة فى حياته فى مصر • وهى سنة توقيع معاهده ١٩٣٦ • وتقول المذكرات ان نسيم باشا استقال فى ٢١ يناير من هذا العام •• وان النحاس باشا رفض تشكيل حكومة ائتلافية • وتتحدث المذكرات عن المظاهرات المعادية للانجليز والاحتلال فيقول كيلرن ان أعمال (العنف) تجددت بين طلبة الجامعات والمدارس •• وان الاطفال فى المدارس الابتدائيه اشتركوا فيها أيضا •

وتتحدث المذكرات بعد ذلك عن الظروف التى أدت الى عقـد معاهدة ١٩٣٦ فتقول ان القوى الوطنيه فى مصر التى كان يمثلها الوفد والنحاس باشا كانت قد الحت عن طريق نسيم باشا رئيس الوزراء قبل استقالته انها مستعدة للاتفاق مع بريطانيا • وفى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ تشكلت جبهة متحدة من جميع الاحزاب • وكان من الطبيعى أن تضم الجبهة حزب الوفد • وبعد ذلك ـ كما جاء فى المذكرات ـ ابلغ زعماء الاحزاب سير مايلز لامبسون (المندوب السامى البريطانى) انهم مستعدون للتفاوض مع بريطانيا للوصول الى معاهدة تحكم العلاقة بين البلدين • وطلب الزعماء أن تكون مسودة مشروع معاهدة ١٩٣٠ التى فشلت تماما أساسا للمفاوضات الجديدة •

وفى ٣٠ يناير ١٩٣٦ شكل على ماهر باشا ـ بموافقة الوفد ـ وزارة محايدة • وكان من ضمن بنود الاتفاق بين الزعماء المصريين أن يرأس النحاس باشا وفدا يمثل جميع الاحزاب المصرية ، وأن يتولى هذا الوفد المفاوضات من أجل المعاهدة •• على أن يتم بعد ذلك اجراء الانتخابات العامة فى شهر مايو •

وفى أواخر شهر يناير من هذا العام توفى الملك جـورج ملك بريطانيا • وخلفه ابنه أمير ويلز • ويشير المندوب السـامى البريطانى الى ذلك فى مذكراته فيقول :

ان هذه أسوأ لحظة فى تاريخ بريطانيا • فاننا أحوج ما نكون الى يد حكيمة تقودنا فى هذا الوقت العصيب •• ليس فقط بسبب المشكلة المصرية الصغيرة نسبيا ، ولكن لحماية مصالحنا فى العالم كله •

وبعد ذلك يتحدث المندوب السامى البريطانى عن مفاوضـات معاهدة ١٩٣٦ فيقول فى يومياته فى ٢ مارس ٣٦ بالقاهرة : فى الساعة الثالثة و٤٠ دقيقة بعد الظهر توجهنا الى قصر الزعفران فى رتل من السيارات لبدء الجلسة الافتتاحية لمحادثات المعاهدة • وكالعادة فى مثل هذه الامور كان التنظيم جيدا وسار كل شىء على ما يرام • والى جانب أعضاء الوفـدين المصرى والبريطانى فى المحادثات كان هناك حوالى ١٥٠ شخصا آخرين معظمهم من أعيان المصريين وكبار المسئولين الاجـانب •• وأيضا عدد كبـير من الصحفيين •

وفى الجلسة الافتتاحية تقرر الاكتفاء بخطبتين فقط : احداهما لى والاخرى للنحاس باشا • وهنا ايضا سارت الامور على ما يرام وقد لا يعنى ذلك الكثير • ولكن احساسى كان ان الجانب المصرى يظهر شيئا من الود فى بداية المحادثات • وبعد القــاء الخطب تأجلت المحادثات • ونزلنا جميعا الى الحديقة لتناول الشاى فى الظل تحت اشجار النخيل ومرة أخرى كان النظام جميلا • ولا شك أن المصريين يجيدون مثل هذه الترتيبات • وقد جلست وانا أحتسى الشاى الى جوار النحاس باشا • وعلى الجانب الاخر كان يجلس الى جوارى زيور باشا •

ولم نتحدث ـ النحاس وانا ـ عن المعاهدة فى هذا الجو • فقد كان كل منا يستعد للجولة القادمة بعد اسبوع •

ثم مات الملك فؤاد :

وهكذا بدأت مفاوضات معاهدة ١٩٣٦ • ولم يكن احد يجرؤ على التكهن بالنهاية التى ستصير اليها • واعتقد ان الغالبيـــة العظمى لم تكن تأمل فى اى نجاح للمفاوضات• ولكنى شخصيا لم أكن واثقا من هذا الرأى • فعلى عكس جميع الاحتمالات كان لدى شعور خاص أو احساس معين بأن فرصة نجاح المفاوضات اكبر بكثير مما يمليه العقل •

واثناء المحادثات مات الملك فؤاد فى ٢٨ ابريل الساعة الواحدة و ٢٠ دقيقة بعد الظهر • كنت فى ذلك الوقت أتناول طعام الغداء عندما استدعانى سكرتيرى الخاص وابلغنى ان على ماهر باشا اتصل تليفونيا لابلاغى ان الملك فؤاد قد مات • وارتديت ملابسى الرسمية للحداد على عجل وتوجهت الى قصر القبة فى الثالثة بعد الظهر • وقابلنى ذو الفقار باشا كبير الامناء • ونقلت اليه تعزيتى • كما ابلغته ان الجميع يعرفون مدى اخلاصه وولائه للملك الراحل •

ومن قصر القبة توجهت الى مقر رئاسة الوزراء لتعزية عـــلى ماهر باشا • وهناك وجدت اضطرابا ظاهرا بين الوزراء الــذين كانوا يجرون هنا وهناك مثل الفراخ المذعورة وكان من الواضح انهم لا يدرون ماذا يفعلون • وكان على ماهـــر باشا ما زال فى القصر • فجلست فى انتظاره وانتهزت الفرصة فتحدثت الى الوزراء فى اجتماع ضمهم جميعا عن أسف الحكومة البريطانيــة واسفى الشخصى لوفاة الملك • وانضم الى بعد القاء هذا الخطاب الرسمى

على ماهر باشا الذى كان من الواضح انه تاثر بشدة لموت الملك فؤاد لانه كان من المخلصين له .

وفى جنازة الملك فؤاد سرنا خلف النعش الذى خرج من قصر عابدين . وكان على ماهر والامير محمد على الذى كان يمثل فاروق خلف النعش مباشرة . وبعد ذلك الامراء ثم الدبلوماسيون الاجانب ومن بينهم انا . وخرجنا من القصر الى الشارع الرئيسى وظللنا نمشى خلف النعش المحمول فوق عربة مدفع ببطء قرابة ساعتين حتى وصلنا الى مسجد الرفاعى .

وطوال الطريق كانت تضايقنى اصوات النســاء وهن يولولن وخاصة فى شارع محمد على . وقال لى صدقى باشا الذى كان يسير بجوارى ان هذا (الصوات) ليس من الاسلام فى شىء . وافزعنى اكثر من ذلك منظر الذبائح التى احضروها وذبحوها امامنا فى الشارع . ولم انس بعد ذلك بسهولة هذه الحيــوانات وهى تصارع الموت والدماء تغطى الشارع حول اقدامنا .

وعند المسجد حيث كان الملك فؤاد سيدفن بعد ذلك جلسنا فى الخيمة الى جوار المسجد فى انتظار انتهاء الصــلاة على الميت . وجلس الى جوارى الامير محمد على وأخذ يحدثنى عن حقه فى الوصاية على العرش . وكنت متحفظا فى الحديث ولكنى اعطيته الانطباع بأن طلبه سوف يتحقق . وبعد انتهاء دفن الملك عاد كل منا الى منزله . وكانت اقدامى تؤلمنى للغاية وأصبت (بكالو) فى اصابع القدم . وتساءلت ما الذى فعله المتقدمون فى السن مثل ذو الفقار باشا . وعلمت انه مشى لمدة نصف ساعة فقط فى الجنازة وبعد ذلك حملته سيارة الى المدافن وعادبها الى منزله .

واخذت افكر : ترى ماذا يحدث بعد وفاة الملك فؤاد ؟

كان على ماهر فى الفترة الاخيرة قد اقنع الملك فؤاد أن يغمــد سيفه وأن ينسى خلافاته الشخصية والعداء الذى كان يكنه لبعض زعماء الاحزاب . وكان على ماهر هو الذى اقنع الملك قبل وفاته بشهور قليلة أن يصدر بيانا وطنيا الى الامة وأن يؤيد فكرة الجبهة المتحدة للاحزاب التى كانت ستتفاوض مع بريطانيا . وهكــذا تحسنت صورة الملك قليلا فى آخر ايامه .

والشىء الذى كان يعنينى هنا كممثل لبريطانيا ان الملك فؤاد رغم أنه كان فى نظرى زبونا سيئا أحيانا الا أنه كان عاملا مهما جدا فى الوقف لاننا كنا نستطيع أن نجعله يتصرف كما نريد فى النهاية .

والواقع انه كان أشبه بســـتار أخير بيننا وبين أحـــزاب مصر السياسية • وأى تصرف كنـــا نريده كان من الممكن أن يتم عن طريقه • والان •• بعد أن مضى فانى أعتقد ـ بل انى واثق ـ اننا مقدمون على فترة صعبة ومرهقة • كما أن وجود الملك فاروق وهو شاب لم ينضج بعد لن يجعل الامور أسهل • وبكل صراحة لست أدرى كيف نتصرف • ولكنى سوف أترك الامور للزمن ، ويكفى ما لدينا من مشاكل الان •

وفى ٦ مايو أى بعد وفاة الملك فؤاد بحوالى اسبوع عاد الملك فاروق الى مصر • وقد استقبلته فى المحطة ، وكان هناك عـــدد كبير من الاعيان • وقابلنى على باب المحطة الامير محمد على ويوسف كمال • ووسط طلقات المدافع وازيز الطائرات التى كانت تحيى الملك الصغير وصل فاروق وكان يبدو عليه التعب والارهاق وأثناء مصافحتى له قال لى انه كان مسرورا للحفاوة التى لقيها فى لندن • وطلب منى أن أبلغ أصـــدقاءه هناك شكره وعرفانه بالجميل• ثم مضى ليصافح الطابور الطويل الذى كان فى انتظاره•

وسرنا خلف الملك الجديد • وكان الى جوارى حسين صبرى محافظ الاسكندرية وشقيق الملكة نازلى وخال الملك فاروق • وفى الطريق من رصيف المحطة الى سيارتنا قال لى حسين صبرى ان فاروق يشعر بصدمة لوفاة أبيه ولكنه بدأ يدرك واجباته كملك • وقال ان القطار تباطأ فى احدى المحطات فى الطريق من الاسكندرية للقاهرة • ولكن الجماهير كانت تهتف لعلى ماهر • فانسحب الملك فاروق وترك على ماهر يحيى الجماهير •

وابلغت حسين صبرى ان فاروق مقدم على أيام عصيبة • وانه فى حاجة الى شخص يعتمد عليه • وقلت أيضا ان الموقف سيكون صعبا وان عليه أن يبلغ الملكة نازلى انها تستطيع أن تعتمد علينا اذا دعت الضرورة لذلك • وظهرت علامات السرور على وجـــه حسين صبرى الذى أكد لى انه سوف يبلغ الملكة بذلك فورا •

وفعلا حدث ما كنت أتوقعه وبدأت متاعبنا مع الملك الجديد بعد ثلاثة أيام من وصوله •

لا أريد هؤلاء الانجليز هنا :

واستدعيت تيترنجتون صيدلى الملك فاروق لمقابلتى قبل أن اذهب لاجتماع مع الملك فى القصر • وكنت قد سمعت بعض الشائعات غير

المؤكدة تقول ان الامور ليست على ما يرام فى قصر عابدين منذ عودة فاروق • وانه يهدد بطرد مربيته الانجليزية ويمنع شقيقاته من الوقوع تحت تأثير التعليم الانجليزى •

وازعجتنى هذه الاخبار • ولهذا طلبت من تيترنجتون أن يحدثنى عن الموقف • وقال لى الصيدلى الانجليزى ان كل معلوماته استقاها من مربية فاروق وتدعى مسز نايلور • وقالت له انها قضت حوالى ساعتين مع الملك فاروق بعد عودته • وان فاروق كان يتفاخر بنفسه ويقلل من شأن الاسرة المالكة البريطانية •

فقد قال فاروق لمربيته الانجليزية : هذا الملك ادوارد •• انه لا يجد مايقوله • ودوق كنت أشبه بفتاة • ودوق جلوستر لايساوى شيئا •• وهكذا ظل فاروق يحقر من شأن أعضاء الاسرة المالكة الانجليزية • وبعد ذلك سأل المربية من الذى يعلم شقيقتيه فوزية وفايزة الرسم والموسيقى • وعندما علم أن معظم المدرسات من الانجليز صاح : يجب أن يتوقف هذا • لا أريد أن تحاط شقيقتاى بكل هذا النفوذ الانجليزى •

وقالت مربية فاروق ايضا انه بالفعل قرر طردها • وأنها تحزم حقائبها الان استعدادا للعودة • وكانت تعمل ممرضـــة فى لندن عندما استدعاها تيترنجتون وأوصى الملك فؤاد أن تكون مربيـــة لابنه • وعلمت أيضا أن الملكة نازلى طردت جميع الخدم الذين كانوا يدينون بالولاء للملك الراحل فؤاد • وأنها بدأت تحيط نفسها فى القصر بألوان مختلفـــة من النســـاء والرجال • وطلبت من الصيدلى أن يوافينى بأى خبر يسمعه لان هذه الاخبار مهمة لنا •

وتوجهت بعد ذلك لمقابلة الملك وقضيت معه ساعة فى القصر • وبدأت الحديث بأننا جميعا نشعر بالرثاء للظروف الصعبة التى يمر بها • وقلت أيضا أن مصير بلاده له اهمية قصوى عندنا • وانه اذا صادف أى مشكلة او صعوبة فعلية أن يتذكر اننا بكل أمانة أصدقاؤه المخلصون • وذكرت له كيف أن الملكة فكتوريا — مع الفارق — صادفت نفس الموقف الذى يواجهه ولكنها لحسن حظها وجدت فى لورد ملبورن صديقا وناصحا مخلصا للعرش تستطيع أن تعتمد عليه • وبكل أسف لا يوجـد فى مصر الان اى شخص يضارع لورد ملبورن ليعتمد عليـــه الملك • ولكنه يســـتطيع أن يعتمد علينا •

وقال لى فاروق انه ينوى أن يسير ببطء فى البداية • وهنا ذكرته بشعار والده وهو (الصبر) • وقلت له ان شعارى (لا تقلق ولا تشك) • وكان الحديث بالانجليزية •• وانتهزت الفرصة لاسأله عن المربية الانجليزية فقال انه مدين لها بالكثير • ولم تكن هناك أية اشارة انه يريد الاستغناء عنها • واعترف لى فاروق انه يتحدث الفرنسية بطلاقة اكثر من شقيقتيه اللتين تتحدثان الانجليزية •• وقال ان أباه وأمه كانا دائما يتحدثان بالفرنسية ولهذا اتقنها •

وعن المستقبل قال لى فاروق صراحة انه لا فكرة لديه بالمرة عما سيفعله •• كما انه لم يقرر خطة معينة • وكان قد قابل الاوصياء الثلاثة على العرش وهم الامير محمد على ابن عمه وعزيز عزت زوج أميرة مصرية يعرفها فاروق جيدا • وخاله شريف صبرى •

ماذا يحدث بعد ٢٠ سنة ؟

تعثرت المفاوضات بين المصريين والانجليز حول معاهدة ١٩٣٦• واضطرت وزارة الخارجية البريطانية الى استدعاء مندوبها السامى الى لندن للتشاور • ويقول تويتبى ان سير مايلز لامبسون استطاع أن ينقذ الموقف بعد أن كاد كل شىء أن يضيع • أما سير مايلز لامبسون فيصف تجربته فى لندن بشىء من الانبهار لما كان يجرى حوله فيقول :

قابلت وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية سير انطونى ايدن فى ٥ يونيو ١٩٣٦ • كان الحديث حول مشكلة العلاقات المصرية البريطانية المتدهورة • وسألنى ايدن صراحة :

الست تعتقد أن الحل النهائى للمشكلة هو ان تصبح مصر جزءا من الامبراطورية البريطانية ؟

واعترفت فى اجابتى ان نفس السؤال كان يتردد فى عقلى منذ اللحظة الاولى التى وصلت فيها الى مصر • ولكنى بعد أن قضيت ٦ أشهر فى مصر كتبت فى تقريرى الحل الوحيد والصحيح للمشكلة • وقلت فى تقريرى ان فكرة ضم مصر للامبراطورية غير ممكنة فى الوقت الحاضر •• وانه لا المصريون ولا البريطانيون كما اتخيل مستعدون لقبولها •

ولهذا فقد أوصيت فى تقريرى اننا يجب أن نتقدم ببطء فى مصر ولكن بخطوات منظمة وأن هدفنا يجب ان يكون تقوية الروابط

والمصالح المادية للدولتين • وكان هذا سببا فى ايفاد حافظ عفيفى الى انجلترا • وأفلحت مهمته فى غرضها • ولكن الحـــرب فى الحبشة القت ظلالها على كل شيء • وهكذا واجهنا فى خريف سنة ١٩٣٥ موقفا جديدا ومجموعة من الظروف الجديدة المتغيرة •

فقد تشكلت لاول مرة (الجبهة المتحدة) من الاحزاب المصرية • وطالبت باسم الاحزاب كلها التفاوض مع بريطانيا من أجل المعاهدة • وهكذا وجدنا أنفسنا نواجه مشكلة المعاهدة • وفى هذه الظروف لم يكن من السهل تحاشى المشكلة • ولكنى اوضحت لايدن انه حتى فى حالة التوصل الى معاهدة مع مصر فى المدى القريب فان هذا لا يمنع فى المدى البعيد امكان تحقيق الحل الاخر • وقلت اننى يجب أن أؤكد مرة أخرى ان فكـــرة ضم مصر للامبراطورية فى الوقت الحاضر ليست عملية بالمرة •

ووافقنى ايدن على رأيى •

وانضم اخرون بعد ذلك الى الاجتماع • وبدأنا بحث الموقف كله فى مصر • واخرجت مذكرة مكتوبة كان قد تقدم بها النحاس باشا وقلت انها تفتح الطريق لحل وسط للمشكلة المصرية • وقلت ان هناك قلقا متزايدا فى بريطانيا من انه بعد انتهاء المعاهدة التى سوف تسرى لمدة ٢٠ سنة فان عصـــبة الامم تستطيع أن تقول لبريطانيا « اخرجى من القناة » اذا شكت مصر لها • وأوضحت انه من الناحية العملية فان الجيش المصرى ليس فى وضع يسمح له بطرد الانجليز من القناة • واذا حدث بعد ٢٠ سنة وأردنا أن تظل قواتنا فى القناة (وهو ما افترض ان الوضع سيكون عليه) فاننا يجب أن نكون فى ذلك الوقت فى وضع يتيح لنـــا أن يكون هناك على الاقل صوت واحد فى عصبة الامم يعارض قرار خـــروج بريطانيا من القناة • وهكذا نضمن الخروج من هذا المأزق •

ولكن المستشـــارين القانونيين فى الوزارة البريطانيـــة كانوا مصممين على اثارة المتاعب • وكان الطريق المفتوح امامنا الان أن نضع ورقة عمل تعتمد فى مناقشتنا أساسا على مذكرة النحاس باشا وان نصر على امرين يجب أن نوضحهما للحكومة وهما : ان مصر لن تقبل بحال من الاحوال احتلالا دائما للقناة ومنحنا حـــرية التصرف داخل اراضيها •

وبعد ذلك توجهت الى قصر باكنجهام لمقابلة الملك الذى طلب منى أن الخص له الموقف • وبعد ان انتهيت قال الملك : لست ادرى لماذا كل هذه الضجة حول المشكلة المصرية •• ولماذا الحديث عن أشياء قد لا تحدث قبل مرور ٢٠ سنة • وحتى اذا وقعت فى ذلك الوقت فمن المحتمل جدا أن الامور قد تظل فى صالحنا •

ثم حضرت اجتماعا فى رئاسة الوزراء اشـــترك فيه رؤساء أركان الحرب الثلاثة • وأثار مارشال السلاح الجوى الملكى جوا عدائيا عنـــدما سألنى : ما الذى استفدناه عندما سـلم سفيرنا السابق كل شيء فى ايران ؟

وهنا تقول المذكرات ان المارشال النجتون قائد الطـــيران كان يقصد بسؤاله العراق والمعاهدة العراقية الانجليزية وليس ايران كما جاء على لسانه • ويقول كيلرن انه قـــرر أن يرد على قائد الطيران فورا وفى الصميم • وقال كيلرن انه لا يسمح لاحد أن يستخدم هذا الاجتماع للتحقيق فى نتائج نشــاطه الدبلوماسى • وخرجنا من الاجتماع وأنا واثق أن التصويت على ورقة المعاهدة سيكون ضدها بنسبة ٣ : ١ •

وبعد مرور ٣ أيام دعيت لحضور اجتماع اللجنــة الوزارية فى غرفة رئيس الوزراء نيفيل تشمبرلين بمجلس العموم • وكان رئيس الوزراء يجلس فى مقعد الرئاسة وكان هناك أيضا عشرة من الوزراء فى اللجنة ومن بينهم انطونى ايدن • وحضر رؤساء الاركان الثلاثة الاجتماع • وكان معى وكيل الشئون الخارجية بروك بوبهام •

وطلب رئيس الوزراء منى ملخصا للموقف • واكتشفت كم كنت مخطئا عندما توقعت أن يكون دورى مجرد الاجابة على الاسئلة • وتكلمت لمدة ٢٥ دقيقة • وأوضحت أن المشكلة الرئيسية التى نتعرض لها هى كيف نوفق بين رغبتنا فى استمرار احتلالنا لمنطقة القناة واستمرار وجودنا فى مصر •• وبين رغبة المصريين وتصميمهم على ضرورة انهاء الاحتلال وفجأة القى رئيس الـــوزراء ورقة مطوية على المائدة نحوى • والتقطتها وأنا أعتقد أن بها حل المشكلة، ولكنى دهشت عندما وجدت أنه كتب فيها :

ـ امرأة قالت لى انها أجرت شقتها لك لبعض الوقت •

وتقرر تأجيل الاجتماع لوقت اخر •

وتوجهت الى (ايتون) بالسيارة للبحث عن معلم للملك فاروق• وقابلت شابا لم يعجبني • واتفقت مع صديق لي أن يكتب لاستاذ في اوكسفورد اذا كان يقبل المنصب • وبعد ذلك دعيت مرة أخرى لحضور الاجتماع الكامل للوزارة البريطانية في مجلس العموم • وقضيت داخل الاجتماع حوالي ساعة وربع ساعة كانت تجربة هامة جدا • وفي هذا الاجتماع تم بحث موضوع المعاهدة المصرية الانجليزية بافاضة • وتحدث كل الوزراء • وحاول قائد الاسطول أن يعرض ويثير المتاعب حول موضوع الانسحاب من الاسكندرية• وقال ممثل رؤساء الاركان انهم لايهمهم الان البقاء في الاسكندرية أو الخروج منها • ولكن البحرية أصرت على وجــــود الاسطول الانجليزي في الاسكندرية حتى يمكن اعداد قاعدة بحرية أخرى في شرق البحر المتوسط يمكن الاعتماد عليها بعد انســـحابنا من الاسكندرية •

وانتقلت المناقشة الى الحديث عن قبرص كبديل للاسكندرية • ولكنى نظرا للسرية المطلقة لا أستطيع الحديث هنـــا عما جرى بالتفصيل حول هذه النقطة • وانفض الاجتمـــاع بعد أن وافق الجميع اننا يجب الا تفوتنا هذه الفرصة لتوقيع معاهدة مع مصر واننا لا يجب أن نضيع فرصة المعاهـدة بسبب تمســـكنا ببعض التفصيلات الصغيرة • وفيما يتعلق بالاسكندرية أوصى ايدن بأن يتم الانسحاب منها بعد ١٠ ســـنوات واذا اعـــترض المصريون نستطيع تخفيضها الى ٧ سنوات •

وبعد ذلك بدأنا بحث موضوع السودان في المعاهدة • واعترض المستشارون القانونيون لمجلس الـوزراء على فقـــرة في مشروع المعاهدة قد تعطى مصر الحق بعد ٢٠ سنة أن تشكو لعصبة الامم وأن نحصل على قرار منها بأن من حق مصر هذه المرة أن تعين الحاكم العام الذى تختاره للسودان • وأوضحت للمجلس انه طبقا لاتفاقية ١٨٩٩ فان ترشيح الحاكم العام للسودان من حق بريطانيا • وانى أعتقد ان عصبة الامم سوف تأخذ بمعاهدة ١٨٩٩ فيما يتعـــلق بالسودان • ولكن وزير الدولة للشئون الخارجية انطونى ايدن قال أن هذه النقطة مهمة جدا وطلب مناقشتها بالتفصيل • وبعد ذلك انتهى موضوع السودان وانسحبت من الاجتماع •

وفى أواخر يونيو زارنى ادوارد فورد بتوصية من مدير كليـــة ايتون تقول انه انسب رجل كمعلم لفاروق • كان في الخامســـة

والعشرين ٠ ولكن كان يبدو فى نظرى الرجل المناسب ٠ وقررت أن آخذ رأى حسنين باشا قبل أن أوافق نهائيا ٠

وعدت الى مصر يوم ٢٩ يوليو ٠ واستمرت المفاوضات مع المصريين حول المعاهدة طوال شهر يوليو والجزء الاول من أغسطس وفى ١٢ اغسطس تم التوقيع بالحروف الاولى على المعاهدة فى اجتماع موسع حضره جميع أطراف المفاوضات وكانت المفاوضات قد استمرت ٦ أشهر ٠ ودارت حول وجود القوات البريطانية فى مصر ونظام الحكم فى السودان والغاء جميع الحقوق التوسعية فى الاراضى المصرية للدول الاجنبيـــة والناشئة عن استســـلام الامبراطورية العثمانية ٠

وفى ٢٦ اغسطس ١٩٣٦ تم توقيع المعاهدة فى لندن ٠

درس للملك فاروق :

وقبل سفرى الى لندن للاشتراك فى حفل توقيع المعاهدة قابلت الملك فاروق فى قصر المنتزه ٠ وبدأت الحديث بقولى اننى أرجو الا يمانع ان القى عليه ما يشبه المحاضرة الصغيرة ٠ وقلت له انه لا أحد يلومه اذا كان يريد أن يقضى وقتا طيبا ٠ فكلنا شعرنا بذلك فى سنه ٠ ولكنه كملك يجب أن يتذكر أن الوقت يمضى سريعا وانه فى أقل من سنة سوف يبلغ سن الرشد وسوف يتسلم كل المسئوليات من مجلس الوصاية ٠ وقلت له صراحة انه بدلا من أن يستهز الوقت القليل المتبقى فى تحسين عقله واعداد نفسه لهذه المسئوليات فانه يضيع وقته بالانشغال باشياء تافهة وبالجـــرى وراء المتعة فقط ٠

وقلت لفاروق انه منـــذ وصول فورد المعـــلم البريطانى الذى اخترته له الى القاهرة لم يره سوى مرة واحدة فقط ولمـــدة ٥ دقائق ٠ ومثل هذه التصرفات تعطى انطباعا سيئا ٠ وقلت اننى لا أريد أن أرغمه على قبول فورد وأن فورد لم يشتك الى من الملك ولكن الجميع يتحدثون عن ذلك ويجب أن يبدأ الملك فى الاهتمام بعمله ٠

ووقف فاروق يستمع الى كل هذا الكلام بروح طيبة وفى صمت٠ وفى النهاية اعترف لى انه نفسه بدأ يدرك ذلك ٠ وقال انه من الممتع أن يلهو الانسان ولا يشغل نفسه بالعمل ٠ ولكنه أعد جدولا

للدراسة أيضا • وقال فاروق أيضا ان الناس يتحدثون وينتقدون عادة ويقولون أشياء سيئة • وانه من المحتمل أن يكون قد أخطأ احيانا • ولكنه سيحاول جهده الا يثير المتاعب بعد ذلك • وقلت له انه يجب أن يدرك دائما أن السفارة والحكومة البريطانية كلها وراءه ، ولكنه يجب أن يظهر من التصرفات ما يثبت أنه يبذل ما فى وسعه •

وفى طريقى للخارج قلت لحسنين باشا ما دار بينى وبين الملك • وقلت أيضا ان النقد الموجه للملك الصغير يزداد • وهناك مؤامرات من كل نوع يجب علينا أن نقضى عليها فى المهد، ووافقنى حسنين على رأيى تماما •

سوف اكون ولدا طيبا :

وبعد هذا اللقاء العاصف مع فاروق سافر المندوب السامى البريطانى الى لندن ليشترك فى حفل توقيع معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا • وبعد الاحتفال قضى السفير فى لندن اجازة تقول المذكرات انه يستحقها بعد الجهد الكبير الذى بذله حتى تم الوصول الى المعاهدة • ولكنه فى ٤ نوفمبر ١٩٣٦ اضطر الى أن يقطع اجازته ويعود الى مصر مرة أخرى • وكانت هذه اخر مرة يعود فيها سير مايلز لامبسون الى مصر بوصفه مندوبا ساميا لبريطانيا •

فقد كانت معاهدة ١٩٣٦ تنص على انشاء تمثيل دبلوماسى بين مصر وبريطانيا على مستوى السفارة • وأصبح سير مايلز لامبسون أول سفير بريطانى فى القاهرة • ولكنه احتفظ بمنصبه كمندوب سام لبريطانيا فى السودان • وعندما وصل لامبسون الى مصر قابله فى محطة القاهرة رئيس الوزراء وجميع أعضاء الوفد المصرى فى مباحثات معاهدة ١٩٣٦ •

وفى ٢٤ ديسمبر يقول السفير فى مذكراته :

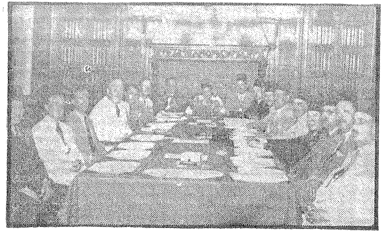
قابلت الملك فاروق مرة أخرى • وكان يبدو مبتهجا واكثر نظافة• وتحدثنا فى البداية عن صيد البط فى المنصورية • ولكن الحديث تطرق بعد ذلك كما أردت الى مشكلة اهماله معلمه فورد • ويبدو أن فاروق كان يتوقع ذلك • فقد أنصت الى حديثى فى صمت ولم يظهر عليه أى انفعال وكررت له مرة أخرى أن حكومة بريطانيا تؤيد أسرته المالكة ولكن هذا التأييد سيتأثر حتما بتصرفاته• وقررت

أن أتحدث اليه ببهجة أقوى من المرة الســـابقة وأكثر جـدية • واعتذر الملك بانه كان مريضا طوال الشـــهر الماضى • وقال انه سيصحب فورد معه فى رحلته القادمة الى الصعيد ووعدني فاروق أن يكون من الان فصاعدا (ولدا أحسن بكثير مما مضى) • ولم ينصرف حديثنا الى السياسة • ولكن فاروق ذكـــر لى انه قلق للنفقات الكبيرة التى سيتحملها مصر لبناء جيش حديث • وانتهزت الفرصة لاقول له انه من حسن حظ مصر فى الماضى أن بريطانيا كانت تتولى الدفاع عنها • وقلت ان الانطباع العام ان النـــاس عادة لا تعجبهم الضرائب الجديدة التى يضطرون الى دفعها لبناء جيش حديث •

وقلت ساخرا لفاروق :

ـ من المؤسف انه فى حالات المظاهر والخداع لا يبدو مثل هـذا القلق بالمصروفات •

وهكذا يغالط السفير بحديثه عن تحمل بريطانيا أعباء الدفاع عن مصر • وتناسى ان بريطانيا كانت تحتل مصر للدفاع عن مصالحها وامبراطوريتها •



فى حفل توقيع معاهدة ١٩٣٦ بالاحرف الاولى

جواسيس فى قصر المنتزه

تظهر مشكلة فلسطين فى هذا الجـــزء من مذكرات لورد كيلرن ، فنرى النحاس باشا يتحدث مع السفير البريطانى عن قرار التقسيم وينتقده • ويقول لكيلرن وكأنه يتنبأ بما سوف يحدث بعد ٢٠ سنة : بعد اعطاء اليهود دولة فلسطين ســوف يطلبون ايضا أن نعطيهم سيناء •

ولم تسكت الحركة الصهيونية على ما كان يجرى فى القاهرة• فأوفدت رئيسها د• وايزمان لمقابلة لامبسون ، وعندما لا يظهر لامبسون تعاونا كامـــلا مع وايزمان يهدده بأن اليهود سوف يثيرون المتاعب لبريطانيا •

١٦٣٧

هذا العجوز الاحمق .. بلفور :

سنه الحرب الاهلية فى اسـبانيا وازدياد التوتر فى البحر المتوسط . وليس فى مذكرات لورد كيلرن شىء هام يتحدث عنه فى الاشهر الستة الاولى من هذا العام . ولكنه فى أواخر يوليو والحكومه والسفارة بالاسكندرية مثلما يحدث فى صيف كل عام كتب يقول :

زارنى مصطفى النحاس باشا ، وبعد العشاء دار بيننا حديث طويل حول فلسطين وقال لى النحاس باشا صراحة انه يكره بشدة الاقتراح بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود وقال انه واثق ان العرب لن يقبلوا بالمرة فكرة التقسيم وانه كرئيس وزراء مصر لن يقبل حتى مجرد التفكير فى وجود دولة يهودية على حدود مصر . وتساءل النحاس :

اليس من الممكن بعد انشاء دولة لليهود فى فلسطين أن يطالبوا بعد ذلك بأن لهم حقا اخر فى سيناء ؟

وقال النحـاس انه يرى أن الحل الحقيقى والمناسب للمشكلة الفلسطينية هو انشاء دولة عربية متحالفة مع بريطانيـا ومع توافر ضمانات محددة وأكيدة للحريات الدينية لجميع السكان من يهود او مسلمين أو اقباط .

وقلت للنحاس باشا ان هذا الاقتراح لا بأس به ولكنه يتجاهل الوعد البريطانى بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسـطين (وعد بلفور) . ولم يتأثر النحاس بالمرة بحديثى عن وعد بلفور وقال لى صراحة ان هذا الوعد خطأ وان الشىء الوحيد الذى يجب أن تفعله بريطانياالان أن تتجاهله أو تلقى به فى سلةالمهملات ونصحته الا يكون متسرعا لان قرار الحكومة البريطانية وتوصيات اللجنة الملكية فى هذا الشأن كانت مازالت معروضة أمام البرلمان البريطانى

وانه من الافضل تجنب الاقـــدام على أى عمل قد يكون متسرعا بعض الشيء .

وأبلغنى النحاس انه فى الايام القليلة الماضية تلقى اقتراحا من الوزير السعودى المفوض فى القاهرة أن ينضم الى حكام ٤ دول عربية هى : السعودية والعراق وسوريا واليمن لتكوين جبهة عربيـــة متحدة تعارض مشروع التقسيم المقترح . وقال النحاس انه أجاب على العرب بقوله انه لايميل الى الاشتراك فى مثل هذه الجبهة . وانه يرى ان بقاء يده حرة يعطيه قوة فى معارضة مشروع التقسيم . وانه كحليف لبريطانيا بموجب معاهدة ١٩٣٦ ســـوف يكون فى وضع افضل كوسيط لايه مقترحات يفكر الحكام العرب فى التقدم بها الى لندن .. أو كبديل لذلك فانه يستطيع أن يتقدم هو بمقترحاته الى الحكومة البريطانية لحل المشكلة .

وقلت للنحاس باشا ان رده على الحكام العرب كان فى رأيى عملا طيبا .

وفى أواخر شهر أغسطس ابحر لورد كيلرن من بور سعيد الى بريطانيا . وهناك قابل ملك وملكة بريطانيا . وتحدث معه الملك عن المشكلة الفلسطينية . وسأله : من ترشحه لفلسطين ؟ وكنت قد سمعت ان أحد المرشحين هو سير أرثر ووشوب . وهو الذى شغل بعد ذلك منصب المندوب السامى البريطانى فى فلسطين . ولكنى أبديت رأيا أن يكون الرجل المطلوب من طـــراز خاص . وقال لى الملك ان لورد بلفور رجل سخيف وعجوز . وانه أعطى أو وعد اليهود باعطائهم شيئا يملكه آخرون . ولهذا فانه لا يصح أن يكون رجلنا فى فلسطين .

ووافقت الملك على رأيه فى لورد بلفور .

وعدت الى القسم المصرى بوزارة الخارجية البريطانية لزيارة قصيرة . ثم توجهت لمقابلة سير انتونى ايدن الذى وجدته كالعادة يحاول أن يحل ٥٠ مشكلة فى وقت واحد . وقال لى ايدن ان البرقيات القادمة من القاهرة أخيرا تثير قلقه . وأن هناك حالة من عدم الاستعداد بين القوات البريطانية فى مصر وخصـــوصا بالنسبة للمدافع المضادة للطائرات التى لايوجد منها شيء فى مصر . وقال

ايدن انه لا يوافق هؤلاء الذين يقولون ان بريطانيا يجب ألا تعزز قواتها فى مصر حتى لا تثير شكوك ايطاليا • وقلت ان واجبنا أن نستعد لاى احتمال يهدد مصالحنا فى المنطقة • وفى نهاية حديثنا أبلغنى ايدن أن رئيس الوزراء تشمبرلين آسف لاننى يجب أن أقطع اجازتى مرة أخرى وأعود الى القاهرة بسبب توتر الموقف الدولى • وقال ايدن :

ـ لا تتردد فى الكتابة الى شخصيا من القاهرة اذا وجدت ما يدعو لذلك •

وبعد الظهر تناولنا انا وزوجتى الشـــاى مع رئيس الوزراء نيفيل تشمبرلين وزوجتــه فى ١١ داوننج ستريت • ولم تعجبنى زوجه تشمبرلين • فقد كانت تبدو طوال الوقت وكأنها فى عالم اخر • أما تشمبرلين المسكين فقد كان يعانى من مرض النقرس • ولكن ذلك لم يمنعنا من الحديث عن مصر والخطر من ايطاليا على المصالح البريطانية • وقال لى تشمبرلين انه تلقى من موسولينى رسالة بها بعض الفقرات المشجعة • أما بالنسبة لمصر فهنـــاك نقطتان أساسيتان :

١ ـ الدفاع عن مصر ضد اى خطر خارجى •

٢ ـ الا تتاثر هيبة بريطانيــا فى نظر المصريين بسبب الخطر الايطالى •

ووافق رئيس الوزراء على الرأى القائل بارسال بعض التعزيزات لقواتنا فى مصر • واقترح تشمبرلين أن يســـتعرض الاسـطول البريطانى عضلاته فى شرق البحر المتوسط وأن يقوم برحلات اكثر وأن يظهر فى الموانىء بصورة أوضح • ولكنه طلب الا نغـــالى فى عملية استعراض الاسطول والا نقدم على اية خطوة قد تجعـل موسولينى يسحب عروضه لبريطانيا • وقال تشمبرلين :

ـ مع رجل من طراز موسولينى يجب أن نكون فى منتهى الحرص •

وأثناء الحديث فكرنا فى طلب تطبيق نص خاص فى المعاهـدة المصريه البريطانية لسنة ١٩٣٦ وهو النص الخاص برفع استعداد القوات البريطانية فى مصر فى حالة الطوارىء العالمية • ولكن ايدن كان يعارض ذلك بقوة •

علي ماهر رجلنا في القصر :

وعاد السفير البريطاني الى القاهرة ليجد العلاقات بين الوفد والقصر متوترة في أواخر عام ١٩٣٧ ، ففي شهر ديسمبر قرر الملك فاروق طرد النحاس باشا من الوزاره رغم نصائح السفير البريطاني للملك بالاعتدال ، وأصدر فاروق قرارا بتعيين محمد محمود باشا رئيسا للوزراء .

ويقول السفير في مذكراته عن هذه الاحداث :

عدت الى القاهرة لاجد الملك فاروق وقد ازدادت ثقته في نفسه، وبدأت أخشى ما يمكن أن يؤدى اليه ذلك . ويبدو ان فاروق قد حصــــل على الكثير .. بل واكثر مما يجب اثناء منازعاته مع النحاس باشا وقد يجعله ذلك يفكر أنه يستطيع ان يلعب أيه لعبة يريدها بعد ذلك . واذا حدث ذلك فسوف يكون خطأ قاتــلا من الغلام (فاروق) . انني شخصيا معجب بذكاء فاروق وشجاعته . ولكني أخشى أن يعتقد في شجاعته أكثر مما ينبغي . غير انى امل أن يستطيع على ماهر باشا أن يؤثر في الملك وأن يجعله يسير في الخط .. والا فسوف تكون هناك أيام عاصفة بيننا .

ومن أجل هذا قابلت على ماهر باشا وابلغته التعليمات الواردة من لندن والتى تطالبنى بابلاغ الملك فاروق بلهجـــة صريحه أن حكومة صاحب الجلاله ملك بريطانيا مستاءة من تصرفاته وانهـا تخشى أن يصبح مثل والده فؤاد . وقلت ان لندن فلقه للغايه من اقدام الملك على طرد النحاس باشا من الوزارة رغم ان حزب الوفد ما زال يتمتع بأغلبية ساحقه في البرلمان . وابديت مخاوف بريطانيا أن تؤدى مثل هذه التصرفات الى دمار الملك وربما الاسرة المالكة أيضا . وبالاضافة الى ذلك هناك الخطر الخارجي على مصالح بريطانيا في مصر . وهذا الخطر ماثل في تحركات ايطاليا في شمال افريقيا .

ورجانى على ماهر الا أكون قاسيا على فاروق عند مقابلتى له بعد ظهر ذلك اليوم . وقال على ماهر :

ـ ان فاروق ما زال غلاما .. وهو لا يعنى شيئا ضارا بما فعله" وأجبت على ماهر قائلا :

ـ لقد عدت من بريطانيا لاجد جلالته يطلق على اسما مضحكا هو (البروفسور لامبسون) لانى ألقيت عليه محاضرة فى ضرورة الاهتمام بتثقيف نفسه والا يجرى وراء المتعة فقط • ووجدت ايضا انهم فى لندن غاضبون منى لانى لم أكن متشـــددا كما يجب مع فاروق • ولكنى وعدت على ماهر أن أكون أكثر اعتدالا فى بهجتى مع فاروق بشرط أن اجعله يفهم جيدا قلقنا من الاشياء التى تحدث الآن فى مصر •• والتى اذا استمرت هكذا قد تكون خطر على العرش نفسه •

وقابلت فاروق فى قصر عابدين • ووجدته شخصـــا محيرا • كان يبدو فى حالة نفسية طيبة على غير العادة • ومن الافضـــل أن أسرد هنا نص البرقية التى بعثت بها عقب المقابلة الى لندن :

« استمرت مقابلتى مع فاروق ســـاعة ونصف ســاعة • كان ودودا للغاية • وكان مستعدا لهذه المقابلة بعد أن أبلغه على ماهر بما جرى بيننا فى الصباح • ومع ذلك فقد أبلغته بنفسى ايضـــا أن حكومة صاحب الجلالة قلقة من مسار الاحداث فى مصر • وانه قد يكون ماضيا فى الطريق الخاطىء • واننا لا نستطيع أن نعفيه من الخطأ • كما ان تأييد بريطانيا له سوف يتأثر اذا اســـتمر فى هذا الخطأ • وقد حذرته مرارا من النتائج الخطيرة التى قد تترتب على قراره بطرد النحاس باشا من الحكم رغم انه يتمتع بأغلبيـــة كبرى فى البرلمان وقلت له ان هذا خطر على عرشه • وطلبت منه أن يتفق مع النحاس باشا وأن الاوامر الصادرة الى من لندن أن أتحدث اليه (الى فاروق) بلهجة شديدة •

وهنا ضحك فاروق وقال ان من حسن حظه انه يجيد اللغـــة الانجليزية وانه فهم هذا الجزء من الحديث • وبعد ذلك تلوت عليه التعليمات التى بعثتموها الى من لندن • وقال الملك انه يفهم ما تريدونه تماما • وان على ماهر سوف يستمر فى محاولة البحث عن حل للموقف •

ويقول السفير فى تحليله لمقابلة فاروق بعد ذلك فى تقريره الى لندن :

« يجب أن اعترف انه بالرغم ان الملك فاروق كان يبـــدو متعاونا وروحه طيبة فانه لم يلزم نفسه فى الحديث معى بشىء أكثر من وعده بأن يكون أكثر صبرا فى المستقبل • وانه اذا اتفقت معـــه الحكومة على المشاكل الكبرى فانه مستعد أن يدفن الماضى وأن

يبدأ من جديد مع حزب الوفد • وطلب منى فاروق أن اقنع النحاس بذلك • وقال ان عبى ماهر سيقابل مكرم عبيد باشا غدا لحـــل الازمة • ورغم انى امل أن تؤدى هذه المقابلة الى شيء ما فانه من الخطأ ان يكون المرء متفائلا اكثر من اللازم » •

عدت الى مراسى فى السابعة صباحا بعد الانتهـــاء من امـــلاء برقيتى الطويلة الى لندن • وكانت تتنازعنى افكار شتى حـــول ما جرى حتى الان مع الملك • كنت واثقا ان على ماهر ســـوف يبذل ما فى وسعه لحل الازمة • ولكنى كنت واثقا ايضا ان الملك والنحاس لا يمكنهما التعاون معا • وبهذا لم يكن فى وسعنا الا انتظار ما قد يحدث بعد ذلك • وكان الرأى السائد ان الملك سوف يحل البرلمان • وبعد فترة الشهور الثلاثة المعهودة يجرى انتخابات جديدة •

وكان أخطر شيء فى نظرى هو ما سوف يحدث فى هذه الشهور الثلاثة • ولكنى كنت اشعر أن محمد محمود باشا رجل جـــرىء للغاية لانه قبل ان يتولى الحكم فى مثل هذا الوقت العصيب • وكنت أعتقد أن فاروق وعلى ماهر سوف يدركان فى النهاية أن القصر ارتكب خطأ كبيرا بطرد النحاس باشا • وبدأت أتساءل :

ـ ترى ما الذى سيحدث لمعاهدة ٣٦ المسكينة ؟ !

ولكنى كنت واثقا ان أية حكومة اقلية يأتى بها فاروق لن تجرؤ على المساس بالمعاهدة أو اتباع سياسة القطيعة مع حكومة بريطانيا •• لان الحزب الذى سيفعل ذلك يدرك جيدا انه يقضى بذلك على مستقبله السياسى •

وبعد ذلك بـ ٢٤ ساعة جاءت الاخبار أن الملك فاروق أقـــال النحاس باشا وعين محمد محمود رئيسا للوزراء بدلا منـــه كما كان ينوى قبل اجتماعنا • وكان خطاب الاقالة شديد اللهجة وقاسيا فى نظرى • وعندما قرأنا قائمـــة الوزارة الجديدة قلت لمستشـــار السفارة الذى كان يجلس معى حكمة تقول :

« هؤلاء الذين تريد السماء دمارهم •• تصيبهم بالجنون أولا »•

وتوجهت فى ١٨ ينـــاير ١٩٣٨ الى قصر عابدين لاقدم للملك فاروق هدية زواجه من الملكة فريدة • وكانت الهدية بندقيتى صيد وابقانى الملك فى حضرته أطول مما كنت أعتقد وتحدثنا عن زوجته

المقبلة وكيف انها سوف تقاسمه العبء الكبير • ونقـــل فاروق الحديث الى الازمة الوزارية فى فرنسا وقال :

ـ اذا وافقت فرنسا فاننا مستعد أن أقرضها حكومة أو اثنتين من الاحتياطى الموجود عندنا فى مصر •

وأثناء الحديث سقط غطاء البندقية على الارض واحدث دويا كبيرا • وانفجر فاروق ضاحكا وهو يقول :

ـ لو كان هنا شخص اخر على العرش (يقصد والده الملك فؤاد) لانزعج الجميع وظنوها قنبلة • ومن المعروف أن فؤاد كان عصبيا للغاية •

وايزمان يهدد بريطانيا :

وفى اوائل فبراير جاء الى القاهرة د• حاييم وايزمان الزعيم الصهيونى لمقابلتى • وتم اللقاء فى السفارة يوم ٧ فبراير الساعة ١٢ ظهرا • وكان واضحا من الطريقة التى يتحدث بها وايزمان ان التقارير التى ترسلها السفارة البريطانية فى القاهرة تؤثر على تقدير الحكومة البريطانية فى لندن ازاء مشكلة فلسطين • وشرح لى د• وايزمان الموضوع كله بالتفصيل • وكان يعرض القضية من وجهه نظره بطريقه بارعه • وذلك شىء متوقع من رجل يعتبر موسس الحركة الصهيونية كلها • وقد أفهمته بوضوح ان علاقتى الوحيدة بمشكلة فلسطين ان اكتب لحكومتى عن الاثار التى سوف تترتب عليها سياستها هناك بالنسبة للرأى العام فى مصر والدول العربية المجاورة •

وقلت له صراحه ان مزايا أو مساوىء تقسيم فلسطين لا تدخل فى اختصاصى • ولكنى اعترفت له اننى اندهشت لقرار اللجنـــة الملكية الذى يوصى بتقسيم فلسطين •

وهنا قال وايزمان انه يعتقد ان الزعماء العرب الذين يعارضون التقسيم مثل الملك ابن سعود لا تهمهم فلسطين بقدر ما يهمهم الا يسمونى الامير عبد الله ملك الاردن على الدولة العربية التى ستقام فى فلسطين • ولكنى لم أوافق وايزمان على رأيه وقلت له ان هذا لا يتفق أبدا مع التقارير التى تصلنى عن موقف الملك ابن سعود •

وعندئذ لجأ وايزمان الى أسلوب التهديد فقال ان اليهود قد يصبحون مصدر متاعب لبريطانيا اذا لم يحصلوا على ما يريدونه

فى فلسطين • وقلت له اننى لا أعتقد ان اليهود قد يقدمون على ارتكاب عمل سخيف مثل محاولة احراج الحكومة البريطانية فى وقت يتعرض فيه الموقف الدولى للخطر • وأن اليهود سوف يترددون كثيرا قبل أن يضيفوا الى مشاغلنا العديدة الان متاعب جديدة من جانبهم •

وقلت انه من الافضل من وجهة نظرى الشخصية ان يتم الوصول الى نوع من الهدنة يستمر طوال السنوات العشر القادمة (١٩٣٨ – ١٩٤٨) على أن تحافظ الهدنة على نسبة السكان كما هى الان فى فلسطين • وقلت اننى أعرف ان اليهود لن يوافقوا على هذا الاقتراح • ولكنه افضل فى نظرى من اى اجراء أخر ولو انه حل مؤقت للمشكلة وقلت لوايزمان :

– ان الزمن كفيل بأن يجعلنا نشفى من جراحنا • واذا تمكنا من التوصل الى نوع من الهدنة فقد تهدأ الامور قليلا ويتاح لنا الوصول الى حل يرضى الطرفين •

ولكن وايزمان عارض هذا الرأى بشدة وقال فى رد مطول : لقد كان ذلك ممكنا فى العام الماضى • اما الان فقد ضاعت الفرصة وأصبح الوقت متأخر • وان الدولة اليهودية فى حاجة الى تموين • ولن تأتيها الاموال الا اذا كان هناك اطمئنان الى أنها سوف تحقق فى موضعها •

ووجدت نفسى مضطرا أن أقول لوايزمان ان هذه التفصيلات لا تدخل فى اختصاصى وان وضعى هنا يعنى فقط بالاثار المترتبة على سياستنا فى فلسطين بالنسبة لمصر والعالم العربى • واستمر اجتماعى بوايزمان اكثر من ثلاثة أرباع الساعة • وكان حديثنا طويلا • ولكنى أعتقد ان ما جاء فى مذكراتى هو النقط الاساسية التى دار حولها الحديث •

وبعد ذلك تناول وايزمان وزوجته معنا طعام الغداء • وكانت ليدى باقى دوجديل الزوجة السابقة للورد بلفور من بين الحاضرين وعلمت انها أصبحت الان من أكبر المتحمسين للحركة الصهيونية وانها تساهر كثيرا على حساب وايزمان للدعوة لتنفيذ مشروع التقسيم كما جاء فى وعد زوجها السابق لورد بلفور • وعندما جلست الى المائدة بينها وبين زوجة وايزمان حاولت اقناعى بعدالة

القضية الصهيونية • وكان ردى عليها هو نفس الكلام الذى قلته لوايزمان •

وكان الحديث مفيدا • ولكنى طوال الوقت كان لدى احساس غامض أن وايزمان وزوجته وليدى بافى كانوا على علم سابق بآرائى التى بعثت بها الى وزارة الخارجية فى لندن فى برقياتى الاخيرة عن تطورات المشكلة الفلسطينية فهل هناك أحد فى لندن يطلعهم على الاسرار ؟

وقبل ان ينتهى عام ١٩٣٨ بـ ٤٨ ساعة اتيح لى أن ارى لاول مرة عن قرب الملكة فريدة ومعها ابنتها الصغيرة • كان ذلك فى محطة السكك الحديدية بالقاهرة عند عودة الملك فاروق من احدى رحلاته • وكان القصر يبالغ الى حد كبير فى الرسميات المتعلقة بوداع الملك واستقباله • وعندما وصل القطار كان هناك جميع المسئولين فى الحكومة ورجال الدين والامراء والوزراء وحرس الشرف ورجال السلك الدبلوماسى •

ونزل فاروق أولا من القطار وصافح مستقبليه • ولم يخلع القفاز من يديه وهو يصافحنا وبعد انتهاء الطابور الطويل علمنا اننا يجب أن نقف فى أماكننا فى انتظار نزول الملكة من القطار • ونزلت الملكة فى طريقها الى الخارج • كانت تبدو لطيفة للغاية وخلفها طفلتها المولودة حديثا تحملها مربية انجليزية • وبدا عليها الارتباك بعض الشىء عندما شاهدت الذين احتشدوا لتحيتها وصافحت الملكة جميع الوزراء • ولكنها تجاوزتنا نحن رجال السلك الدبلوماسى عن عمد وكأنها لا تعرف أحدا منا • وفى رأيى كان هذا تصرفا سليما من جانبها ولكن زملائى السفراء الاجانب اعتبروها اهانة بالغة لهم • وأبدى الامير محمد على سخطه على تصرفات القصر بهذ المناسبة •

وفى اخر سطور مذكرات سنة ١٩٣٨ يقول كيلرن :

(يبدو لى أن فاروق قد رسخت قدمه أكثر مما يجب • ولا أحد هنا — حتى الامير محمد على — يستطيع أن يقف فى وجه هذا الغلام • ان اخر التقارير التى وصلتنى من داخل القصر تقول ان على ماهر نفسه لم يعد يستطيع أن يمارس النفوذ البسيط الذى كان يتمتع به عند فاروق • انها مشكلة كبرى لنا) •



تشرشل يتحدث الى زوجة كيلرن اثناء زيارته الاولى لمصر

سحب الحرب العالمية الثانية تهب على العالم

١٩٣٩

بدا العام الجديد بمشكلة مع فاروق حول رجل ايطالى فى حاشية الملك يدعى فيروتشى وكنت قد شكوتالى رئيس الوزراء محمد محمود باشا من وجود مثل هـذا الرجل فى القصر فى الوقت الذى تزداد العلاقات تدهورا بين ايطاليـا وبريطانيا • وقال لى محمد محمود انه تحدث مع الملك فاروق وانه وعد ان يكون تعيين فيروتشى مؤقتـا وانه سوف يختفى من الصورة بعد ذلك بهدوء •

وأبلغ محمد محمود الملك نيـــابة عنى انه سيكون من المحرج للقصر فى حالة قيام حرب مثلا مع ايطاليـــا أن يضطر الانجليز الملك الى طرد فيروتشى وان وجوده فى القصر خطر كبير علينا • وقال لى محمد محمود أيضا انه ذكر للملك انه سمع من البعض أن فيروتشى هذا كان يعل قوادا • ولمـــا سأله الملك فاروق : كان قوادا لمن ؟•• لم يستطع محمد محمود أن يقول له انه كان يعمل قوادا لوالده الملك فؤاد •

وفى اوائل هذا العام أيضا تم زفاف ولى عهـــد ايران (شاه ايران الحالى) الى الاميره فوزية شقيقة الملك فاروق • واستغرقت الاحتفالات والتهانى وتقديم الهدايا وحفلات الاستقبال للعروسين حوالى شهر تقريبا • وفى هذه الاثناء قابلت الهر فون هينتج الوزير المفوض لالمانيا فى القاهرة • وكانت برلين قد اوفدته لمدة ٤ أسابيع بحجه حضور الاحتفالات ولكنى كنت أشك فى نوايا الالمان وخاصة بارسالهم هذا الرجل الذى كان يسبب لنا المتاعب فى كل مـــكان يذهب اليه •

وعند بداية الصيف دعانى قائد الاسطول لمشاهدة المناورات التى تجريها وحداته والتى اشتركت فيها الى جانب قطع الاســطول المائيه الغواصات والطائرات وزوارق الطوربيد وهكذا كان الجميع يستعدون للحرب •

وجاءت الحرب :

وعاد السفير الى بريطانيا ليقضى أجازته الصيفية هناك كالعادة وفى هذه المرة وجد جو الحرب فى لندن ايضا • وعندما دعاه الملك الى قصر باكنجهام شاهد مع الملك من شرفه القصر الرجال يحفرون المخابىء فى الحديقة • وتطرق الحديث الى هتـــلر • وكان الملك جورج يعتقد أن هتلر يهوش وانه فى النهاية سيضطر الى التراجع أمام بريطانيا • أما الملكة مارى فقد كانت تعتقد أن الحرب على الابواب هذا العام • وفى نهاية الزيارة وافق ملك بريطانيا على دعوة الملك فاروق وزوجته الملكة فريدة لزيارة بريطانيا •

وفى أواخر أغسطس عاد السفير الى مصر على وجه السرعة لتدهور الموقف العالمى • وفى هذه الاثناء كان محمد محمود باشا قد قدم استقالته لاسباب صحية • وعين فاروق بدلا منه على ماهر رئيسا للوزراء • وطلب الملك فاروق أن يرانى بمجـرد عودتى •

وسألنى عن استعدادات بريطانيا للحرب وهل ترسـل مزيدا من القوات الى منطقة البحر المتوسط •

وعندما بدا أن الموقف العالمى قد يصل الى نقطة الغليان طلبت مقابلة على ماهر رئيس الوزراء حتى اطمئن على تنسيق الموقف المصرى والبريطانى عند اعلان الحرب • وكنت أرى أن مصر يجب أن تعلن حالة الحرب اذا حدث ودخلت بريطانيا الحرب مع هتلر• ولكن على ماهر ظل يراوغ ويحاور ويناور • وخرجت من المقابلة آسفا حزينا بعد أن فهمت منه أن مصر غيرمستعدة لاعلان الحرب• ولكنهم مستعدون لان يفعلوا كل ما نريده بدون اعلان الحرب • وحاول على ماهر اقنـاعى أنه ليس من الضرورى أن تعلن مصر الحرب على المانيا •

وفى ٣ سبتمبر من هـذا العام أعلنت بريطانيـا الحرب على المانيا • وتلقى المصريون الانباء بهدوء ظاهر ، وعلى الفور قطعت الحكومة المصرية العـلاقات مع المانيا • وصـادرت الممتلكات الالمانية • واعتقلت الرعايا الالمـان فى مصر • كما أعلنت مصر (حـالة الطوارىء) ووضعت موانى مصر تحت تصرف القوات البريطانية • وفرضت الحكومة الرقابة على الانباء والبرقيات • ورغم كل هذا لم تعلن مصر الحرب • واختلفنا مع المصريين حول نصوص معاهدة ١٩٣٦ وهل تتطلب من مصر أن تعلن الحرب • ومهما كان الرأى حول هـذا الموضوع فقد كان قرار الحـكومة المصرية بعدم اعلان الحرب مقدمة لمتاعب أخرى أكثر خطورة بعد ذلك • (يقصد كيلرن حادث ٤ فبراير ٤٢) •

وكانت أول مشكلة نواجههـا بسبب الحـرب تتعلق بالرعايا الالمان الذين اعتقلتهم مصر • فقـد طلبنى الجنرال ويفل القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الاوسـط فى ذلك الوقت • وكنا نتحدث على التليفون المباشر حتى لا يسمعنا أحد • وسألنى ويفل بطريقة سحيفة عما سوف أفعله لكى يسلمنا المصريون الرعايا الالمان لترحيلهم • وقبل أن انتهى من اجابتى سارع الى مقاطعتى وهو يكاد يصدر الى الاوامر • وعندما تمالكت أعصابى وقلت له اننى سوف أسأل المصريين واننى اتوقع معارضـتهم ثار الجنرال وأصبح وقحـا وهو يقول لى اننى لو أتحت لعلى ماهر الفرصـة أن يقول (لا) فسوف يقولها • واننى يجب أن آمره أن يفعل ذلك• واننى لو كنت اكثر حزما مع المصريين لوافقوا على اعلان الحرب• وفشلت محاولاتى لافهامه اننا نتعـامل الان مع مصر المستقلة •

وهنا فقدت أعصابى أنا الاخر وقلت له اننى مستاء جدا من طريقة حديثه • وعندما أدرك الجنرال ويفل أننا على وشك الصدام عدل من لهجته • ووعدته بمحاولة اقنــــاع المصريين بتسليم الالمـــان وتخليصهم من هذا العبء •

١٩٤٠

هذا الكلب القذر :

اقام الامير محمد على فى قصر الزعفران حفلا حضره فاروق كنوع من الاعراب عن تضامن الحكومة المصرية مع قوات الحلفاء• وكانت الدعوة موجهـــة الى الانجليز والفرنسيين والاتراك • ولم يكن يخطر ببالى أن كلمـــة بسيطة منى ستثير أزمة حقيقية بينى وبين فاروق • فقد كنا نتحدث معا عن مزاد للكتب اشترى منــه فاروق عددا من الكتب عندما جاء ذكر اسم فيروتشى الايطالى فى الحديث بوصفه الرجل الذى اشترى الكتب لفاروق •

وقال لى الملك : أتدرى من الذى كان يمثلنى فى هذه الصفقة•• صديقك فيروتشى !

وبالكاد تمالكت أعصابى وأنا أحاول أن اذكر الملك أن فيروتشى ليس صديقى بالمرة • ووجدت نفسى أصف فيروتشى بكلمة (هذا الكلب القذر)• ولم يظهر على فاروق أى انفعال حتى انتهى الحفل وعدت الى السفارة واذا بذو الفقار باشا كبير الامناء يطلب أن يحضر فورا لمقابلتى • وعندما تحدث كنت فى غاية الدهشة • فقد ذكر أن الملك مستاء جدا لانى استخدمت وصف (الكلب القذر) لاحد موظفى القصر وهذا لا يليق بكرامة الملك • وحاولت اقناع ذو الفقار باشا اننى لم أكن أقصد المعنى الحـــرفى للكلمة واننى مستعد أن أسميه أمام الملك فاروق (الكلب اللطيف) أو (الكلب النظيف) كمـــا يريد • وأدركت أن الملك فاروق ســـوف يثير لنا المتاعب وأنه أصبح مستحيلا •

(وتقول مذكرات كيلرن هنا أن بريطانيا آخر فى السفارة طرد من مصر فى أوائل ثورة ١٩٥٢ • وهو الملحق الصحفى آرثر كيلاسى الذى شغل بعد ذلك منصب سفير بريطانيا فى اليمن الجنوبيـــة • وكان قد استخدم عبارة (القافلة تسير والكلاب تعوى) بطريقـــة اعتبرتها مصر بعد الثورة غير لائقة وأمرت بطرده) •

مقالب الامير :

فى أوائل فبراير حضر انتونى ايدن الى القاهرة لتحية قوات نيوزيلاندا واستراليا والفرقة الهندية التى سوف تشترك فى القتال مع بريطانيا • وقد صحبته بعد ذلك لزيارة الامير محمد على فى قصره بالمنيل • وشكا الامـــير من الملك فاروق كثيرا امام انطونى ايدن • وقال ان السبب فى ذلك على ماهر وان الاخير رجل لايوثق به بالمرة •• وأن شقيقه أحمد ماهر قال ذلك عنه • وطلب الامير محمد على من ايدن أن تعامل بريطانيـا المصريين بحزم لاننا اذا عاملناهم بلطف فسوف تخـــرج الامور من أيدينا • وخرج ايدن من المقابلة ولديه انطبـــاع أن فاروق سيكون زبونا متعبا لنا • وكذلك رئيس وزرائه على ماهر •

وفى هذه الاثناء كانت الانبـــاء القادمة من جبهـــة القتال فى أوربا لا تسر • فقد اجتاح الالمان النرويج واستسلمت لهم فرنسا • وازاء هذه التطورات أصبح موقفنا فى مصر أكثر صعوبة • وكان هذا شيئا متوقعا • كما كان متوقعا ايضا ان ايطاليا على وشك ان تدخل الحرب هى الاخـــرى الى جانب المانيا • وضعفت ثقة المصريين فى قدرة بريطانيا على الصمود ضد هتلر وخصوصا اذا دخلت ايطاليا أيضا الحـــرب • وتوافرت لدى بعض الدلائل أن حكومة على ماهر باشا والملك نفسه يحاولان الاتصال بالايطاليين من وراء ظهرنا للحصول على ما يطمئنهم بخصوص وضع مصر فى حالة دخول ايطاليا الحرب •

وقررت أن اقابل على ماهر فورا ••

من كان يتجسس فى القصر ؟

وكتب السفير فى مذكراته عن هذا اللقاء مع على ماهر يقول :

(وافق رئيس الوزراء فورا على تسليم الرعايا الالمان المعتقلين فى مصر • وأبلغنى أن الوزير المفوض الايطالى قابله وساله عن موقف مصر بعد خطاب موسولينى الذى أعلن فيه الحـــرب الى جانب المانيا • وأجاب على ماهر أن مصر ملتزمة بمعاهدة ١٩٣٦، وأنها ستتصرف طبقا لهذه المعاهدة • وهنا طلب الوزير الايطالى السماح له بمغادرة البلاد ووافق على ماهر على تسليمه جوازات سفره على أن يتم مبادلة أعضـــاء السفارة الايطالية فى القاهرة بأعضاء الســفارة المصرية والقنصليـــة المصرية فى بنى غازى • وعلى وجه العموم فقد أظهر على ماهر قدرا كبيرا من التعـــاون

معنا • ولكننى مازلت أحس أنه يجب أن نراقبه طوال الوقت لاننى لا أثق فيه) •

وبعد أسبوع من لقاء السفير مع على ماهر تدهور الموقف مرة أخرى وطلبت لندن طرد على ماهر من الحكم • ويقول السفير فى مذكراته عن يوم ١٧ يونيو ١٩٤٠ :

سافرت الى الاسكندرية خصيصا لمقابلة الملك فاروق فى قصر المنتزه • ودار الحديث فى البداية حول تقرير سرى تلقيته من قائد أسطولنا فى الاسكندرية يقول فيه أن الانوار تشاهد ليلا على شواطىء الاسكندرية من مكان معين وأن هذه الانوار قد تصلح كاشارات لغواصات الاعداء أو لتسهيل عملية بث الالغام ليلا • واعطيت الملك فاروق صورا التقطت للمكان الذى تصدر منه الاشارات •

ولم تبد على الملك أية دهشة عندما رأى أن الصور لقصر المنتزه الذى كنا نجلس فيه • وأن الاشارات كانت تصدر من احدى غرف القصر • ووعد فاروق بالتحقيق فى الامر • وبعد ذلك انتقلنا الى الموضوع المهم الذى قدمت من أجله وهو التخلص من على ماهر • وقلت لفاروق أن على ماهر يجب أن يذهب بسرعة (أى يطرد من الحكم) • وقلت له ان لندن لا توافق على عودته الى القصر كرئيس للديوان •

وطلب الملك فاروق مهلة للتفكير فيما سوف يفعله •• وسألنى أى نوع من الحكومات قد أوصى به • ونصحته أن يأتى برئيس وزراء يطبق معاهدة ١٩٣٦ بنصوصها • وقلت له انه يجب أن يجرى مشاورات مع محمد محمود باشا زعيم الاقلية والنحاس باشا زعيم الاغلبية • ولكن فاروق قال انه لا يستطيع أن يتعاون مع الرجل الذى أهانه وهو يجلس فى نفس المقعد الذى كنت جالسا فيه (يقصد النحاس باشا) •

وحاول الملك فاروق أن يهوشنى ، ولكنى أفهمته أن الامر خطير جد • وأن ما يعنينا الان هو أن تكون هناك حكومة مصرية تتعاون معنا باخلاص فى كل ما نريده • وأنه ليس من الضرورى أن تعلن مصر الحرب • وحذرت الملك أنه يلعب بالنار •• وأن الجنرال ويفل قائد قواتنا ينتظرنى بفلق هذا المساء ليعرف قرار الملك (هذا تهديد مباشر لفاروق باستخدام القوة ضده) • ورجوته أن يفعل ما أنصحه به وأن يطرد على ماهر ويتخلص من نصائحه الشريرة ••

وقال لى فاروق انه كملك على مصر فان من واجبه أن يحافظ على الشعب بعيدا عن الحرب وبعيدا عن الطرف الخاسر ..
وقلت له ان مصر اما أن تغرق مع بريطانيا اذا خسرت الحرب أو تنجو معها .. ومن الافضل أن تحاول النجاة معها . وقلت له ايضا اننا سوف ننتصر وانه يجب الا تراوده أية شكوك حول ذلك. وطلبت منه أيضا أن يعود الى القاهرة حيث هو مطلوب هناك .
وهكذا سلمت فاروق ما يشبه الانذار فى ذلك الوقت . ورفضت رجاء حسنين باشا أن نمنح على ماهر فرصة أخرى . وقلت له : انه لا يمكنه أن يلعب معنا بأمانة .

حكومه بريطانية ١٠٪ :

وفى ٢٥ يونيو ١٩٤٠ أى بعد اللقاء العاصف بين السفير والملك فاروق فى الاسكندرية كتب كيلرن يقول :
(ساد الرعب السفارة بعد ظهر ذلك اليوم عندما جاء الجنرال ويفل ليقول ان الشائعات تتردد بقوة عن اعتزام الملك فاروق أن يغادر البلاد بالطائرة الى ايطاليا . واننى أصدرت الاوامر بمنع الملك من السفر بأى شكل . واعترض الجنرال ويفل على تصرفى قائلا اننى يجب أن أترك فاروق يذهب . وهكذا يبدو كأنه قد تحى عن العرش بمحض ارادته . ولكننى عارضت بشدة كلام ويفل . وحاولت أن اذكره بأنه :اذا نجح فاروق فى الوصول الى ايطاليا فسوف يحتضنه موسولينى ويحتفظ به هناك بوصفه المطالب بعرش مصر . وقال ويفل اننى مسئول عن هذا التصرف . وقبلت تحمل المسئولية) .
وبعد ذلك بثلاثة أيام قابلت الملك فاروق وبعثت بالبرقية التالية الى لندن فورا :

هام جدا .. وسرى للغاية :

، قابلت فاروق فى السادسة مساء . ووافقت على اختيار حسن صبرى رئيسا للوزراء بدلا من على ماهر . ووافق فاروق من جانبه على أن تتخذ الحكومة الجديدة جميع الاجراءات العسكرية التى طلبناها من مصر طبقا للمعاهدة . ووعدنى الملك أن يكون القصر فى خدمة الحكومة . وطلب منى أن أبلغ لندن انه مع الانجليز وأن أى كلام آخر غير صحيح .
(وقال فاروق انه حاول جس نبض النحاس ليتولى الوزارة . ولكن النحاس تقدم ببرنامج سياسى وصفه الملك فاروق بأنه برنامج « بلشفى » . واعتذر النحاس عن تولى الحكم . وهكذا

وجد فاروق نفسه مضطرا أن يختـــار الرجل الذى قد ترضى عنه لندن وهو حسن صبرى • كما أنه حشا الوزارة برجال جميعهم معروفون بولائهم لبريطانيا • ولكن فاروق كان يخشى أن الحكومة الجديدة ليست قوية كما ينبغى ولو أنها بريطانية الميول تماما » •.

وتعلق المذكرات على هذه التطورات فتقول :

بعد اللهجة الشديدة التى تحدث بها السفير الى فاروق وبعد استبعاد على ماهر وتعيين حسن صبرى الذى كان سفيرا مصريا فى لندن بدلا منه تحسن الجو بين القصر والسفارة • وهكذا ذهب وزير الدفاع المعادى لبريطانيا فى حكومة على ماهر باشا • وأحيل الى المعاش عزيز المصرى باشا رئيس أركان حرب القوات المصرية• وهو رجل كانت تشك فيه بريطانيا • وكان غير متعاون بالمرة مع الانجليز • كما حدث تطور هام • فقد أصدر فاروق قراره بتعيين أحمد حسنين باشا خريج جامعة أوكسفورد رئيسا للديوان الملكى وهو منصب هام للغاية وحساس جدا •

وفى نفس الوقت كانت فرنسا قد انهارت تماما • ولقى الانجليز هزيمة مروعة عند دنكرك واضطروا الى الانســـحاب • وأصدر القائد الفرنسى أوامره لقوات فرنسا فى لبنان بوقف القتال • ولو أن هتلر تقدم الى الشاطىء البريطانى بعد دنكرك مباشرة لسقطت بريطانيا بسهولة فى يديه • ولكنه توقف عند الشاطىء الفرنسى وبدأ يخطط لحملة كبرى فى شـمال افريقيا • وهكذا بدأ المسرح يستعد لانتقال العمليات الحـــربية على نطاق واســع الى منطقة الشرق الاوسط •

هذا الغلام السخيف :

فى ١٤ أكتوبر زار أنطونى ايدن الذى كان يشغل منصب وزير الدولة لشئون الحرب القاهرة سرا • وأقام فى مبنى السفارة • وقام بزيارة سرية للصحراء الغربية والخـرطوم حيث كان يوجد الامبراطور هيلاسلاسى • وكانت السلطات البريطانية فى السودان تحاول مساعدة هيلاسلاسى على اســـتعادة أثيوبيا وتحريرها من أيدى الايطاليين •

وكانت القوات الايطالية قد عبرت الحـــدود المصرية فى ١٢ سبتمبر ١٩٤٠ • وقبل ذلك بشهر كانت الغارات الجوية على المدن المصرية قد بدأت وأخذت طابعا عنيفا • وعندما توقف زحف القوات الايطالية فى الصحراء الغربية فكـــر موسولينى فى الهجوم على

اليونان • وفعلا نزلت القوات الايطالية على شواطىء اليونان فى ٢٨ أكتوبر من نفس العام •

واصطحب انطونى ايدن وهادلستون الحـــاكم العام للسودان (المصرى الانجليزى فى ذلك الوقت) الى قصر عابدين • وحاول فاروق أن يتظاهر بالود نحوهما • ولكن ضحكته المعهودة كانت تكشف عصبيته وقلقه • واستمر الحديث بيننـــا حوالى ساعة • وكعادته حاول فاروق أن يستعرض أمام ايدن أنه الرجـــل العليم بكل شىء • وكانت نظرات ايدن تتغير كلما قال فاروق شيئا لم يراع فيه اللياقة أو الدبلوماسية • وبعد خروجنا من القصر قال لى ايدن :

ـ مايلز •• كيف تستطيع أن تتحمل هذا الغلام السخيف •• وأى صبر عندك فى التعامل معه •• لابد انه يضايقك كثيرا •

وقبل انصرافنا من القصر استطاع ايدن احراج الملك عندما قال له ان وزير الدفاع المصرى اكد لايدن انه اذاهوجمت القوات المصرية الموجودة فى واحة سيوه بواسطة القـــوات الايطالية فان القوات المصرية لديها أوامر بأن تقاوم القوات الايطالية • ويبدو أن فاروق لم يكن يعلم شيئا عن ذلك • وكان تعليقه :

اذا كان وزير الدفاع قد ذكر لك ذلك فلابد انه صحيح •

وقبل عودة ايدن الى لندن أقامت السفارة له حفـــلا دعت اليه جميع رؤساء الوزارات السابقين فى مصر وزعمـــاء السياسة • وتخلف عن الحفل على ماهر باشا واعتـــذر بأنه مريض • وكان رأيى الشخصى ألا نوجه له الدعوة • ولكن البروتوكول كان يحتم ذلك • وقد اقمنا الحفل بعد الافطار لاننا كنا فى شهر رمضان فى ذلك الوقت • وكانت فرصة التقى فيهـــا ايدن مع معظم الزعماء السياسيين فى مصر وتحدث اليهم •

وبعد الحفل قال لى ايدن أن الانطباع الذى خرج به عن جميع الزعماء الذين تحدث اليهم أن الملك هو سبب كل المتاعب • وقال لى ايدن انه يبدو أن هناك اجمـــاعا فى الرأى على ذلك • وانه عندما كان هناك فى فبراير الماضى كان الزعماء أكثر حرصا فى الحديث معه • وقال لى ايدن صراحة أن رأيه بعـــد كل ما سمعه عن فاروق أن الشىء الوحيد الذى يجب أن تفعله بريطانيا ان تطرد هذا الغلام • وقلت لايدن أن هذا هو ما فكرت فيه عدة مرات •

احترسوا من احمد حسين :

واثناء زيارة ايدن السرية للصحراء الغربية كلفنى بعقد اجتماع فى السفارة لرؤســـاء اركان الحرب • وكان أهم موضـــوع فى

الاجتماع بحث ما اذا كان من واجبنا التخلص من فاروق وقلت في الاجتماع رأيي بصراحة اننا يجب أن نتخلص منه ، وأنه سيظل شوكة في ظهرنا ، وانني لا أطمئن اليه خصوصا اذا ساءت الاحوال في الصحراء الغربية ، ولكن الجنرال ويفل عارض هذا الرأي بشدة ، وقال اننا لن نستطيع اخضاع مصر والمصريين بمجرد التخلص من فاروق ، وسألني :

- مايلز .. ألم تفكر في أحمد حسين وحركة « القمصان الخضراء » وما يستطيع هؤلاء الفاشيون أن يفعلوه ؟

وظل النقاش هكذا وقتا طويلا ، وأخيرا قررنا ترك الموضوع لايدن ليتخذ فيه قراره ، ولكن ايدن انشغل بأوامر من لندن أن نحول جزءا من قواتنا للدفاع عن اليونان خصوصا السلاح الجوي .

وفي منتصف نوفمبر حضرت حفل افتتاح البرلمان ، وكان الامير عبد الله الاردني يجلس الى جواري ، وجلس فاروق في مكانه ، وسلم الى حسن صبري رئيس الوزراء الخطاب الذي سيلقيه في حفل الافتتاح ، واستمر الخطاب وقتا طويلا ، واذكر ان الامير عبد الله استدار نحوي وهو يقول : يا له من خطاب طويل .

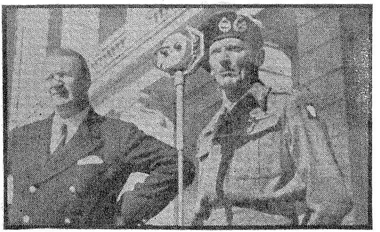
وفجأة سكت صوت رئيس الوزراء ثم ترنح قليلا ثم نظر الى الملك واخذ يبحث عن أحد يستند اليه فلم يجد أحدا ، ثم انهار على أرض القاعة ، وأسرع الوزراء في محاولة لاسعافه ، وحدث هرج ومرج ، وأثناء انصرافنا قال لي أحد المسئولين ان رئيس الوزراء قد مات بالسكتة القلبية .

وكان هذا خبرا سيئا لي شخصيا ولبريطانيا أيضا ، فقد كان حسن صبري من أشد المخلصين لنا ، وكان دائما يلتقي معنا في منتصف الطريق ، بل انه اشترط لتولي رئاسة الوزارة أن نعطي ثقتنا التامة فيه ، وقد تدخل عدة مرات لحل الازمات بيننا وبين فاروق ، وكنت أحترمه لامانته وصراحته معنا .

وحدت أفكر : ترى من يخلف حسن صبري في هذا المنصب الخطير الان ؟

ولم يطل تفكيري طويلا ، فقد خلف حسن صبري في رئاسة الوزارة صديق لنا هو حسين سري باشا ، وهو متزوج من الاسرة المالكة ، ومعروف بميوله البريطانية .

وفي هذا الوقت نشبت معارك حامية في الصحراء الغربية ، واستطاعت القوات المدرعة أن تلحق هزيمة بالقوات الايطالية وتطاردها نحو السلوم ، وكان هذا أحسن الاخبار التي سمعتها في اخر عام ١٩٤٠ الذي كان حافلا بالاخبار السيئة للحلفاء .



كان مونتجومرى قائدا خشنا •• ولكنه استطاع انقاذ بريطانيا من الهزيمة

عندما تقدم روميل نحو مصر

في هذه الحلقة يتدهور الموقف في الداخل والخارج • في الداخل تسير المظاهرات في الشوارع ضد الانجليز ، وتحمل لافتات تتمنى لهم الهزيمة والخروج نهائيا من مصر •• وفي الخارج يصل الجنرال (روميل) الى مسرح العمليـــات في الصحراء الغربيــة ، فينقلب الموقف ، ويلحق ثعلب الصحراء الالماني بالقوات البريطانية خسائر فادحة في الرجال والعتاد•
وتقف القوات الالمانية على أبواب مصر استعدادا للهجوم الكبير•
ولكن سير (مايلز لامبسون) السفير البريطاني في القاهرة، ما زال مشغولا بلعبة القط والفار ، بين السفارة والقصر

١٩٤١

وصل الجنرال روميل الى مسرح العمليات فى شمال افريقيا • وبدأت الامور تأخذ شكلا آخر فى حرب الصحراء • كنا قد استولينا فى أوائل العام على مدينة بنغازى • وكان ذلك انتصارا كبيرا لخطة الجنرال ويفل • ولكننا اضطررنا الى تخفيض قواتنا فى برقة لمساعدة اليونانيين لان الاحوال فى الجبهة اليونانية لم تكن على ما يرام • ثم قرر الالمان التدخل فى شمال افريقيا • وجاء روميل ومعه اوامر من هتلر بالدفاع عن طرابلس • وبعد ذلك تغيرت الاوامر • وأصبحت مهمة روميل الاولى شن هجوم شامل على قواتنا فى الصحراء • وبدأ الهجوم فى ٢١ مارس جنوب مدينة بنغازى • وبعد ١١ يوما من القتال تمكن روميل من اجبار القوات البريطانية على الانسحاب • وتراجعت القوات بسرعة نحو الحدود المصرية • وسقطت طبرق فى أيدى الالمان •
ويقول مايلز لامبسون فى مذكراته عن الايام الاولى من سنة ١٩٤١ :

أول يوم فى السنة الجديدة • والامل أن يكون هذا العام أفضل من السابق • ولكننا يجب ألا ننسى أن المانيا هى البندقة التى يجب أن نحطمها لكى نكسب هذه الحرب • وفى اعتقادى ان الحرب سوف تمتد هذا العام الى الطرف الشرقى من البحر المتوسط • وعلينا أن نجعل من مصر قلعة نصب فيها الرجال والعتاد استعدادا لمعارك كبرى قد تدور فى البلقان • وبالنسبة لموقف المصريين هنا من الحرب استطيع أن أقول ان جميع الباشوات الذين قابلتهم فى الايام الاخيرة أصبحوا أكثر ثقة فينا • وكان حديث توفيق نسيم باشا بحماس اكثرهم استرعاء لنظرى • فقد كانت قوائمنا السرية تقول انه من أسوأ الناس المذبذبين الذين يثرثرون عن هزيمة بريطانيا التى توشك أن تقع قريبا • ولكنه مثل صدقى باشا أصبح الان من الواثقين فى انتصار بريطانيا •
وهذا هو الجانب المضحك من الطبيعة البشرية •

اما فاروق فقد أصبح لامبسون راضيا عنه تماما فى بداية عام ١٩٤١ • فهو يقول :

حضر فاروق ومعه الملكة فريدة والملكة نازلى حفلا للترفيه

عن القوات البريطانية فى مصر • وكانت هذه لفتة طيبة من الملك الذى استدعانى للحديث معـــه فى اللوج المخصص له • وكان يجلس معنا حسنين باشا وحسين سرى باشا • وقد علمت بعـد ذلك أن الملك أجل رحلته الى الصعيد حتى يحضر الحفل • ولهذا فانا أستطيع الان أن اعطيه عشرة على عشرة لانه حضر هـــذا الحفل •

ثم وقع حادث صغير يعكر صفو هذه العلاقة المتحســـنة مع القصر • ويقول لامبسون :

فى ١٦ يناير حضرت الاجتماع الاسبوعى للمجلس البريطانى الذى يبحث وسائل تعاون السفارة والجالية البريطانية فى مصر • وكان أعضاء المجلس قد سألونى فى الاسبوع المـاضى عن حقيقة القصة التى تقول ان وثيقة سرية بريطانية هامة جـدا تسربت من أيدى المصريين الى الالمان •• وان هذه الوثيقة كانت مرسلة من شخصية بريطانية الى وزير الدفاع المصرى وكانت تتحـــدث عن خطط القوات البريطانية ومواقعها للدفاع عن واحة سيوه • وقد عثرت عليها القوات البريطانية بين عدد آخر من الوثائق استولت عليها فى سيدى برانى •

وقلت للمجلس اننى بحثت الامر مع سرى باشا رئيس الوزراء وطلبت تحقيقا كاملا لمعرفة المسئول عنتسرب هـذه الوثيقة الى الالمان • ووعدنى حسنين سرى باشا باجـراء التحقيق • ولكن يبدو أن هناك أيادى خفية تحاول أن تمنع التحقيق أو على الاقل تعرقله عن الوصول الى الاشخاص الذين هم وراء ذلك • واعتقد أن من بينهم على ماهر باشا وصالح حرب باشا •

ديجول فى القاهرة :

فى ١٢ ابريل ١٩٤٢ زارنى الجنرال ديجول فى مكتبى بالسفارة• وكان يرافقه الجنرال كاترو • وعلى عكس ما كنت أتوقع وجـــدت ديجول رجلا مثيرا وجـــذابا • وكان يبدو عليـــه التصميم على تحرير فرنسا واستعادتها من أيدى الالمان • كما كان يلقى على أسئلة مثل طلقات النار • ولم يتردد فى انتقاد موقف بريطانيا المائع تجاه سوريا • ولكنى بعد المقابلة أصبحت أكثر ثقـــة فى ديجول • وأستطيع أن أقول بدون شك انه (رجل) •

وبعد ذلك بدأت الانباء السيئة تتلاحق من الصحراء الغربية بعدالهجوم الالماني بقيادة روميل • وفى صباح ٤ ابريل كانت جميع الصحف المصرية تحمـــل فى صفحاتها الاولى خبر انسحابنا من بنغازى • وقد حرصنا على اذاعة الخبر بطريقة معينة بواسطة الرقابة على الصحف حتى لا يحدث رد فعـــل سيىء • وقال ى ابنى مايلز جراهام (لورد كيلرن الحالى) ان لنا ٦٠ الف رجل فى شمال افريقيا • وان أكبر خطأ ارتكبناه اننا لم نحاول طـرد الايطاليين من طرابلس • وهكذا أتحنا الفرصة لروميل ليهجم علينا وعندما سألت عن المسئول عن وقف هجومنا على طرابلس علمت بعد ذلك ان رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل هو الذى أمر بذلك شخصيا •

وفى اليوم التالى جاء ايدن لزيارة قواتنـــا والاجتماع بقادة المنطقة • ورأيت فى التعبـــيرات على وجه ايدن ومرافقيــــه أن الهزيمة التى لاقيناها فى الصحراء أسوأ مما نعتقد • وقال أحد مرافقى ايدن ان فرقة مدرعات بريطانية لم تصمد وانها تحطمت تماما فى القتال • وان أكبر شىء نعانى منه أن معداتنا لا تصلح لقتال الصحراء واننا فى حاجة الى بعض الوقت لتعديلها ، وبعد اجتماع ايدن والقادة البريطانيين كان الوجوم باديا على وجهه• وبدأت اخبار أخرى سيئة تتوالى • ولاول مرة فى حيـــاتى رأيت ايدن يفقد أعصابه ويبدو عليه التوتر والهياج •

وفى ذلك الوقت اشتدت الغـــارات على المدن المصرية وخاصة الاسكندرية ومدن القناة • وأصبح الموقف شيئا بسبب الصعوبات التى نجمت عن هذه الغارات • ولم يكن الحال أفضل فى سوريا ولبنان حيث توجد قوات الفيشى الفرنسية التى استسلمت لالمانيا• وفى العراق تدهور الموقف عندما حاصر الكولونيل رشـيد عالى المعادى لبريطانيا قواتنا هنـــاك • وفى بضعة شـــهور استطاع الالمان اجتياح يوغوسلافيا واليونان • وانسحبت قواتنا من جزيرة كريت فى مايو • وفى نهاية هذا الشهر أيضا بدأ الغزو الالمــــانى للاتحاد السوفيتى •

كل هذه الانتصــــارات ساعدت على رواج أســـطورة النازى والرايخ الذى لا يهزم • ولكن وسط كل هذه الاخبار المحزنة عن هزائم الحلفاء تمكنت قواتنا فى العراق من احباط انقلاب رشـيد عالى الكيلانى • وكذلك أمكننا احباط محاولة المانية للوصول الى سوريا ودخلت قوات الكومنولث مع قوات فرنســـا الحرة سوريا

بعد معارك دامية مع قوات فيشى هناك استمرت شــهرا • وانهارت أيضا امبراطورية موسولينى فى أثيوبيا • ورغم ذلك كان الموقف فى الصحراء الغربية مثيرا للمخاوف والدليل على ذلك اعفــاء الجنرال ويفل من منصبه واحلال أوكنلك مكانه •

وتلقيت أخبارا أخرى تقول أن عــددا من كبار القواد الانجليز سقطوا فى أيدى روميل وأن الغارات الالمــانية على مواقعنا داخل مصر تحدث أضرارا كبيرة • وألقى تشرشل خطبة أخرى من خطبه التى تثير الاعجاب واعترف تشرشــل بالضربة التى تلقيناها فى برقة • وقال ان الجنرالات الانجليز أخذوا على غرة بهجوم روميل الخاطف • وقال تشرشل أن قتــالا مريرا ينتظرنا فى الصــحراء الغربية ليس فقط من أجل استعادة ليبيا •• بل من أجل الدفاع عن وجودنا فى مصر •

وكانت مشــكلتى الاولى فى القــاهرة كيف نخفف من وقع هزيمتنا على الرأى العام المصرى حتى لا ينقلب ضدنا •

مصر أو العراق ؟

وعلمت بعد ذلك أن الالمان استولوا على طبرق وأن القتال يدور أيضا فى السلوم•• أى على الاراضى المصرية• وكان هذا أقسى نبأ على نفسى • وجلسنا نتداول الامر فى السفارة •• وقال بعضهم انه من ثعلب مثل روميل لايمكنك أن تتنبأ أين يضرب ضربته التالية •• وأن الدبابات الالمانية قد تظهر فجأة فى المنيا • وقال صديق آخر يجب أن نستعد للاسوأ وأن نفكر فى أنفسنا أولا ولا يهمنا اذا انسحبنا من مصر أولا • وكان رأى هذا الصديق أيضا اننا يجب أن ننسحب من مصر الى الجنوب ونترك البحر المتوسط يدافع عن نفسه • وقد عارضت أنا وزوجتى بشدة الرأى القائل بانسحابنا من مصر وقلت ان ذلك سيؤدى الى كارثة •

وبعد ثلاثة أيام من ســقوط طبرق قابلت حســين سرى رئيس الوزراء ، ودار الحديث حــول دور القوات المصرية فى القتال • ونقلت الى حسين سرى رأى القيادة البريطانية أن الجيش المصرى يقوم بعمل هام فى حراسة القنــاة والمدن ضد الغارات الجوية والجسور والكبارى ، وان الاوامر الصادرة للقوات المصرية فى سيوه بالقتال اذا هوجمت تناســبنا تماما • وكنا قد ناقشنا فى القيادة البريطانية احتمال اشتراك مصر فى الحرب رسميا • ولكننا

رأينا ان ذلك سيؤدى الى ضرب القاهرة بقنابل الطائرات الالمانية، وهو شيء يضرنا اكثر مما ينفعنا الان .

وقال لى حسين سرى أنه سوف يتحدث أمام البرلمان ، واقترح أن ينقل الى النواب ما دار بيننا من حـديث • ولكننى نصحته أن لا يتحدث عن التفصـيلات وأن يكون خطابه عاما حتى لا يستفيد الالمان من اية اسرار، ولما سألته عن مصير التحقيق مع صالح حرب وعلى ماهر حول الوثيقة المصرية قال لى حسين سرى أن الموقف فى السلوم جعل أى شيء لا يهم بجانبه • وعندما خرجت من مكتب رئيس الوزراء كان هناك حشـــد من الصحفيين المصريين يسألون عن آخر الاخبار • وقلت لهم شيئا عن الشجاعة والثقة والصمود •

وفى بغداد ايضا تدهورت الامور بشـــكل خطير هناك • فقد تلقيت برقية فى ٣٠ ابريل من قاعدة الحبانية القريبة من العاصمة العراقية تقول ان القوات العراقية التى ظلت تتجمع فى اليومين الاخيرين حاصرت قاعدة الحبانية وأبلغت قائد القاعدة البريطانى انه غير مسموح له بالدخول أو الخروج • وانه اذا حاول احـــد الخروج أو اذا حاولت احدى الطائرات الاقلاع فان القوات العراقية سوف تضربها بالنار • ورد القائد البريطانى انه اذا حـدث ذلك فسوف يعتبره عملا من أعمال الحرب وبغداد هى المسئولة عن ذلك •

وكان رشيد عالى الكيلانى قد عين رئيسـا للوزراء بعد حركة انقلاب ثورية قام بها الجيش العراقى ضد القوات البريطانية هناك• وعندما علم تشرشل بهذه الانبـــاء ابرق الى القائد البريطانى فى الحبانية يقول :

اضربوهم بشدة وبسرعة •

وفعلا نشب قتال عنيف حول القاعدة •

وجاءنى القائد البريطانى للشرق الاوسط وهو يقول ان الحـل الوحيد ان نحاول الاتفاق مع رشيد عالى الكيلانى •• وكان لهذا الخبر وقع الصاعقة على نفسى • وعندما سألنى القائد : يجب أن نقدر الان ايهما أهم لبريطانيا مصر أو العراق ؟

ووجدت نفسى أقول له بلا وعى : مصر طبعا • وكان الشيء الذى يشغلنى أن يحدث فى مصر ما جرى فى العراق • وعندئذ سوف تكون هناك متاعب كبرى لنا ••

الذهب المصرى اخذوه معهم :

ثم وقع حادث خطير فى مصر له صلة بما كان يجرى فى العراق ..
ففى الساعات الاولى من فجر يوم ١٧ مايو ١٩٤١ اقلعت طائرة عسكرية مصرية تابعة للجيش المصرى من احد المطارات المصرية وهى تحمل عزيز المصرى باشا واثنين من الطيارين المصريين .. وكانت الطائرة تحاول الوصول الى بيروت للانضمام الى ثوار العراق . ولكن الطائرة بعد اقلاعها بقليل حدث بها خلل واضطرت الى الهبوط بالقرب من قليوب وعلى مسافة غير بعيدة من القناطر الخيرية .

وتوجه عزيز المصرى الى مأمور قليوب .. وقال له ان حادثا وقع لسيارته . وطلب منه سيارة حكومية لتوصيله . واستقل القائد المصرى وزميلاه الطياران السيارة الى شبرا ، ومن هناك أخذوا سيارة تاكسى تمكن البوليس بواسطة سائقها من معرفة المكان الذى ذهبوا اليه . وعندما علم البوليس بخبر سقوط الطائرة توجه الى هناك . وبالتفتيش فى الحقائب التى تركها عزيز المصرى عثروا على خرائط ووثائق تشير الى انهم كانوا فى طريقهم الى بيروت . وانهم كانوا يريدون الانضمام الى قوات رشيد عالى الكيلانى .

وظل البوليس بعض الوقت يبحث عن ركاب الطائرة . وفشلت الجهود فى العثور عليهم وتوجهت لمقابلة رئيس الوزراء حسين سرى باشا لبحث الامر .. ووجدته ثائرا للغاية لفشل البوليس فى العثور على عزيز المصرى وشريكيه ، واستدعى حسين سرى باشا قائد البوليس بالقاهرة وكان راسل باشا فى ذلك الوقت وحمله مسئولية فشل البوليس فى القبض على عزيز المصرى . وقلت لرئيس الوزراء أن حادث عزيز المصرى يؤكد ما سبق أن قلته له من قبل أن هناك بعض المصريين فى مناصب عليا على اتصال بحركة رشيد عالى الكيلانى المعادية لبريطانيا . وقلت لحسين سرى :

أرجو ياصاحب السعادة أن تكون مدركا لعواقب هذه المؤامرة .
وأجاب : أنا أعرف ذلك تماما .. اننى لا أجد أحدا اثق فيه هذه الايام .

⊙◈⊙

وكان عزيز المصرى باشا قد خدم فى الجيش التركى ايام

الامبراطورية العثمانية • وفى سنة ١٩١٢ اشترك مع نورى السعيد فى حركة المقاومة ضد القوات الايطالية • وبعد ذلك التحق بقصر عابدين كمعلم للملك فاروق • وسافر معـــه الى لندن أثناء فترة تعليمه هناك • وعين سنة ١٩٣٨ مفتشا عاما للجيش المصرى وكان معروفا بعدائه للانجليز الذين يحتلون بلاده • ويصفه لامبسون فى مذكراته بقوله (عزيز المصرى السيىء) •

وفى هذه الاثناء تطورت الامور الى الاسوأ فى البحر المتوسط • وأبلغنى القائد البريطانى أن الموقف فى جزيرة كريت يبعث على القلق • وأن القوات الالمانية تتدفق هناك بشـكل يدعو للحيرة • واثار القائد معى مسالة انتقال ملك وحـكومة اليونان الى مصر للاقامة فى المنفى • وأبلغته أننى اتصلت بالحكومة المصرية وحصلت على موافقتها •• وبعـد ذلك جاءتنى برقيـة من وزارة الخارجية تسأل عن الذهب المصرى وما الذى نقترح أن نفعـــله لحمايته من السقوط فى أيدى الالمان •

وكنت قد ناقشت هذه المسالة مع بدوى وزير المالية المصرى فى ذلك الوقت • وكنا نتساءل :

هل نرسل الذهب المصرى الى الخرطوم أو اننا يجب أن نرسله الى جنوب افريقيا ؟

والذهب الذى اتحدث عنه هنا هوالغطاء الذهبى للنقد المصرى • وبعد أخذ ورد اتفقنا على انه من الافضل نقل الذهب المصرى الى جنوب افريقيا • وأرسلت الى القيـــادة البريطانية لاتخاذ اللازم كتأمين عملية نقل الذهب المصرى الى كيب تاون •

الكولونيل الغامض :

وفى أوائل شهر يوليو استدعانى رئيس الوزراء حســين سرى باشا الى مكتبه ليعرض على نتـــائج التحقيق مع عزيز المصرى باشا • وكان النائب العام يشرف بنفســـه على التحقيق • وجاء فى أوراق التحقيق كما ذكر لى رئيس الوزراء كلام منســوب الى عزيز المصرى يقول فيه انه حاول السفر مع زميليه بالطائرة الى العراق سرا بناء على طلب كولونيـــل بريطانى غامض زار عزيز المصرى قبل العملية مباشرة • وقال عزيز المصرى أيضا انه كان يعرف الكثيرين من العراقيين فى حركة رشـــيد عالى الكيلانى • ولهذا فكر فى الاتصال بهم •

وقال لى حسين سرى باشا :

اذا أردت أن يستمر التحقيق فعليك أن تستدعى هذا الكولونيل الانجليزى الغامض لاستكمال التحقيق معه • واذا أردت أن نغلق التحقيق ونتكتم الامر ففى وسعنا أن نفعل ذلك •

وكان رئيس الوزراء يعنى انه كان هناك شىء مريب فى قضية عزيز المصرى فمن الافضل كتمـــان الموضوع كله حتى لا يقع أى احراج لبريطانيا • وكنت فى البداية واثقـــا أن هذه القصة من خيال عـــزيز المصرى باشا • وعندما ذكرت ذلك نصحنى رئيس الوزراء أن أستشير فيتزباتريك باشـــا نائب راســل باشا قبل أن أتخذ أى قرار • وقال لى حســـين سرى أن فيتزباتريك انجليزى معروف وسوف يؤكد لى رواية عزيز المصرى باشا •

وقابلنى أيضا حلمى باشـــا وزير العدل • وأكد لى أن عزيز المصرى قام بهذه العملية حتى يســـاعد الانجليز على الاتفاق مع ثوار العراق • وسارعت بالتحرى عن هذا الضابط البريطانى الذى قابل عزيز المصرى • وفعلا اكتشفت أن شخصا يدعى الكولونيل ثور نهيل زار عزيز المصرى قبل عمليـــة الطائرة مباشرة • ولم أتمكن من معرفة من الذى كلفه بذلك • وهكذا ازداد الغموض حول هذه القضية المحيرة •

وعندما عدت الى السفارة وجدت تقريرا آخر عن تصرفات سيئة لراندولف تشرشل الذى كان يزور مصر فى ذلك الوقت بعـــد أن عهد اليه بمنصب رسمى خاص بالاشراف على البيانات الصحفية للحلفاء • وقال التقرير السرى أن تشرشل الصغير كان فى حفـل عشاء بالاسكندرية وقال كلاما يمس أسرارا عسكرية للحلفاء أمام بعض المصريين • وكنت قد حذرته من التحدث أمام المصريين خوفا من انتقال هـــذه المعلومات الى الالمان • واســتدعيت راندولف وعنفته • ولكنه نفى الواقعة واتهم شخصا انجليزيا يدعى لورد الدولى بكتابة هذا التقرير عنـــه ليسىء اليه • وانصرف بعد أن وعدنى أن يكون أكثر حرصا •

وفى نوفمبر بدأ الحلفـــاء هجومهم المضاد ضد روميل • وفى ديسمبر هاجمت اليابان الاســـطول الامريكى فى بيرل هاربور • وطلبت منى السفارة الامريكية أن أتوســـط لاقناع المصريين بقطع العلاقات مع اليابان •

١٩٤٢

كانت هذه السنة حافلة بالتطورات العسكرية والسياسية • ومن ناحية الحرب تلخص المذكرات ما حدث فتقول ان معركة العلمين كانت بداية النهاية • وقد بدأت بقتال عنيف وشرس فى الصحراء الغربية • وكان الجنرال اوكنلك قد بدأ هجومه ضد قوات روميل فى نوفمبر وديسمبر من العام الماضى • ولكن روميل الثعلب الالمانى قام بهجوم مضاد فى يناير لم يتمكن الانجليز من وقفه الا عند طبرق • وحتى شهر مايو من هذا العام كانت قوات روميل عاجزة عن القيام بهجوم آخر او التقدم اكثر من ذلك •

وأهم من معركة روميل ومونتجمرى كما تقول المذكرات كانت المعركة الكبرى فى الجبهة الداخلية المصرية بين الملك فاروق وبين السفير البريطانى • فقد حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين فى الوقت الذى كان السفير سير مايلز لامبسون يقدم انذاره المشهور الى الملك فاروق• وكاد الملك أن يفقد عرشه فى ذلك اليوم• غير أن التطورات أدت الى تكليف النحاس باشا بتأليف الوزارة وقيادة مصر بسلام خلال الشهور الصعبة التى أعقبت هذا الحادث •

ومن الاسباب التى قيلت كما جاء فى المذكرات عن حادث ٤ فبراير المشهور انه فى ٦ يناير قطعت الحكومة المصرية علاقاتها مع حكومة فيشى فى فرنسا التى كانت تتعاون مع المانيا ولم يعجب هذا القرار الملك فاروق • كما أن الحكومة لم تأخذ رايه • ولهذا طلب استقالة وزير الخارجية • ولكن رئيس الوزراء حسين سرى باشا رفض طلب الملك • وكان يقف وراءه ويسانده طبعا السفير البريطانى •

وهذه هى القصة كما يحكيها السفير نفسه من واقع برقياته الى وزارة الخارجية البريطانية :

الثلاثاء ٢٠ يناير :

علمت من مصدر موثوق به أن وزير الخارجية المصرى قدم استقالته بعد أن عنفه الملك فاروق بشدة لاقدامه على قطع العلاقات

الدبلوماسية مع حكومة فيشى دون أن يستشيره أولا • ورغم أن جميع زملاء الوزير فى المجلس قد تضايقوا منه الا اننى علمت أن الملك ينوى قبول الاستقالة • وقد طلبت على الفور بمجرد تلقى هذه المعلومات اجتماعا عاجلا مع رئيس الوزراء ، وأبلغته أن هذا الخبر اذا صح فسيكون فى منتهى الخطورة • وحاول رئيس الوزراء أن يستدرجنى ليعرف ما الذى قد يحدث اذا كان النبأ صحيحا • وأجبت انه يعنى طرد وزير مصرى لانه استجاب لطلب بريطانيا حليفة صاحب الجلالة الملك فاروق • وتركت حسين سرى باشا يخمن النتائج التى قد تترتب على ذلك •

واجاب رئيس الوزراء عن سؤالى حول صحة الواقعة فقال ان قرار قطع العلاقات مع حكومة فيشى مازال قائما • وأن وزير الخارجية بنفسه سيؤكد هذا القرار فى اجتماع لجنة الشئون الخارجية بالبرلمان بعد ظهر اليوم • ومعنى هذه الاجابة أن وزير الخارجية لم ولن يستقيل وأعربت عن سرورى لهذا الرد •

وبعد ذلك قال رئيس الوزراء :

- الان وبعد أن تحدثنا رسميا دعنا نتحدث معا بصراحة وبصفة شخصية •

وأبلغنى سرى باشا ان قصة تدخل الملك صحيحة وانه اجتمع به فى أكبر لقاء عاصف بينهما وتمكن من اقناعه بأن يسحب تدخله فى هذه المسألة • وقال لى حسين سرى باشا عن الملك فاروق :

- هذا الغلام جبان تماما •• ويجب أن نخيفه من وقت لاخر حتى ننقذه من نفسه •• واستطيع أن أؤكد لك ان الوزير الفرنسى المفوض لن يأخذ منا نياشين عند رحيله من مصر •

ثورة فى الازهر :

ويمضى السفير فى برقيته الى وزارة الخارجية البريطانية فيقول :

وتحدث الى رئيس الوزراء المصرى بعد ذلك عن النفوذ السيىء لبعض الناس المقربين فى حاشية فاروق • وانتهزت الفرصة وطلبت منه أن يصر على ضرورة طرد عبد الوهاب طلعت الذى كان فى نظرى أحد عملاء على ماهر فى القصر • ولكن رئيس الوزراء عارض ذلك بقوة لاسباب لست أدريها • وحتى الان لست أدرى كيف نتصرف مع فاروق • هل نجعلها ازمة ونفجرها معه

ولنر ما سوف يحدث • أو نمضى قليلا فى سياسة الصبر معه ؟» سوف أفكر فى الامر وأكتب اليكم •

وتكشف المذكرات بعد ذلك أن السفير كان يفكر فعلا فى استخدام القوة ضد الملك • ولكن الشيء الذى كان يقلقه انه كلما عرض ذلك فى اجتماعات السفارة كان العسكريون يبدون اعتراضات قوية ضد هذا التصرف • وعرض الامر على صديق له فى الخارجية البريطانية • فوافقه على ضرورة استخدام القوة • وقال انه فى حالة الحصول على موافقة الخارجية البريطانية على هذا التصرف مع فاروق فان القادة العسكريين لن يجدوا مجالا واسعا للاعتراض •

واثناء ذلك كانت أنباء القتال فى الجبهة الغربية تشير الى تدهور الموقف هناك • فقد اندفعت قوات روميل فى أواخر يناير ١٩٤٢ فجأة وسط القوات البريطانية وأحدثت خسائر ضخمة بين الانجليز فى الرجال والعتاد واستولت على كميات كبيرة من الاسلحة • وأسرع الجنرال أوكنلك الى هناك ليشرف على الموقف بنفسه • وتضيف هذه الهزائم الى الحالة النفسية السيئة عند السفير وتؤثر فى قراره الذى لن يمضى وقت طويل حتى ينفذه بالتصرف بشدة مع الملك •

الاحد أول فبراير — كوم أوشيم :

قابلت سرى باشا رئيس الوزراء مرة أخرى بعد حفل عشاء أقامه خصيصا ليرانى • ووجدته فى حالة نفسية عالية • وشرح لى بالتفصيل انه عنده أمل كبير فى أنه قد تغلب الآن على الصعوبات التى اعترضت العلاقات بيننا فى الاسبوع الماضى • وقال لى انه بعد لقائنا الاخير توجه لمقابلة الملك فى القصر فى نفس الليلة • وأن الملك وافق على اغلاق موضوع وزير الخارجية وقطع العلاقات مع حكومة فيشى • وانه وافق أيضا على تسوية المشاكل الاخرى المتبقية بيننا ومنها طرد عبد الوهاب طلعت باشا نائب حسنين باشا رئيس الديوان من القصر • وكذلك التخلص من الايطاليين الموجودين فى القصر •

وكم كانت دهشتى ودهشة سرى باشا نفسه كبيرة عندما اكتشفنا صباح اليوم التالى أن المشكلة لم تنته كما تخيلنا • وأن المتاعب بدأت تأخذ شكلا آخر • وانها امتدت الى الجامع الازهر • واعتقد

أن الشيخ المراغى (محمد مصطفى المراغى .. شيخ الازهر فى تلك الوقت) هو المحـــرك الاول لهذه المظاهرات المعــادية لنا من أصدقاء على ماهر والعناصر الاخرى الشريرة المعادية لنا .

واتصل بى رئيس الوزراء سرى باشـــا وقال انه أبلغ المراغى انه مادام الازهر يقصر نشاطه على الشئون الدينية فان الحكومة لن تتدخل . ولكن اذا تدخل الازهر فى السياسة فانه لن يتردد فى ارسال البوليس اليهم لاجـــر ء اللازم .. وطلب سرى باشا من المراغى أن يوقف فورا هذه المظاهرات المعــادية للانجليز . ولكن تحذيرات سرى باشا لم تؤثر فى الموقف . فقد تكررت المظاهرات والهتافات المعادية لنا فى شوارع القاهرة فى اليوم التالى.. وكان المتظاهرون يحملون لافتات ضد بريطانيا والاحتلال البريطانى .

وتحاول المذكرات كما هى العادة هنا أن تمر بسرعة وفى سطور قليلة على هذه الحركة المعادية للانجليز فى الوقت الذى كان روميل يدق على أبواب مصر . وينتقل لامبسون بعد ذلك الى الحديث عما جرى فى القصر .

سوف يمسحون بى البلاط :

وبعث رئيس الوزراء يطلب حســـنين باشا رئيس الـــديوان . وأبلغه انه مستعد تماما لقمع حركة الجامع الازهر بشرط أن يحصل على تأكيدات من الملك فاروق انه يؤيد هـــذا التصرف . وطلب حسنين باشا مهلة للرد . ثم عاد بعد ظهر نفس اليوم ليبلغ سرى باشا أن القصر لا علاقة له بالموضوع وأن رئيس الوزراء يستطيع أن يفعل ما يحلو له .

وقال لى سرى باشا أن معنى كلام القصر أن الملك لم يعد يؤيده ولا يثق فيه . وقال انه ذهب فورا للتشاور مع أحمد ماهر باشا زعيم السعديين وهيكل باشـــا زعيم الاحرار بوصـــفهما ممثلى الحزبين المشتركين فى وزارته وأنه أبلغهما انه لا يجد بديلا أمامه سوى تقديم استقالته. وحثه الاثنان على البقاء ١٥يوما فى الحكم. ولكنهما قالا فى صراحة أنهما لا يضمنان له أصوات نوابهما فى البرلمان اذا حدث تصويت على الثقة بالحكومة .

وهكذا وجد سرى باشـــا نفسه أمام مأزق كبير . فلو فكر فى مواجهة البرلمان فسوف (يمسحون به البلاط) كما قال لى بالحرف الواحد . وقال انه لا يستحق أن يعامل بهذه الطريقة . ولهذا فقد

قرر أن يستسلم وأن يقدم استقالته • وأبلغ حسنين باشا بذلك بعد ظهر يوم الاحد • كما أوضح أن السبب الرئيسى لاستقالته انه من الواضح أن الملك لم يعد يؤيده • ومضى سرى باشا يقول لى ان قراره بالاستقالة نهائى لا رجعة فيه • ورجانى ألا أحاول أن أثنيه عن هذا القرار •

ووجدت أنه من غير المفيد محاولة اقناعه بالعدول عن الاستقالة • ولهذا اقتصر حديثى معه على الاعراب عن اسفى العميق لاضطراره الى التسليم هكذا •

وبعد ذلك سألته عن الاسماء التى يرشحها لرئاسة الوزارة من بعده • وقلت انه لابد أنه فكر فى ذلك • واقترح سرى باشا ثلاثة أسماء وهى :

١ ـ بهى الدين بركات باشا •
٢ ـ هيكل باشا •
٣ ـ أحمد ماهر باشا •

وضحكت بمجرد سماع هذه الاسماء الثلاثة وقلت لرئيس الوزراء اننى لا أعتقد انه يعنى ما يقوله فعلا • لان بركات باشا لا يصلح • وأحمد ماهر أصيب بالنقطة أخيرا وليس فى صحة تتيح له أن يتحمل أعباء هذا المنصب • أما هيكل باشا فهو غير موجود سياسيا • وسألته مرة أخرى :

ما رأيك الان ••؟

واجاب سرى باشا بدون اى تردد :

ـ اطلب من الوفد أن يتولى الحكم •

وقلت ان هذا رأى عظيم • وان هذا هو نفس الرأى الذى وصلت اليه قبل أن أقابله • وانه ما دام اقترح ذلك فاننى واثق ان هذا أفضل شىء الان • وبعد ذلك بدأنا نبحث ترتيب مواعيدنا معا حتى لا يحدث تضارب بينها • وبناء على طلبى وافق سرى باشا أن يؤجل تقديم استقالة حتى ظهر يوم الثلاثاء • وقلت له انه يجب أن أرى الملك فاروق قبل ذلك • ولكن سرى باشا رجانى ألا أفعل ذلك لان الوضع سيكون محرجا للغاية بالنسبة له • واقترح أن أقابل الملك فى الواحدة بعد ظهر يوم الثلاثاء أى بعد تقديم استقالته للملك بساعة • ووافقت وتركته وأنا فى منتهى الاعجاب باخلاصه وصداقته وفى منتهى الاسف لرحيله هكذا •

وقد نسيت أن أدون هنا انه فى بداية اجتماعنا قال رئيس الوزراء ان فاروق بعد أن اضطر الى التراجع فى موضوع حكومة فيشى قال لصليب سامى باشا :

ــ لقد انتصر السفير فى الجولة الاولى .. ولكنى سوف أطرحه أرضا فى الثانية .

ويعلق مايلز لامبسون على هذا فى مدكراته بقوله :

ــ يا لوقاحته !

وحاولت أن امسك أعصابى :

الاثنين ٢ فبراير :

بدأت الامور تتطور بسرعة اكبر مما كنت اتوقع . فقد اتصل بى رئيس الوزراء وأنا على مائدة الافطار ليقول لى انه مضطر الى تقديم استقالته فى الثانية عشرة والنصف بعد ظهر اليوم . وانه لا يستطيع تأجيلها كما اتفقنا حتى يوم الثلاثاء وعلى الفور طلبت حسنين باشا رئيس الديوان بالتليفون وطلبت موعدا لمقابلة الملك فى الساعة الواحدة تماما . أى بعد تقديم رئيس الوزراء استقالته بنصف ساعة .

وحاول حسنين باشا أن يراوغ معى وأن يماطل . ووجدت نفسى مضطرا الى استخدام عبارات قوية وجافة معه ، واتصل بى حسنين باشا بعد ذلك ليعترض على الطريقة الخشنة التى كنت أحدثه بها . واوضحت له اننى سوف أكون فى القصر فى الواحدة تماما ما لم أسمع فيه شيئا يجعلنى أعدل عن هذا الموعد .

وفى نفس الوقت عقدنا اجتماعا فى السفارة حضره اوكنلك وباقى القادة العسكريين لمنطقة الشرق الاوسط مثل الجنرال سمارت والجنرال كيرتس ، وبحثنا فى هذا الاجتماع احتمال استخدام القوة العسكرية ضد فاروق . وكعادة العسكريين أبدى اوكنلك شيئا من التردد والقلق . ودارت مناقشات طويله حاولت خلالها أن أمسك أعصابى . ولكن ذلك لم يمنعنى من الانفجار مرة أو مرتين غضبا ، وكان من الواضح أن العسكريين يريدون أن يكون كل شىء مضمونا ١٠٠٪ ، و كانوا يطلبون تأكيدات لا نستطيع أن نقدمها لهم . مثلا كانوا يسألون :

ــ أليس من الممكن أن تحدث ثورة فى البلد .. ماذا نفعل اذن ؟

وأمكننا بعد وقت طويل اقناع العسكريين بخطتنا ، واتفقنا على

ضرورة اجتماعى مع الملك فى الواحدة بعد ظهر اليوم وأن أعرض عليه النقاط التالية :

١ ـ انه يجب أن تكون فى مصر حكومة مخلصة لمعاهدة ١٩٣٦ وتستطيع أن تنفذها نصا وروحا وخاصة البند الخامس من المعاهدة .

٢ ـ وأن تكون الحكومة قوية وقادرة على الحكم ولها تأييد شعبى كاف .

٣ ـ هذا يعنى ضرورة تكليف النحاس باشا بتشكيل الوزارة بوصفه زعيم الاغلبية فى البلاد ويجب التشاور معه فورا من اجل تأليف الوزارة الجديدة .

٤ ـ لا بد أن يتم ذلك قبل ظهر غد الثلاثاء ٢ فبراير .

٥ ـ الملك فى نظرنا مسئول عن أى اضطرابات قد تحدث فى هذه الاثنـاء .

البند الخامس مرة أخرى :

وبالفعل قابلت الملك فى الواحدة بعـد الظهر ، وهذا هو نص البرقية التى أرسلتها الى وزارة الخارجية البريطانية حول المقابلة :

قابلنى الملك فى الواحدة تماما . وكان أكثر ودا عن كل مرة سابقة . وشرحت لجلالته السبب الذى دعانى أن الح فى طلب مقابلته بسرعة ، وهو أن سرى باشا قدم استقالته . ولما كنت الممثل الدبلوماسى للحلفاء فى القاهـرة فانه من الضرورى أن أطمئن الى انه لن يعين فى منصب رئيس للوزراء الخالى شخصا لا يمتع بالصفات اللازمة لتنفيذ معاهدة ١٩٣٦ ، وبعد ذلك قرأت على الملك النقط الخمس التى اتفقنا عليها فى السفارة والتى ذكرتها فى برقيتى السابقة ، وقرأت عليه أيضـا البند الخـامس من المعاهدة حتى لا يكون هناك أى مجال للشك فيما نطلبه .

وقد وافق جلالته بدون أى تردد على النقطتين الاولى والثانية وهما ضرورة وجود حكومة تنفذ المعاهدة نصا وروحا ، وأن يكون لهذه الحكومة تأييد شعبى ، وبالنسبة للنقطة الثالثـة الخاصـة باستدعاء النحاس لتكليفه بتشكيل الوزارة فقد قال الملك انه طلب فعلا مقابلة النحاس باشا . وقال فاروق انه يسعى لتشـكيل حكومة قومية . كما اعترف انه لا يوجد غير النحاس باشا الذى

يستطيع أن يقود هذه الحكـــومة • ومن حسن الحـظ أن علاقته بالنحاس أفضل الان • وقال فاروق أيضا ان أحمد ماهر عافـل ويعرف أن هذه ليست ساعته •

ولكن الملك لم يشأ أن يلزم نفسه بمقابلة النحـاس وتكليفـــه بتشكيل الوزارة قبل ظهر اليوم التالى كما جاء فى البند الرابع • وفى نفس الوقت لم يقل الملك انه لن يقابل النحاس • ولهذا أوضحت للملك انني أود أن يبلغني القصر أن النحـــاس قد كلف بتشكيل الوزارة قبل مضى ٢٤ ساعة • ولم أستخدم لغة التهديد والتحذير مع الملك ولكنى كنت حازما • وأوضحت له أيضـا انه يجب الا تكون هناك اضطرابات فى البلد ، وطلبت اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة لقمع أية اضطرابات وأى تراخ فى تنفيذ ذلك قد تترتب عليه عواقب بالغة الخطورة •

فرامل للحكومة الجديدة :

وأجاب الملك قائلا انه لن تكون هناك اضـــطرابات ، وانه فى صباح اليوم جاء الى القصر وفد يمثل الطلبة المتظاهرين ، وانه أرسل اليهم يطلب منهم العودة الى دراستهم وأن يلتزموا الهدوء •

ويقول السفير فى مذكراته :

« وقبل مغادرة القصر قابلت حسنين باشـا وأبلغته بما جرى بينى وبين الملك • وطلبت منه أن يحضــر الملك بضرورة استدعاء النحاس باشا قبل ظهر غد • وناقشنى حسنين كثيرا فى هذه النقطة وكان يعارضها بشدة ، وكشف لى أثناء المناقشة ان خطة القصر الان هى تشكيل حكومة مؤقتة تمهد الطريق لقيام حكومة ائتلافية برئاسة النحاس باشا ، ولكنه لم يشأ أن يؤكد لى ان النحاس باشا سوف يرأس الحكومة المؤقتة أيضا • وقال حسنين أيضا :

ــ اذا اســتدعينا النحــاس بالطريقة التى تطلبهـــا خلال ٢٤ ساعة وكلفناه بتشكيل الوزارة فانه سوف يكتسح البـــلد كله • ولن تكون هناك فرصة أمامنا لقيـــام معارضة منظمـــة له من السعديين والاحرار لتكون كالفرامل التى نستطيع أن نستخدمها مع الحكومة الجديدة •

وفى نفس الوقت أكد لى حسنين باشا أن القصر ينوى استبعاد أية عناصر موالية لعلى ماهر فى الوزارة الجديدة •

وقلت له اننى حسب معلوماتى عن الوفد وموقفه هـذه الايام فاننى أشك كثيرا فى احتمال قبول الوفد او النحاس الاشتراك فى الوزارة •• أو فى حكومة الائتلاف بعد ذلك • وبهذا فانى أعود وأطلب منه مرة أخرى ان يذكر الملك بحديثنا • وقبل انصرافى قلت لحسنين باشا :

ـ اننى آمل ان أسمع غدا ان النحاس قد استدعى الى القصر للتشاور معه ، واننى آمل أن يحدث ذلك قبل ظهر غد • وآمل ايضا أن يتم الاتفاق معالنحاس بوصفه زعيم الاغلبية وتســانده جماهير الشعب على الخطوات القادمة •

ومن الضرورى أن يوافق النحاس على ما سوف يحدث •• سواء كانت النيه تشكيل وزارة مؤقتة أو وزارة ائتلافية •

وفى المساء حاولت ايفاد الجنرال سمارت الى حســنين باشا ليؤكد له مرة أخــرى مطالبنا ولكن ســمارت كان قد أصيب بالانفلونزا للاسف • وأوفدت بدلا منه تيرانس شون • ولكنه لم يتمكن من العثور على حسنين باشا وكنت واثقا انه احتفى عن عمد وانه لا يريد أن يقابل ممثل السفارة • وكلفت شون أن يترك له فى مكتبه خطابا بطلباتنا وأن يكتب على المظروف (شخصى وعاجل)

وفى المساء تلقيت برقيــة من وزارة الخارجية بهـا تعليمات جديدة بمقابلة النحاس واستطلاع رأيه فى الموقف • ويبــدو أن الوزارة بعثت هذه التعليمات عندما علمت بخبر اســتقالة سرى باشا وقبل أن تصلها برقيتى الخاصة بمقابلتى مع الملك • وجلست أكتب ردا عاجلا أنصح فيه بتأجيل أى اجتماع بينى وبين النحاس الى ما بعد اجتماع الملك بالزعماء السياســيين فى القصر • ثم كتبت خطابا خاصا لانطونى ايدن أبلغه فيه بموقف الجنرال أوكنلك المذبذب عندما طلبنا منه مساندة السفارة باستعراض القوة •

وفى وقت متأخر جدا أويت الى الفراش وأنا أحس اننا مقبلون على تطورات خطيرة •



بكل عجرفة وفى حماية الدبابات
توجه كيلرن لتوجيه انذاره للملك

الانذار البريطانى

تنفجر الازمة بين السفارة والقصر • ويعقد السفير اجتماعا لمجلس الحـــرب البريطانى ويتقرر فى هـذا الاجتماع خطة لتوجيـه انذار الى فاروق والدبابات تحاصر قصر عابدين • وفى نفس الوقت يامر السفير البريطانى باعداد وثيقة لتنازل فاروق عن العرش • ويهدده بانه اذا لم يوقعها فسوف ينتظره مستقبل مظلم •

ولكن فاروق يحـــاول ان يلعب الكارت الاخـــير عنده •

القاهرة ـ الثلاثاء ٣ فبراير ١٩٤٢

يقول كيلرن فى مذكراته عن هذا اليوم :

من حسن حظنا ان أمين باشا طلب أن يقابلنى فى الحادية عشرة صباحا • وأمين عثمان باشاحريج كلية فكتوريا بالاسكندرية وجامعة اكسفورد بعد ذلك من بريطانيا •• وقد لعب دورا غير عادى كرجل اتصال بيننا وبين الوفد • وكان وزيرا للمالية سنتى ١٩٤٣ و١٩٤٤ وقد قتل بالرصاص سنة ١٩٤٦ •

وقد قابلته فى ذلك اليوم فى الحادية عشرة صباحا • وتحدثت اليه صراحة عن الموقف • وأوضح لى انه قادم بموافقة من النحاس باشا •• وبمجرد أن أبلغنى أن النحاس باشا مستعد لتولى الحكم اذا ساندته السفارة ، قلت له ان هناك أشياء معينه يجب أن يعرفها النحاس قبل أن يتخذ قراره النهائى • وان هذه الاشـياء أثارتها وزارة الخارجية فى لندن وقال لى أمين عثمان باشا انه لا يعتقد أن النحاس باشا سوف يعترض على ملاحظات لندن • واتفقنا أن نرجىء الحديث فى ذلك الى ما بعد تولى النحاس الوزارة •

ثم سألنى أمين :

ـ ماذا تقترح أن يفعل النحاس باشا بعد ظهر اليوم فى القصر ؟

وأبلغت أمين باشا أن هذا طبعا يرجع الى النحاس باشا نفسه • ولكن من جهة أخرى فان اعتقادى الشخصى انه ينبغى أن يرفض أية فكرة يقدمها القصر عن الحكومة المؤقتة • واننى أعتقـــد أن فكرة الحكومة المؤقتة ما هى الا لعبة من القصر حتى تمر العاصفة وبعد ذلك تعود الاعيب القصر الاخرى • ومن ناحية أخرى فانى أعتقد أن النحاس يجب أن يطالب بحكومة ائتلافية حتى يدعم مركزه فى البلاد • ولو انى كنت أعتقد أن ذلك صعب تحقيقه •

وقال لى أمين عثمان باشا انه سيعود الى النحاس باشا ليعرض عليه الموقف ويرى ماذا يقول •

وفى هذه الاثناء اتصل بى تليفونيا حسين سرى باشا وسألنى عن آخر الاخبار • وأبلغته أن القصر يرى أن تكون هناك حكومة

مؤقتة أولا ثم حكومة ائتلافية بعد ذلك • وقال حسين سرى باشا ان الحكومة المؤقتة لن تنجح مطلقا • وان الحكومة الائتلافية قد تكون مجرد فكرة طيبة • ولكنه لايعتقد أن هناك أية فرصة بالمرة لقيامها • وان الحل الوحيد فى نظره مازال هو أن يشكل الوفد الحكومة •

واستمر الموقف هادئا حتى الساعة الثانية بعد الظهر •• وعاد أمين عثمان باشا ومعه رد النحاس • وكان الرد يقول ان النحاس باشا كان مستعدا فى وقت سابق لقبول فكرة حكومة محايدة • أما الان فانه ضد هذه الفكرة تماما لاسباب مختلفة • وأهمها مرض احمد ماهر باشا • ولهذا فانه سوف يرفض مطلقا فكرة الحكومة الائتلافية • ومن الاسباب الاخرى التى تجعله يرفض الحكومة الائتلافية أن حالة البلاد سيئة للغاية • وان مؤامرات القصر كانت مستمرة فى عهد وزارة حسين سرى باشا رغم انه قريب الملك • ومن المؤكد أن بعض أعضاء الوزارة الائتلافية سيكونون من رجال الملك • ولهذا فان النحاس باشا (كما تقول المذكرات على لسان لورد كيلرن) لن يكون فى وضع يتيح له تسليم البضاعة لنا •• وبمعنى آخر تقديم ما نريده منه •

وقال لى أمين عثمان باشا أن الوفد سيتعاون مع السفارة حتى لو لم تكن هناك معاهدة • وأن روح معاهدة ١٩٣٦ تعنى التعاون التام بين الجانبين • وانه اذا كان النحاس قد تعاون مع السفارة فى زمن السلم مرة فانه مستعد أن يتعاون معها فى زمن الحرب عشر مرات • ولكن كل ما يطلبه هو أن تطلق يده وأن يكون حرا فى اتخاذ قراراته وخصوصا فيما يتعلق بالقصر •

وقال لى أمين عثمان باشا :

ـ ان النحاس باشا يريد ديمقراطية حقيقية فى البلاد •• والملك لا يريد هذه الديمقراطية •

السفير يعقد مجلس الحرب :

وقال لى أمين عثمان باشا ان النحاس لا يريد أن يظهر كمن يجرى وراء الانتقام من الملك • ولكنه يريد أن يوضح لى أن أية حكومة ائتلافية أو محايدة لاأمل أمامها • والدليل ماجرى لحكومته السابقة التى حطمها ثلاثة وزراء بسبب مشروع كهربة خزان

أسوان •• واتفقت فى النهـــاية مع أمين عثمان باشا على النقط التالية :

● ان الموقف بلغ من السوء درجة لايمكن أن تنجح معه أية حكومة ائتلافية •

● وان النحاس باشا يجب أن يبلغ الملك فاروق انه لا يثق فى تعاون الاحزاب الاخرى معه باخلاص •

● وانه مازال يخشى المؤامرات والدسائس التى قد تحاك له فى حكومة ائتلافية •

ولهذا فان النحاس باشا يرى ان الحـل الوحيد ان تكون هناك حكومة وفدية خالصة • وانه مستعد لان يبحث بعد ذلك نقطتين هما :

(١) تخصيص دوائر معينة للاحزاب الاخرى فى الانتخابات •

(٢) تكوين مجلس استشارى من زعماء الاحزاب الاخرى كنوع من الرمز للائتلاف ••

وكان هذا هو ما اتفقت عليه مع أمين عثمان باشا • وكان هذا ما سيقوله النحاس باشا للملك عند مقابلته فى القصر • ولكن بعد انصراف أمين عثمان باشا بقليل اتصل بى تليفونيا وقال انه وجد النحاس باشا فى القصر ولم يستطع ابلاغه الرسالة التى اتفقنا عليها • وقال أنه سيتصل بى مرة أخـــرى لابلاغى نتائج مقابلة النحاس والملك فاروق •

وفى هذه الاثنـاء وصلتنى برقيـــة من وزارة الخارجية تؤيد الخطوات التى اتخذتها • وتطلب منى أن أمنع القصر من تحقيق أى نصر عليـــنا بأى ثمن • وكانت هذه البرقيـة مشجعة تماما للخطوات التالية التى كنت أفكر فيها •

وفى السادسة مساء عاد أمين عثمان باشـا الى الاتصال بى مرة أخرى لابلاغى ما جرى فى القصر • وقال ان الملك طلب من النحاس أن يرأس حكومة ائتلافية ولكن النحـــاس رفض • وقدم للملك أسبابا قوية لرفض الفكرة • وعرض النحاس باشا أن يشكل حكومة وفدية تتحمل وحدها المسئولية رغم خطورة الموقف •

وفى السابعة مساء بعثت فى طلب حسنين باشا رئيس الديوان • وابلغته انني علمت بما جرى فى القصر بين الملك والنحاس باشا • وقلت له انني أطلب منه أن يعود الى القصر ليبلغ الملك انني أرى انه يجب أن يستدعى النحاس باشا ويكفله بتشكيل الحكومة •

وقلت لحسنين باشا ايضا انه يجب ألا تكون هناك مفاجآت أخرى من القصر • وانني سوف أعقد مجلس حرب فى السفارة فى الساعة العاشرة صباح اليوم التالى لبحث الموقف • وحاول حسنين كعادته أن يماطل • ولكنني أوضحت له انني أعنى ما أقول • وقبل أن ينصرف قلت له مذكرا :

ـ لا تنس يا حسنين باشا أن تبلغ الملك انه يتحتم عليه أن يستدعى النحاس باشا وأن يكلفه بتشكيل الوزارة •

وبعد ان انصرف حسنين باشا اتصل بى أمين عثمان باشا ليسألني عن الاخبار • ورويت له ما جرى فى المقابلة الاخيرة مع رئيس الديوان • وسهرت بعد ذلك فى مكتبى الى ما بعد منتصف الليل • ولم تقع فى هذه الاثناء تطورات جديدة فى الموقف • وظل كل شيء هادئا حتى اتصل بى مرة أخرى أمين عثمان باشا ليسألني عن أخبار جديدة • وقلت له انه لا يوجد جديد حتى الان •

وذهبت لكى أنام •

الاربعاء ٤ فبراير ١٩٤٢

اما النحاس •• او التنازل عن العرش

كانت عينى تؤلمنى فى الصباح • وسمعت أن هنرى هوبكنسون من وزارة الحرب البريطانية وهو صديق حميم لى ينتظرنى فى مكتبى لامر هام وعاجل • وعندما نزلت قال لى أن حسنين باشا اتصل به وطلب أن يقابله • وانه وافق على الذهاب الى مكتب حسنين باشا ليبحث معه الموقف ولكنى قلت لهوبكنسون صراحة اننى لا أوافق بتاتا أن يذهب الى حسنين باشا أو أن يراه •

وفى طريقنا الى مجلس الحرب للشرق الاوسط قلت لهوبكنسون أن هناك طريقتين لمعالجة مسألة دقيقة مثل هذه المشكلة مع القصر •

الطريقة الاولى أن يظل المرء حازما وأن يرفض أى حلول وسط كتلك التى يعرضها حسنين باشا • والطريقة الثانيــة أن يتدخل رجال آخرون فى العملية فيفسدونها • وأوضحت له أنه اذا تدخل آخرون من العسكريين أو من وزارة الحرب فى مشكلة القصر فسوف أنفض يدى منها تماما • وكان حديثى مفاجأة تامة لهوبكنسون الذى لم يكن يتوقع منى ذلك •

وفى مجلس الحرب بدأ الاجتماع بالشئون العادية • وبعد ذلك أبلغت المجلس موقفى الذى اوضحته لهوبكنسون • ووافق المجلس على وجهة نظرى • وبعد ذلك عرضت عليهــم ما جرى بين الملك والنحاس • واقترحت أن نحدد للملك فاروق وقتا معينا لاستدعاء النحاس باشا وتكليفه بالوزارة • ودارت مناقشــات طويلة حول هذا الموضوع • وفى النهاية تقرر أن اقابل حسنين باشا وأبلغه الانذار التالى :

« اذا لم أسمع حتى السادسة مســاء اليوم أن النحــاس باشا قد كلف بتشكيل الحكومة فعلى جــلالة الملك فاروق أن يتحمــل عواقب ذلك التصرف » •

واتفقنا بعد ذلك فى مجلس الحرب انه اذا لم ينفذ الملك ماطلبناه منه حتى السادسة مساء فان الامور يجب أن تتحرك من ناحيتنا • وراجعنا تحركات القوات التى سوف نستخدمها فى العمليــــة • ونقرر أن يقود هذه القوات الجنرال ستون • واننا يجب أن نتوجه معا ــ الجنرال ستون وأنا ــ الى القصر ومعنا القوات المطلوبة فى الثامنة مساء وأن نطلب من الملك فاروق التنازل عن العرش •• وحتى لا تحدث مفاجآت داخل القصر أو متاعب من أى نوع تقرر أن يرافقنا داخل القصر حارس مسلح •

وناقشنا بعد ذلك خطة محاصرة القصر بالتفصيل وماذا بعد اجبار الملك على التنازل • واتفقنا على ضرورة أن نصطحب الملك خارج القصر معنــــا سواء وافق أو لم يوافق على التنــازل عن العرش • وأخذنا نناقش طويلا بعد ذلك حــول ما يجب أن نفعله بالملك بعد أن نأخذه من القصر • وقال أميرال البحرية أن أفضل مكان نضعه فيه أن نحبسه فى احدى سفن الاسطول البريطانى •

ولما كانت هذه التفاصيل تخص العسكريين وحدهم فقد تركت الاجتماع واتصلت بفيتز باتريك باشا مساعد رسل باشا فى بوليس القاهرة وطلبت منهما الاتصال بجنرال ستون • كما طلبت حضور والتر مونكتون وهو الرجل الذى أعد وثيقة تنازل ملك بريطانيا عن العرش (دوق وندسور الذى تزوج من مطلقة أمريكية فأجبروه على ترك العرش لشقيقه) •

وعدت الى السفارة • وطلبت اعداد وثيقة التنازل بعناية حتى لا يكون هناك أى احتمال للخطأ • ثم قابلت حسنين باشا • وكان الاجتماع قصيرا • واوضحت له اننا هذه المرة نضىء النور الاحمر وانه ما لم يستجب الملك لطلباتنا فى السادسة مساء فان أمورا خطيرة سوف تحدث •

تقدم يا روميل :

وكان يتعين على بعد ذلك أن أتأكد من المكان الذى سيتواجد فيه النحاس بعد ظهر ذلك اليوم • وكان من الصعب عادة العثور على النحاس • وكان من الضرورى أن نعرف أين سيكون طوال اليوم حتى يمكن الاتصال به واستدعاؤه للقصر فى أية لحظة • وبعد صعوبة بالغة تمكننا من العثور على أمين عثمان باشا •

كان ذلك فى الواحدة بعد الظهر •• وطلبت منه ابلاغ النحاس باشا بنص الحديث الذى دار بينى وبين حسنين باشا • وطلبت منه أيضا أن يبلغ النحاس باشا انه من الضرورى جدا أن يبلغنا بمكانه اذا احتاج الامر الاتصال به •

وقلت لامين عثمان باشا :

ـ آمل الا يكون النحاس باشا قد تراجع فى موقفه •

وأجاب أمين باشا ان النحاس لم يغير موقفه •• وانه يخشى أن تكون السفارة هى التى غيرت موقفها •• ولكن أمين باشا تولى بنفسه طمأنة النحاس الى أن الانجليز جادون هذه المرة مع الملك • وقال لى أمين عثمان باشا أيضا ان الملك استدعى مكرم عبيد باشا الى القصر لمقابلته وانه هناك الان • وأبديت مخاوفى أن يفعل مكرم باشا شيئا يؤثر فى ساعة الصفر التى حددناها للملك وهى السادسة مساء • ووعد أمين عثمان باشا أن يظل

على اتصال بالنحاس باشا طوال اليوم حتى يمكن استدعاؤه فى أى وقت ٠

وقبل أن أذهب لتناول طعام الغداء تلقيت مذكرة سرية تتضمن هذه المعلومات :

(المظاهرات فى الشوارع ٠ الطلبـــه يهتفون فى الجامعة ٠٠ يحيا روميل ٠٠ تقدم يا روميل ٠٠ عاش الملك ٠٠ ويسقط الانجليز) ٠

ثم جاءنى تقرير آخر من الزقازيق يقول ان الطلبة هناك يحطمون المتاجر ويضربون أصحابها المعروفين بتأييدهم للانجليز أو الذين يوزعون منشورات فيها دعاية للانجليـــز وقررت أن أرسـل هذه التقارير الى الجنرال أوكنلك حتى يستعد لجميع الاحتمالات ٠٠ وطوال بعد ظهر ذلك اليوم جلســـنا فى السفارة نتناقش حـــول الترتيبات اللازمة فى حالة رفض الملك لشروطنا ٠

وفى هذه الاثناء تلقيت مكالمة من أمين عثمان باشا يبلغنى فيها أن المعلومات التى لدى النحاس باشا تقول ان الملك يحزم حقائبه وانه استدعى النحاس باشـــا لمقابلته فى القصر بعـد الظهر ٠ وأزعجتنى هذه الانباء وخصوصا ما ذكـــره أمين باشا ان الملك يحزم حقائبه ٠٠ وتوجهت فورا للاجتماع بكبار القادة العسكريين لابلاغهم الموقف ٠ واتفقنا أن أفضل شيء نفعله أن نراقب مطارات القاهرة حتى لا يهرب الملك عن طريق أحدها ٠ كما اتفقنا انه من العبث محاولة مراقبة جميع مداخـــل القاهرة ٠ وحتى اذا نجح الملك فى الافلات من بين أيدينا وهرب من القصر فانه سوف يضر نفسه ٠ ولن يلحق بنا نحن ضرر كبير ٠

وفى الخامسة و ٤٥ دقيقـــة لم تصلنى اية أنباء من القصر ٠ وأبرقت الى وزارة الخارجية اشرح لهم الموقف والخطة التى اتفقنا عليها فى مجلس الحرب البريطانى اذا تمســـك الملك بموقفه ولم يخضع لمطالبنا ٠ وقلت اننا فى هذه الحالة يجب أن نجبره على ترك الحكم وطلبت رأى الوزارة فى خطتنا شارحا جميع الظروف التى أدت الى ذلك ٠

وفى تمام الساعة السادسة مساء وصلتنى برقية من تيمور بك بالديوان الملكى تقول ان حسنين باشا قادم لمقـــابلتى فى السفارة فى السادسه والربع وانه يحمل رسالة هامة من الملك ٠ ووصـــل حسنين باشا فى الموعد المحدد ٠

اجتماع فى القصر :

وكان نص الرسالة التى حملها الى حسنين باشا هكذا :

ان الملك بعد أن تسلم الانذار البريطانى عقد اجتماعا ضم الاشخاص المذكورة أسماؤهم فى القائمة المرفقة (كانت القائمة تحوى اسماء جميع زعماء الاحزاب السياسية فى مصر ومن بينهم النحاس باشا) • وبعد بحث الانذار البريطانى أصدر الحاضرون فى الاجتماع القرار التالى :

(فى رأى الزعماء المصريين ان الانذار البريطانى يعتبر انتهاكا خطيرا للمعاهدة المصرية البريطانية ولاستقلال البلاد •• ومن أجل هذا السبب وبعد استشارة الزعماء فان الملك عملا بنصيحتهم يرى انه لا يمكن الموافقة على عمل يعتبر خرقا للمعاهدة وتعديا على استقلال مصر) •

وبعد ان قرأت رد الملك قلت لحسنين باشا ان هذا أمر خطير جدا واننى سوف أحضر الى القصر فى التاسعة مساء لمقابلة الملك فاروق الا اذا أبلغته بعكس ذلك قبل الموعد المحدد • ويبدو ان هذا الكلام كان مفاجأة لحسنين باشا الذى قال لى :

ـ الا يمكن يا سير مايلز أن نصل الى حل •• أنا وأنت معا ••

واقترح حسنين باشا انقاذا للموقف أن يرأس بنفسه حكومة انقاذ وان يتعهد لى بأن يجرى الترتيبات اللازمة حتى يأتى الوفد الى الحكم خلال شهرين • وقلت له انى أود دائما أن أتعاون معه ولكن اقتراحه غير مقبول بالمرة •• وحتى لا أجعله يشعر بالمزيد من الحرج وعدته بدراسة الاقتراح مرة أخرى والرد عليه فيما بعد • وهنا قال حسنين باشا انه سوف يبلغ الملك بهذا الاقتراح • ولكن طلبت منه الا يفعل ذلك • لقد كان فى نيتى رفض الاقتراح نهائيا •

وبمجرد انصرافه طلبت من أعضاء السفارة الحضور للتشاور حول الموقف • واشترك فى المناقشات الجنرال ستون المشرف على الجانب العسكرى فى العملية واركان حربه • واقترحت الا نتأثر بما ذكره الملك فى رسالته التى كانت بمثابة اختبار لنا • وقلت

اننى متمسك بمقابلة الملك فى التاسعة مساء طبقا للخطة الموضوعة من قبل ٠

وفى ذلك الوقت وصل مين عثمان باشا ٠ وقابلته فى حجرة أخـــرى حتى لا يرى القـــادة العسكريين الذين كانوا معى فى الاجتماع ٠ وسألت أمين عثمان باشا كيف يفسر تصرف النحاس باشا وتوقيعه على البيان الصـــادر من القصر والذى حمله الى حسنين باشا ٠ وهل مازال فى وسعنا الاعتماد على النحاس باشا اذا استمرت العملية ٠ وقال عثمان باشا انه يراهن بآخر مليم عنده أن النحاس باشا صامد عند موقفه الذى أبلغه لنا وانه اذا كان النحاس فعلا قد وقع على مذكرة القصر فلابد انه اضطر الى ذلك ٠

وعدت الى غرفة مكتبى للمراجعة الاخيرة لخطابين كنت أنوى أن احملهما معى الى القصر ٠ الاول كنت سوف أسلمه له اذا ظل على موقفه ٠ أما الثانى فكان خطاب التنـــازل عن العرش وكنت أنوى أن أضعه أمامه واصمم على أن يوقع عليه ٠ ولما كان لهذين الخطابين اهمية تاريخية فاننى أنشرهما هنا بالكامل :

الخطاب الاول كان هكذا :

يا صاحب الجلالة :

(لقد بات من الواضح يا صاحب الجلالة منذ فترة بعيدة انك واقع تحت تاثير مستشارين ليســوا فقط غير مخلصين للتحالف مع بريطانيا العظمى بل انهم يعملون فعلا ضد هذا التحالف ٠ وهكذا يساعدون العدو ٠ كما أن موقفك العــام واتصالاتك يا صاحب الجلالة تعتبر خـرقا للماده الخامسة من معاهدة التحـــالف التى تنص على أن الاطراف الموقعة على المعـاهدة يجب الا تتبع سياســـة خارجية لا تتفق مع التحالف ٠

وبالاضافة الى ذلك يا صاحب الجـــلالة فقد أثرتم عمدا ودون أى داع ازمـــة حول قرار اتخـــذته الحكومه المصرية

السابقة استجابة لطلب تقـــدمنا به كحلفـاء لمصر • وهو طلب يتفق تماما مع المـــادة الخامسة من معاهـدة ١٩٣٦ (يشير كيلرن الى ازمه وزير الخارجية بعد قطع العلاقات مع حكومة فيشى الفرسيه التى تتعاون مع النازى) •

واخيرا يا صاحب الجلالة :

فانكم بعد ان فشلتم فى تشكيل حكومة ائتـلافية رفضتم أن تعهدوا بتشكيل الوزارة الى زعيم الحزب السياسى الذى له تأييد شعبى فى البلاد (يقصد النحاس باشا) وهو الوحيد الذى يتيح له موقفه ان يضمن لنا استمرار تنفيـذ المعاهدة بروح الصداقة التى تم توقيعها •

وهذه التصرفات الطائشـة والتى تتسم بعـــدم الشعور بالمسئولية من جانبكم يا صاحب الجلالة تهدد بالخطر أمن مصر وكذلك قوات الحلفاء • وهكذا أصبح من الواضح أن جلالتكم لستم أهلا بعد ذلك للبقاء على العرش) •

◎❖◎

أما وثيقة التنازل عن العرش فكانت هكذا :

نحن •• الملك فاروق ملك مصر :

لما كنا نضع نصب اعيننا دواما مصـــالح بلدنا ، فاننا نتخلى ونتنازل عن عـــرش المملكة المصريه بالنســـبة لنا ولورثتنا • ونتخلى ايضا عن جميع الحقوق الملكية وجميع الامتيازات والسلطات التى تخولها لنا هذه الحقوق •• وعلى هذا فاننـــا نخلى رعايانا ايضـــا من الالتزام بالولاء نحو شخصنا) •

(صدر فى قصر عابدين فى الرابع من فبراير ١٩٤٢) •

ويمضى كيلرن فى مذكراته عن ٤ فبراير •• فيقول :

بعد أن وافقت على صيغة الخطاب الموجه الى فاروق ووثيقة التنازل عن العرش أجريت اتصالا أخيرا بأمين عثمان باشالتأكد من موقف النحاس باشا قبل أن أتوجه الى القصر • وقال لى أمين عثمان باشا أن النحاس سوف يشكل حكومة وفدية اذا دعاه الملك الى ذلك •• وانه فى حالة طرد فاروق من العرش فان النحاس باشا سيوافق أيضا على تشكيل حكومة تتولى الامور •

وحتى ذلك الوقت كانت الامور تتطور بسرعة ••

وفى الثامنة مساء عقدت اجتماعا أخيرا على مائدة العشاء مع كبار المستشارين بالسفارة • وأثار أحـدهم نقطة هامة كان لها اثر كبير فيما حدث بعد ذلك • فقد كنت مصمما على اجبار فاروق على التنازل عن العرش بعد أن رفض أن يستجيب لمطالبنا وبعد أن انتهت فترة الانذار الممنوحة له حتى الساعة السادسة مساء • وكنت أعتقد أن مهمتى عند الذهاب الى القصر فى تلك الليلة هى الحصول على توقيع فاروق على وثيقة التنازل •

ولكن أحد المستشارين سأل :

ـ وماذا نفعل اذا قبل الملك فى الساعة التاسعة مساء عندما نذهب اليه فى القصر أن يعهد بتشكيل الحكومة الى النحاس باشا ؟•

وكان ردى اننى لن اقبل منه ذلك وانه يجب أن يذهب • ولكن رأى الموجودين كان ان هذا التصرف قد لا يكون مقبولا •• وانه ليس من الضرورى أن نتمسك بعزل الملك لانه تأخر ثلاث ساعات فى قبول ما نريده • وان هذا الموقف قد يضعنا فى موقف حرج وان البلد قد يثور اذا انتشر الخبر •

وفكرت جيدا ••

ووجدت أنه من الخطأ أن أصر على تنحية الملك اذا وافق على استدعاء النحاس باشا •

مسلحون حتى أسنانهم :

وقرب التاسعة مساء توجهنا الى القصر • وكان يرافقنى الجنرال ستون وعدد مهيب من الضباط الانجليز • كانت الساعة الثامنة و ٤٠ دقيقة • وفى الطريق ذكرت للجنرال ستون تفاصيل المحادثة التى جرت فى السفارة وقرارى بعدم اجبار الملك على التنازل اذا لخضع لمطالبنا •

ووافقنى ستون تماما وقال :

ـ اذا استجاب الملك لمطالبنا فان موقفنــا سيكون مــيئا اذا صممنا على استقالته •

ووصلنا الى القصر ••

ولما كانت المهمة غير عادية ـ وخاصة أن المرء لا يصادفه كثيرا هذا النوع من العمليات المتعلقة بتنحيـــة ملك عن عرشه ـ فاننى سوف اذكر هنا نص البرقية التى أرسلتها الى وزارة الخارجية فى لندن عقب لقائى مع الملك فى قصر عابدين :

القاهرة فى ٤ فبراير ١٩٤٢ :

اليكم التقرير الكامل عن احداث الليلة الجديرة بالتسجيل :

فى التاسعة تماما وصلت الى قصر عابدين ومعى الجــنرال ستون وعدد كبير من الضباط الذين اخترناهم بعناية خاصة والذين كانوا مسلحين حتى أسنانهم • وفى الطريق مررنا بطوابير من المصفحات وناقلات الجنود والدبابات كانت تبدو اشـــباحا فى الشوارع المظلمة وهى فى طريقها هى الاخرى لتأخذ مواقعهـــا حول القصر • وكانت هذه القوات مكلفة بمحاصرة قصر عابدين اثناء لقائى مع الملك •

وعندما وصلنا الى باب القصر كانت الدهشة بادية على وجوه الامناء وموظفى الديوان الذين استقبلونا عند مدخل القصر • وبينما نحن فى انتظار الملك كنت أستطيع وأنا بالطابق العلوى داخــل القصر أن أسمع اصوات الدبابات والسيارات المدرعة تأخذ موقعها حول القصر ، ونتيجة لذلك تأخر رجال القصر ٥ دقائق عن الموعد المحدد للقائى مع الملك •

وكنت على وشك أن أصيح فى رجال الديوان اننى غير مستعد للانتظار أكثر من ذلك عندما دعيت للمثول أمام الملك • وحاول كبير الامناء أن يمنع الجنرال ستون من الدخول الى القاعة التى تم فيها لقائى مع الملك •• ولكنى نحيته جانبا ودخلت أنا والجنرال ستون معا الى الملك • وبدت الدهشة على الملك عندما شاهد الجنرال ستون معى •

واقترح الملك أن يحضر حسنين باشا المقابلة ووافقت على ذلك • ودخلت مباشرة فى الموضوع ••

قلت للملك اننى كنت أتوقع منه حتى السادسة مساء أن يجيب بلا أو نعم على رسالتى اليه هذا الصباح • وبدلا من ذلك فان حسنين باشا سلمنى فى السادسة والربع مساء مذكرة أعتقد أنها تعنى أن الجواب هو : لا • ولهذا السبب فاننى أريد أن أعرف الان وهنا فى هذا المكان هل جواب الملك فعلا هو : لا ؟

وحاول فاروق أن يخرج عن الموضوع ولكنى قاطعته على الفور قائلا بشىء من الغضب :

ــ يا صاحب الجلالة •• ان الامــــور فى منتهى الخطورة • وأعتقد أنك لا تريد أن تقول : نعم •

وقلت للملك أيضا بنفس اللهجة الغاضبة انه مسئول عما يحدث بعد ذلك • وقرأت عليه الخطاب الذى أعددته الى السفارة • ثم قرأت عليه وثيقة التنازل عن العرش • ثم طلبت منه أن يوقع الوثيقة فورا والا اضطررت الى استخدام شىء اخــــر غير سار لمواجهته •

فرصة أخرى للملك :

وتردد الملك فاروق قليلا ••

وفى رأيى انه كان على وشك أن يوقع وثيقة التنازل عن العرش لولا أن حسنين باشا تدخل وأخذ يتحدث اليه باللغة العربيـــة • وبعد لحظات من التوتر الرهيب نظر الى الملك وقال بلهجة خالية تماما من الكبرياء الذى اعتاد أن يحدثنى بها :

ــ أليس من الممكن اعطائى فرصة أخرى ؟

وأجبت اننى قبل أن أوافق يجب أن اعرف اقتراحه بالتفصيل .»

وقال الملك انه مستعد أن يستدعى النحاس باشا فورا وفى حضورى اذا أردت لتكليفه بتشكيل الوزارة . ثم أكد لى الملك انه سيترك للنحاس وبوضوح حرية تشكيل حكومة وفدية يختارها بنفسه . وترددت قليلا عن عمد فى قبول عرض الملك . ثم قلت له اننى تحت تأثير الرغبة فى تجنب أية تعقيدات أخرى أوافق على منحه فرصة أخرى . ولكنى اشترطت ان يتم تنفيذ ما اتفقنا عليه فورا ..

وقال الملك انه سوف يستدعى النحاس الآن .

ويبدو أن لورد كيلرن حذف الكثير من التفاصيل غير السارة بالنسبة له من اللقاء الذى تم بينه وبين فاروق . وفى كتاب آخر عن فاروق ظهر سنة ١٩٦٧ بعنوان (فاروق ملك مصر) يقول الجنرال ستون الذى رافق كيلرن الى قصر عابدين أن الملك فاروق عندما شاهد وثيقة التنازل أظهر استياءه من أنها مكتوبة على ورق من نوع ردىء . وفعلا كانت وثيقة التنازل مكتوبة على ورق مراسلات قديم من منزل السفير . وكان الورق من النوع الثقيل . وقد تم قص الجزء العلوى من الورقة التى كانت تحمل اسم وعنوان منزل السفير .

ويمضى كيلرن فى مذكراته عن ٤ فبراير .. فيقول :

« وبعد أن وافقت على منح الملك فرصة أخرى لاستدعاء النحاس حاول فاروق جاهدا أن يتلطف معنا . ثم غادرنا القصر . وأثناء مرورنا فى الردهات الخارجية وجدناها مليئة بالضباط الانجليز وحاشية الملك الذين كان باديا عليهم الذعر . وعند القاعة الموجودة فى مدخل القصر كان يقف طابور من الجنود الانجليز وعلى رأسهم الخوذات الصلب وفى أيديهم مدافع من طراز « تومى جانز » المصوبة نحو كل من فى الداخل .

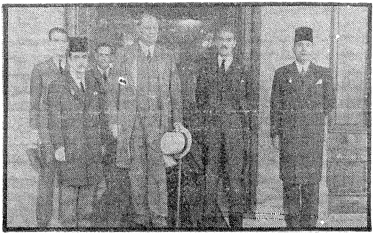
وعندما غادرنا القصر كانت الدبابات والمصفحات فى كل مكان والمدافع مصوبة نحو القصر . وأود أن اسجل هنا تأثرى البالغ بالعملية العسكرية التى تمت بنجاح .

وبمجرد وصولى الى السفارة تلقيت محادثة تليفونية عاجلة من حسنين باشا الذى كان يطلب فك الحصار عن القصر وسحب

القوات البريطانية من حوله لان جميع المنافذ الى القصر أصبحت مغلقة الان فى وجه الجميع •• وانه تحت هذه الظروف لا يمكن استدعاء النحاس باشا الى القصر لانه لن يمكنه الدخـــول • ووعدته أن أبحث الامر • وفعلا تم اتخاذ اللازم •

وبعد نصف ساعة جاء النحاس باشا الى السفارة • وابلغنى أن الملك استدعاه لتشكيل الوزارة حسب وعده لنا • واكتشفت ان الملك فاروق هو الذى كلفه بالمرور على السفارة للاتفـــاق على أسماء الوزراء • وقلت له اننى أفضل أن اترك له حرية الاختيار وبعد ذلك نستطيع ان نجلس ونناقش الامور معا • وقال النحاس باشا ان هناك عناصر شريرة فى القصر وخارجه يجب استئصالها فورا »

وأكدت له ان رغبتى ان اظل خلف الستار وان اترك له حــرية اتخاذ القرارات التى يريدها •



قال كيلرن نادما عدة سنوات بعد ٤ فبراير لانه لم يطرد فاروق

وبدأ الانتقام ..

يعترف لورد كيلرن فى مذكراته فى نهاية احــداث يوم ٤ فبراير انه استمتع للغاية بما جرى فى ذلك اليوم • وانه كان فى وسعه ان يحصل من فاروق على قرار تنازله عن العرش اذا أراد ذلك • ويعترف كيلرن ايضا وبكل صراحة انه كان يتمنى عزل فاروق ولكنه وافق على منحه فرصة اخرى وهو متردد للغاية ويود لو ان الخطة مضت لنهايتها ووقع فاروق وثيقة التنازل •

ويقول كيلرن بعد ذلك :

وفى السفارة وجدت عددا كبيرا من المسئولين فى انتظار النتائج التى توصلنا اليها • وقلت لهم اننى لم أكن أسفا فى حياتى مقدار أسفى عندما وافق الملك على استدعاء النحاس باشا وضيع منا فرصة التخلص منه • ولكنى أعتقد على أية حال ان هذا هو التصرف السليم فى مثل هذه الظروف • وعلى أية حال فقد تلقى فاروق صدمة العمر ولن ينسى ذلك طوال حياته • وبمساعدة النحاس باشا نستطيع أن نتخلص من العناصر المعادية لنا فى القصر وهكذا يمكن أن تسير الامور على ما يرام بضع سنوات أخرى •

وأثناء حديثنا جاء النحاس باشا مرة أخرى • وأخذ يحكى ما جرى فى القصر فقال ان الملك بعد رحيلنا استدعى زعماء الاحزاب وابلغهم رغبته وتصميمه أن يتولى النحاس باشا تشكيل الوزارة • ووافق النحاس بعد تردد طويل • وبعد ذلك تحدث النحاس باشا عن الاحوال السيئة فى البلاد والمجاعة والفقر المنتشرين فى أنحاء مصر • وتحدث أيضا عن الشعور بالقلق وعدم الرضا والكراهية التى يكنها الناس لنا والتى عزاها النحاس الى سوء الحكم فى العهد الماضى •

وقال النحاس ان أول شيء يجب أن تفعله الوزارة الجديدة هو معالجة هذه المشاكل •• وقال انه يعتمد علينا فى مساعدته • وقد وافقته وانصرف وهو يشعر انه يستطيع أن يفعل شيئا •

وفى اليوم التالى طلبت حسين سرى باشا وسألته رأيه فيما جرى بالامس • وقال سرى باشا ان ما حدث كان لا بد منه • وانه عندما استدعى الى القصر مع باقى الزعماء فى الساعة التاسعة والنصف مساء وشاهد القوات البريطانية والدبابات تحاصر القصر تأثروا كثيرا • وقال سرى باشا ان الملك نجا هذه المرة باعجوبة وان هذا هو الطريق الوحيد الذى كان يمكن سلوكه معه • وان الملك هو المسئول عما حدث له وانه محظوظ اذ ظل فى مكانه بعد كل ما جرى • وسألت سرى باشا اذا كان الملك قد حكى لهم ما دار بيننا فقال انه لم يذكر لهم شيئا • ووعدت سرى باشا أن أذكر له كل التفاصيل فى لقائنا المقبل •

وبعد ذلك استقبلت أمين عثمان باشا وطلبت منه أن يوحى للنحاس باشا بشيئين اريد أن يتحققا منذ البداية وهما :

ان يحاول النحـــاس باشا تعيين حسين سرى باشا رئيســـا للديوان • وقلت ان حسين سرى باشا صديق مخلص لنا • وانه يستحق هذا المنصب • وأن وجوده فيه سيساعدنا كثيرا •

والشيء الثـــانى اننى أريد أن ينقل حسنين باشا من منصب رئيس الديوان الى منصب كبير الامناء الذى يناسبه كثيرا فى رأيى•

ووافق أمين باشا على نقل هذه المطالب الى النحاس باشا واقترح أن يوحى للنحاس باشا أن هذه التغييرات من تفكيره هو وليست صادرة من السفارة •• ووافقت على ذلك •

وطلبت من أمين باشا أيضـــا أن يعمل النحاس باشـــا على التخلص من عبد الوهاب طلعت باشـــا من القصر وكـذلك باقى الايطاليين الموجودين فى القصر • وفى الحـــال وافق أمين باشا على نقل ذلك للنحاس باشا •

اهنئك بحرارة :

وفى صباح اليوم التالى تلقيت البرقية التالية من انطونى ايدن :

« أهنئك بحرارة • ان النتيجة تبرر ما فعلته • لك ثقتنا ••»
(ايدن)

ورغم هذه البرقية اللطيفة الا اننى مازلت أعانى من انى لم أنفذ خطتى الاصلية وأجبر فاروق على التنازل عن العرش •• وندمت لانى أخذت بنصيحة أوليفر ليتلتون وزير الدولة البريطانى لشئون الشرق الاوسط بأن أوافق على بقاء الملك اذا وافق على استدعاء النحاس • ولولا هذه النصيحة لما بقى فاروق فى الحكم • وقد اعترفت صباح يوم ٥ فبراير لسكرتيرى الخاص اننى ارتكبت خطأ بعدم اصرارى على التخلص نهائيا من فاروق • ولكن على أية حال ليس هناك جدوى من الندم الان • وقد تثبت الايام أن ما فعلناه كان أفضل لصالحنا •

وأخذت أفكر :

ان الموقف هكذا الان • لقـد وصل حزب الوفـد الى الحكم • وأول ما سيفعله هو البحث فى الامتيازات التى يخولها الدستور للملك • وبمعنى آخر فان أول شيء سوف تفعله حكومة الوفد هو

قص اجنحة القصر ووقف هذا التدخل المستمر من جانب القصر فى كل صغيرة وكبيرة • وهناك عنصر آخر هام فى الصورة • لقد ظل الموقف السياسى فى مصر أشبه بمقعد ذى ثلاث أرجل • فقد كان هناك القصر • ثم السفارة • ثم حزب الوفد • ومادامت الارجل الثلاث موجودة وتعمل فليس هنــاك خطر من حدوث أى انهيار • أما اذا اختفت احـــدى سيقان المقعد فانه ســوف يهتز ويسقط فعلا •

وبمعنى اخر فاننا نستطيع أن نستخدم الوفدلكبح جماح القصر، وفى نفس الوقت أيضا نستطيع أن نستخدم القصر لوقف شطحات الوفد • وكان هنــاك حل اخر أمامى •• وهو انه فى حالة ابعاد فاروق عن العرش كنت أفكر فى حلال الامير محمد على مكانه • وهو فى نظرى شخص رائع لما • ولكن المشكلة ان صحته ليست فى حالة جيدة • هكذا أخذت افكر فى مصير علاقاتنا فى المستقبل مع فاروق • هل تعلم من درس ٤ فبراير شيئا يجعله لا يحاول أن يطعنا من الخلف مرة أخرى •• أم انه أصبح اكثر مرارة وحقدا علينا • وانه سوف يتحين الفرصة مرة اخرى حتى ينتقم لما فعلناه به فى ٤ فبراير ؟

أعتقد أن فاروق سوف يحاول الانتقام فى يوم من الايام ••

وهكذا انتهى حادث ٤ فبراير ••

معركة اخرى مع اوكنلك :

بدأت اهتم بالمشاكل الاخـــرى • وفى أواخــر فبراير عقدنا اجتماعا اخر لمجلس الحرب البريطانى للشرق الاوسط • وكادت أن تنشب معركة بينى وبين الجنرال أوكنلك • فهو شخص لطيف عادة • ولكنه عندما يثور يصبح عدوانيا • ولا أملك أنا الاخـر سوى الرد عليه بطريقة عدوانية مثله •

والمشــكلة التى أثارت هذه المشــاجرة فى المجلس اننى كنت أشكو من بعض تصرفات القادة العسكريين فى المجلس الذين يبدون اهتماما بأخذ رأينا فى الاجتماعات وبعد ذلك تصدر قرارات نفاجأ بها مثل أى شخص آخر • وكنت أقصد بالذات عملية سحب جانب كبير من القوات البريطانية فى الشرق الاوسط الى مناطق أخــرى مثل الهند وبورما دون أن تعـــرف السفارة أو السفير شيئا عن

ذلك • وطلبت أن يخطرونى على الاقل حتى يكون هناك تنسيق بين تصرفاتنا العسكرية والدبلوماسية •

وانفجر الجنرال أوكنلك غاضبا • وترد أنا الاخر فى وجهه • وتدخل الحاضرون لاسكاتنا •

هؤلاء الوحوش !

لم أر فاروق بعد حادث ٤ فبراير كثيرا • ولكن فى ١٨ ابريل • أى بعد مضى أكثر من ٧٠ يوما أتيحت لى الفرصـــة أن أراه مرة أخرى عن قرب • كان ذلك فى قصر المفوضـــية اليونانية بالقاهرة حيث كان يقيم ملك وملكة اليونان فى المنفى • وكان ملك اليونان الملك جورج قد أقام حفل غداء للملك فاروق فى السفارة • ودعانى الملك أيضا الى الحفل • وكنت الشخص الوحيد الاجنبى وسط كل هؤلاء المصريين واليونانيين •• وكانت قائمـــة المـــدعوين تضم الامير محمد على وولى عهد اليونان والنحاس باشا •

وعندما وصل فاروق كان يتصرف بعظمة وكان يبـــدو منفوخا للغاية • وعلى مائدة الغداء تبســـط فاروق قليلا فى الحديث • ولكنه كان يصطحب معه تسعة من رجال القصر • ولهذا وجدت نفسى أجلس بين ولى عهد اليونان وصديقنا اللدود عبد الوهاب طلعت باشا • وكانت الدهشة بادية على وجه الملك اليونانى لكل هذا العدد من من الحاشية الذين أحضرهم فاروق معـــه • وبعد الغداء عاد فاروق الى ثيابه الملكية والى النفخة الملكية • لم يكن يخاطب أحدا • حتى ولى عهد اليونان ولا رئيس وزراء اليونان لم يظفر بكلمة واحدة منه • وفى نهاية الحفل غادر فاروق المكان دون أن يصافح أحدا مودعا •

ونظرت الى وجه رئيس وزراء اليونان وأنا أستمتع بعـــلامات القرف بادية عليه • وأعترف لى ملك اليونان أن القصر قبل أن يقبل الدعوة ســـأل عن الترتيبات بالنســـبة للموسيقى • وكان واضحا أن فاروق يصر على أن يتم عزف السلام الملكى المصرى فى الحفل • وقال ملك اليونان انه أثناء حفل غداء اقامه له فاروق فى قصر عابدين أخيرا سأل الملك اذا كان ممكنـــا أن يقابل بعض الوزراء المصريين • وأشاح فاروق بيده جانبا وهو يقول : هؤلاء الوحوش لا جدوى منهم •

وفى ابريل ١٩٤٢ أيضا وصل حسن نشأت باشا الوزير المصرى المفوض فى لندن الى القاهرة . واقمت له حفل غداء فى السفارة تبادلنا أثناءه الحديث عن الاوضاع فى البلد . وقال لى نشأت باشا ان النحاس سوف يتصرف بحكمة . ولكنه اقترح عندما تحين الفرصة أن يشرك النحاس معه فى الحكم عددا آخر من زعماء الاحزاب الاخرى . واجبت على اقتراح نشأت باشا أن الزعماء الاخرين الذين يتحدث عنهم رفضوا التعاون مع النحاس ووصفوه بأنه خائن لبلاده . ولهذا ليس بغريب أن يرفض النحاس باشا أن يتعاون بعد ذلك مع هؤلاء الذين اتهموه بالخيانة .

وقلت لنشأت باشا :

ورغم ذلك فقد وعد النحاس أن يترك عددا من المقاعد فى البرلمان للاحزاب الاخرى وخاصة السعديين والاحرار . ولكنهم قاطعوا الانتخابات ورفضوا التعاون معه بأية صورة . وفى رأيى انهم تصرفوا بسخافة . واعترف نشأت باشا أن كل هذا صحيح. ولكن اقتراحه باشراك الزعماء الاخرين هو ما يدعو اليه العقل والادراك السليم . وأن الطريقة الوحيدة أمام النحاس للتغلب على مشاكل البلد ولتبرير الكلام الذى يتردد انه - أى النحاس باشا - أصبح فى جيب الانجليز هو أن يشكل النحاس جبهة قومية . وهكذا يتوقف الكلام .

ووعدت نشأت باشا أن افكر فى اقتراحه وان ابلغه رأيى بعد ذلك . والواقع انه من الاشياء التى كانت تحيرنا أن الحديث فى البلد زاد عن التعاون بيننا وبين النحاس هذا التعاون لتشويه صورة النحاس وحزب الوفد . ولاشك أن رجال القصر والاحزاب الموالية لهم كانوا يلعبون دورا كبيرا فى ترويج هذا الكلام .

اتركوا مرسى مطروح :

يترك السفير بعد ذلك الحديثعن فاروق والسياسة والاحزاب فى مصر ويلتفت الى المعارك فى الصحراء . ففى أواخر شهر مايو ١٩٤٢ شن الجنرال روميل هجومه المشهور . وبعد قتال عنيف وشرس تمكنت القوات الالمانية من اختراق صفوف الانجليز والاستيلاء على طبرق التى كانت قلعة محصنة فى ليبيا . وزحفت قوات روميل شرقا لتصل الى الحدود المصرية . واضطر الانجليز الى اخلاء مرسى مطروح داخل الحدود المصرية . وانسحبت قوات

الجيش البريطانى الثامن الى مواقع أخرى فى العلمين التى تبعد حوالى ١٠٠ كيلومتر غرب مدينة الاسكندرية .

وفى أوائل يوليو ١٩٤٢ هاجم رومبل مرة أخرى . ولكن القوات البريطانية نجحت الى حد ما فى وقف تقدمه عند العلمين . ولم يكن أمام الانجليز مفر من تأجيل هجومهم المضــــاد . وفى ضوء هذه الظروف قرر ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا التدخل لانقاذ الموقف . فقرر عزل الجنرال أوكنلك وعين بدلا منه الجنرال الكسندر . كما قرر تشرشل تعيين الجــــنرال مونتجمرى لقيــادة الجيش الثامن .

وجاء تشرشل الى القاهرة بنفسه ليراقب الموقف . ونزل ضيفا على السفارة البريطانية .. ويتحـــدث السفير فى مذكراته عن هذه الايام فيقول :

فى الثامن من يوليو قابلت الملك فاروق فى قصر عابدين . وكم كانت دهشتى للتغير الكبير الذى طرأ عليه . وأعتقد أن اقتراب الالمان من أبواب مصر قد رفع روحه المعنوية وجعله يدرك معنى ذلك بالنسبة له ولنا . وعلى أية حال فان مظهره وتصرفاته كانت شيئا مختلفا تماما عما عهدته فيه . وسألنى فاروق عن طبرق . وقلت انها سقطت . وقال انه لا يســـتطيع أن يفهم لماذا سقطت طبرق . وقلت أن الكثيرين منا ايضا هنا وفى بريطانيا لا يعرفون كيف سقطت طبرق .

وتكلم فاروق بعد ذلك عن المقـــاومة الرائعة للجيش السوفيتى فى سباستبول .. وكان فاروق معجبـــا للغاية بما فعــله الروس هناك ولم يقل اعجاب فاروق بما فعلوه رغم أن آخر الانباء التى انبعث فى الصباح تقول ان المـــدينة سقطت فى أيدى الالمان .

وقال فاروق :

ـ لابد أن الثمن كان غاليا للجانبين .. المنتصر والمهزوم .

الامير محمد على يطمع فى عرش فاروق :

جاء تشرشل الى القاهرة ليبحث الموقف المنهــار فى الصحراء الغربية . وحاول السفير البريطانى كما يبدو فى مذكراته أن يفرض حصارا على تشرشل بحيث لا يقـــابل أحدا من المصريين الا فى

وجوده • ولكن فاروق اســتطاع بخبث أن يشــكو من السفير وأساليبه الملتوية • كما أن النحاس باشا جعل السفير يغلي من الغضب عندما قال لتشرشل :

ـ كيف نعطيكم القمح ونحن لا نجد السماد لارضنا ؟

وفي هذه الفترة ظهر « الكتاب الاسود » الذى نشره مكرم عبيد باشا عن فضائح الوفد وزينب النحاس وسراج الدين • وكان مكرم عبيد من المقربين الى النحاس • ولكنه اتفق مع فاروق من وراء ظهره ونشر هذا الكتاب الذى أحــدث ضجة كـبرى فى مصر ••

وحاول فاروق أن يستغل الموقف ويطرد النحاس باشا من الحكم •• وتدخل السفير مرة أخرى فتراجع الملك • ولكنه لم ينس هذه الاهانات للسفير •

وفي عام ١٩٤٣ ابتعدت الحرب عن مصر بعد معركة العلمين • ولكن حربا من نوع آخر بدأت فى فلســطين • فقد حاول اليهود اغتيال المندوب السامى البريطانى فى فلسطين ونجحوا فى اغتيال لورد موين فى القاهرة بعد مطاردة مثيرة فى شوارع الزمالك •• وعقد فى القاهرة مؤتمر سرى لبحث مشكلة فلسطين • وكان هناك شبه اجماع أن بريطانيا سوف تدفع الثمن غاليا اذا وافقت على تقسيم فلسطين بين العرب واليهود •

وأثنــاء غياب السفير البريطانى خارج مصر ينتهـز فاروق الفرصة ويطرد النحاس من الحكم بدعوى انه أساء التصرف فى الصعيد أثناء وباء الملاريا • وسأل السفير تشرشل ماذا يفعل •• فيرسل اليه تشرشل برقية تتضمن انذارا لفاروق والنحاس معا ••

ويرد فاروق على الانذار قائلا :

ـ اما انا •• او النحاس !

●❖●

فى أوائل يوليو١٩٤٢ كان الموقف فى الصحراء الغربية خطيرا• وتوجه السفير البريطانى سير مايلز لامبسون الى قصر عابدين ليطلب من الملك فاروق أن يستعد لينتقل مع حكومته الى المنفى فى حالة نجاح قوات روميل فى احتــلال مصر • ويقول السفير فى مذكراته عن هذه المقابلة :

« سالنى الملك عن الموقف فى الصحراء الغربية • وأوضحت له ان الاحوال ليست سيئة للغاية وانه فيما يتعلق بى شخصيا فانى مطمئن وواثق من تطور الامور • وقال فاروق عن شعوره نفس الشيء تقريبا • وانتهزت الفرصة كى ألح عليـــه فى الانتقال مع حكومته الى الخرطوم فى حالة دخول الالمـان مصر •• وقلت له ان انتقاله الى الخرطوم لن يعرضه للاتهام بأنه هرب من مصر • ولكن الملك فاروق قال لى ان مثل هذا القرار ليس شـيئا سهلا • وانه يجب أن يتشاور مع حكومتـــه أولا • وانه يخشى أن يتهمه المصريون بالخيانة اذا تركهم وهرب الى السودان •

وحاولت أن أجعل الامر سهلا • وذكرت له واقعة ملك النرويج الذى عاش أيضا فى المنفى أثناء احتلال القوات الالمـانية • وان اى قرار اتخذ فى غيبة الملك كان يعتـــبر غير دسـتورى ولكن فاروق كان يفكر بطريقة أخرى • فقد رد على بأنه معجب بمافعله ملك بلجيكا الذى ظل فى بلده ولم يقبـل الصلح فى نفس الوقت مع الالمان • وحاولت أن أذكر فاروق بما جرى لملك بلجيكا • وان الالمان وضعوه فى السجن • واتفقنا أن نترك الموضوع لفرصـــة أخرى • وعند خروجى من القاعة فتح أحد الحراس الباب وكان فاروق يضحك بقوة • وعرفت منه اننى كنت أقف فوق المكان الذى يوجد به جرس سرى مخبأ تحت السجادة وأن فاروق عندما كان يريد انهاء المقابلة مع شخص ما كان يقف فى هذا المكان • فتضىء لمبة حمراء فى الخارج ويدق جـــرس معين • فيجىء أحد رجال القصر لاصطحاب الزائر الى الخارج •

وبعد ذلك بأسبوع توجهت لزيارة النحاس باشا رئيس الوزراء فى مكتبه • وكان يرافقنى الجنرال سمارت • وتحدثنا عن حادث وقع فى ٨ يوليو ١٩٤٢ • فقـــد استقل طياران مصريان احـدى طائرات السلاح الجوى المصرى وانطلقا فى رحلة لم يعودا منها• ومن الواضح انهما ذهبا الى خطوط الالمان • وقال النحاس باشا ان الحادث ضايقه كثيرا • وانه يتخـذ الخطوات اللازمة لمعرفة ما جرى بالضبط • ولم أشأ أن أذكر للنحاس باشا أن أمين عثمان باشا قال لى قبل أن أذهب لمقابلة النحاس أن وزير الدفاع المصرى أمر بافراغ الوقود من جميـــع الطائرات المصرية حتى تظل على الارض •

وتحدثت مع النحاس بعـــد ذلك عن الامير عبــاس حليم وعن نشاطه المعادى للحلفاء فى مصر • وقلت له ان عباس حليم مسئول

عن هرب الطيارين المصريين لان له علاقة قوية مع سلاح الطيران المصرى • وكان عباس حليم فى ذلك الوقت رئيسا لنادى السيارات المصرى وله نشاط سياسى واتصالات مع نقابات العمال وكان قد حارب فى صفوف الالمان أثنــاء الحرب العالمية الاولى • وطلبت من النحاس أن يعتقل عباس حليم • واقترح النحاس اعتقاله فى منزله بالقاهرة • ولكنى طلبت ابعاده عن العاصمة •

وانتقلنا بعد ذلك الى الحديث عن محمود خليل بك عضو مجلس الشيوخ المصرى والدعاية التى كان ينشرها فى مصر ضـد قوات بريطانيا ولمصلحة الالمان • وطلبت من النحـــاس اسكاته ولكن النحاس رفض قائلا انه لا يساوى شيئا وانه ليس خطرا كما اتصور بالاضافة الى انه عضو فى مجلس الشـــيوخ ووزير سابق وكان رئيسا للمجلس • وأرجانا البحث فى الموضوع لوقت آخر •

فاروق وتشرشل :

فى أوائل شهر اغسطس وصل تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الى القاهرة ليبحث الموقف المنهار فى الصحراء الغربية • واستقبله الملك فاروق فى قصر عابدين • وكان السفير يرافقه أثناء الزيارة • ومن الواضح أن مايلز لامبسون كان يكره فاروق لدرجة انه حاول أن يمنع تشرشل من التحدث على انفراد معه حتى لا يؤثر فيه الملك • ولكن فاروق كان من الذكاء بحيث شكا لتشرشـــل من تقارير السفير الملتوية • ويقول السفير فى مذكراته :

« وصلنا الى قصر عابدين فى الحادية عشرة صباحا • ودخلنا من باب جانبى حتى لا يعرف الالمان ان تشرشل فى القاهرة • واستمرت المقابلة حوالى نصف ساعة • وكانت موفقة باستثناء محاولات فاروق الظهور بمظهـــر الملك وبطريقة رســمية • ولكن تشرشل تحدث اليه عن الحرب • وانه واثق من النصر • وانه فى مثل هذه الاوقات يستطيع الانسان أن يعرف الصديق المخلص • ورد فاروق بأنه وحكومته وبلده يتضامنون مع الحلفاء • وانه مصمم على تنفيذ المعاهدة ولكنه سوف يطلب تعديل بعض نصوصها بعد الحرب • وفى رأيى (كلام السفير) ان هذه المحاولة واضحة من فاروق للتخلص من النحاس فى أقرب فرصة •

وتحدث فاروق بعـــد ذلك عن الايام الصعبة وكيف انه أسيء فهمه كثيرا فى لندن بسبب التقارير التى كانت تشوه موقفه • وقال

ايضا انه لن يتحدث فى ذلك الان وسيتركه الى ما بعد الحرب » ويبدو أن تشرشل تأثر بحديث الملك . فقد قال لى ونحن نغادر القصر ان فاروق ليس سيئا الى هذا الحد وانه يمكن أن تصنع منه شيئا • وقال ايضا انه ينوى أن يقابله على انفراد قبل عودته الى لندن • وقد ضايقنى هذا القرار كثيرا وتحدثت مع الكسندر كادوجان الذى حضر مع تشرشل عن خطورة عدم وجود أحد اخر فى اجتماع بين فاروق وتشرشل • ووافقنى كادوجان على رأيى »

وبعد حضور تشرشل بحوالى ٩ أيام وصل الى القاهرة الجنرال مونتجومرى وكان قد صدر قرار بتعيينه قائدا للجيش الثامن بعد وفاة الجنرال جوت • وكان الجنرال قد وصل بالطائرة من لندن هذا الصباح فقط • وقال انه سوف يتوجه الى ميدان المعركة فورا • ودعوته لتناول العشاء معنا ومع الجنرال الكسندر الذى عينه تشرشل بدلا من أوكنلك ورغم أن مونتجومرى كان يبدو خشنا بعض الشىء وغير دبلوماسى الا أنى أعتقد انه من ذلك الطراز من الرجال الذى نحتاجه الان بالذات •

وقد توصل تشرشل بعد ذلك الى حل لمشكلة قيادة الشرق الاوسط ، وقرر فصلها عن الهند وكان مقرها فى بغداد • فقرر تشرشل أن يكون مقرها القاهرة وأن يتفرغ الجنرال الكسندر تماما لالحاق الهزيمة بالالمان فى الصحراء الغربية • ولكن فى ذلك الوقت كان ذلك يبدو أملا وحلما • ولم يتحقق الا بعد مضى شهرين عندما بدأ الجيش البريطانى الثامن هجومه على قوات روميل صباح يوم ٢٤ اكتوبر ١٩٤٢ واستمر القتال العنيف الشرس ٩ أيام • وكانت المعركة الفاصلة يوم ٢ نوفمبر عند العلمين • وفى اليوم التالى بدأ روميل وقواته عملية التقهقر الطويلة التى انتهت بخروجهم من افريقيا •

وكانت اخر ازمة تقع بيننا وبين فاروق فى سنة ١٩٤٢ تلك التى وقعت بسبب ابراهيم عطا الله باشا • فقد كانت الحكومة المصرية تريد تعيينه رئيسا لاركان حرب القوات المصرية وكان هذا القرار مناسبا لنا • ولكن فاروق كان يعارض ذلك • وتحدث معى الجنرال الكسندر فى الامر وابلغته ان فاروق لا يراعى قواعد الاظلام فى قصر المنتزه • كما أن غواصة تابعة للاعداء شوهدت ليلا قرب قصر المنتزه بالاسكندرية • وعندما أبدى الكسندر دهشته قلت له انه سيرى الكثير عندما يمكث هنا طويلا •

١٩٤٣

رجل لا يعرف الخجل :

شهدت بداية هذا العام ابتعاد الحرب عن الشرق الاوسط بعد معركة العلمين • ولكن المشاكل فى المنطقة ظلت معقدة وخطيرة حتى ان تشرشل عاد فى أواخر يناير الى القاهرة وطلب منى ابلاغ القصر بحضوره • ولما قلت لحسنين باشا ان هذه معلومات سرية للغاية سأل اذا كان تشرشل سيقابل فاروق • فقلت له اننى لا اعتقد ذلك لانه سوف يسافر الى انقرة ليبحث مع الاتراك موقفهم من الحرب •

وفى أول يوم من السنة الجديدة أعلنت الصحف الانجليزية نبأ الانعام على سير مايلز لامبسون السفير بلقب لورد كيلرن • وهو اللقب الذى اشتهر به بعد ذلك • وكان تشرشل قد رشحه لمنصب نائب الملك فى الهند • ولكن لندن رأت أن يبقى فى القاهرة لاهمية العمل الذى يؤديه هناك •

ويقول كيلرن :

وبعد وصول تشرشل زارنى حسنين باشا وسألنى اذا كان رئيس الوزراء البريطانى مشغولا فى الليل • واجبته انه سيقابل بعض القادة العسكريين فى المساء • فقال ان فاروق ينوى ان يقوم بزيارة مفاجئة لتشرشل فى السفارة • وبعد الاتصال بتشرشل اتفقنا أن يكون موعد الزيارة بين السادسة والنصف والسابعة والنصف مساء • واتفقنا ايضا أن تكون الزيارة خالية من الرسميات وان تتم فى مكتبى بالسفارة •

ووصل فاروق فعلا فى الموعد • وكان قد أطلق لحيته التى كانت حديث الناس فى ذلك الوقت • ورحب به تشرشل بحرارة • وبعد حوالى نصف ساعة دعانى تشرشل للانضمام اليهما • وكدت أصعق عندما وجدت فاروق يحدث رئيس وزراء بريطانيا قائلا :

ـ اتعلم يا تشرشل ان كذا وكذا •• !

وعلى وجه العموم كانت المقابلة ودية • ولكن فاروق وقف أمام الخريطة فى مكتبى وأشار الى ولاية برقة فى ليبيا قائلا : أتدرى يا تشرشل أن كل هذه الاراضى كانت تابعة لمصر ؟ •• واجاب تشرشل

قائلا : لا أستطيع أن أذكر ذلك • وحسب معلوماتى فانها كانت تابعة لتركيا قبل أن يستولى عليها الايطاليون •

وانتقل فاروق بعد ذلك الى الحديث عن واحه جغبوب والمنطقة المجاورة للسلوم وحقوق مصر فيها • وخشيت أن يثير مشكلة السودان وكسلا واريتريا ايضا • ولكن تشرشل وعده بأن كل ذلك سوف تتم تسويته بعد الحرب • وقال فاروق انه سوف يتمسك بهذا الوعد • وبعد هذا اللقاء وصف تشرشل فاروق لزوجتى بأنه رجل لا يعرف الخجل •

وبعد ذلك جاء النحاس باشالزيارة تشرشل وفى البداية شكره تشرشل على موقف حكومته أثناء حرب الصحراء • وشكره على برقيه تهنئه كان قد ارسلها له بعد سقوط طبرق فى أيدى الحلفاء• وعندما سأله تشرشل عن الموقف داخل مصر قال النحـــاس ان الشائعات تتردد بقوة أن هناك فريقين فى السفارة البريطانية : أحدهما وعلى رأسه لورد كيلرن يريد بقاء حكومة النحـــاس • والثانى وعلى رأسه كيسى يريد التخلص من النحـــاس وحكومته وصعقت وأنا أسمع النحاس يردد هذ الكـــلام أمام تشرشل • واضطررت للتدخل والتأكيد أن جميع رجال السـفارة يعملون صفا واحدا حسب التعليمات الوارده من لندن •

وبعد ذلك اثار تشرشل مع النحاس موضوع امداد قوات بريطانيا بالحبوب • وقال النحاس :

ـ كيف نعطيكم الحبوب ونحن لا نجد السماد لارضنا ؟

ومره أخرى اضطررت الى التدخل قائلا ان هذه التفاصيل يجب تركها لصغار الموظفين ، واوضح له تشرشل ان الحبوب المصرية مهمه جدا للحلفاء • وفى بعض الاحيان خيل يخيل الى أن تشرشل على وشك أن ينام أثناء الحديث مع النحاس • ولكنى اكتشفت انه كان يغمض عينيه فقط بسبب الملل •

⊙❖⊙

الكتـــاب الاسود :

وفى أواخر فبراير كتب السفير فى مذكراته يقول :

عدت من رحلة بالباخرة فى الصعيد كنت ضيقا فيها على عبود باشا أنا وزوجتى •• عدت لاجد أن مكرم عبيد الذى كان من أقرب

الناس الى النحاس باشا قد انفصل عنه ونشر كتابه المعروف باسم (الكتاب الاسود) وقد عدد مكرم فى هذا الكتاب ما تفعله زوجة النحاس باشا واسرتها من مساوىء • وانتهز فاروق الفرصـــة وحاول التخلص من النحـــاس وحكومته • ولكن السـيفر كان يرى أن أفول نجم النحاس فى ذلك الوقت لم يكن فى مصـــلحة بريطانيا • وتدخل السفير مرة أخرى واضطر فاروق الى التراجع • وتتحدث المذكرات عن قصة الكتاب الاسود فتقول :

فى أوائل ابريل قابلنى حسنين باشا كما توقعت وأثار معى حكاية الكتاب الاسود الذى قدمه مكرم عبيد الى الملك • وكانت المعلومات التى تجمعت لدينا تشير الى أن مكرم باشا كان يجمع الوثائق والمستندات التى تؤكد فساد حكومة الوفد وانتشار الرشوة بينها • وعلم النحاس أن هذا الكتاب يتم طبعه • فأمر البوليس بالاغارة على عدد من الاماكن لضبطه • ولكن البوليس فشل فى وقف طبع الكتاب الذى انتشر بين الناس بشكل واسع •

ولم يكتف مكرم عبيد بذلك • فقد توجه الى قصر عابدين وقابل حسنين باشا رئيس الديوان وسلمه نسخة من الكتاب ومعهـــا رجاء الى الملك فاروق أن يخلص البلد من هذه الحفنة من السياسيين الذين يسيئون الى مصر • كل هذا حدث أثناء غيابى فى الصعيد • ولم تفعل السفارة شيئا ولم تخطر وزارة الخارجية فى لندن • وكان الكتاب يتضمن أدلة تبدو قوية ضد النحاس وحكومته •

وقال لى حسنين باشا ان الملك فاروق مستاء جدا مما جاء فى الكتاب الاسود وانه يفكر فى اتخاذ اجراء خطير ضد النحاس • وقلت لحسنين باشا ان فاروق يجب أن يتريث قليلا وأن يتذكر ما جرى عندما اقدم سنة ١٩٣٧ على عمل تهورى وأقال حكومة كانت تتمتع بتأييد أغلبية الشعب • وقلت له انى لا ألزم نفسى بشىء ازاء ما جاء بالكتاب الاسود من فضائح ولكنى امل ألا يكـــرر الملك فاروق خطأ تهوره وانى أعتقد أن معظم ما يجرى فى مصر الان من قلق وشرور داخلية مرجعه الى الخطأ الدستورى الفاحش الذى وقع فيه الملك باقدامه على طرد الحكومة سنة ١٩٣٧ بقرار من جانبه • وقلت أيضا ان الكتاب صادر من شخص يعترف صراحة انه عدو النحاس • كما ان محتويات الكتاب لم يجر أى تحقيق رسمى لاثبات صحتها من زيفها •

ووافقنى حسنين باشا الرأى • ولكنه قال انه ظل أخيرا يحاول منع الملك من مقابلة زعماء المعارضة الذين يحرضونه على طرد

النحاس • وانهم لهذا يسمونه (حسنين باشا رئيس ديوان السفير البريطاني) • وقلت لحسنين باشا انه يجب أن يمنع الملك بأى ثمن من اتخاذ أى قرار قد يؤدى الى عواقب وخيمة وهناك احتمال كبير ان فاروق هو الذى أوحى لمكرم عبيد باشا وشجعه على نشر (الكتاب الاسود) حتى يتخلص من عدوه رقم (١) النحاس باشا • وبعد ذلك يتفرغ للتخلص من عدوه رقم (٢) الذى هو أنا • فانني واثق ان فاروق لم ولن ينسى ما حدث يوم ٤ فبراير وسيحاول دائما أن ينتقم •

الرجل الذى كسب الرهان :

فى أواخر ابريل جاء الجنرال مونتجومرى لزيارتنا فى القاهرة • كان يبدو فى أحسن حال • وكان واضحا أن حرب الصحراء تناسبه تماما رغم انى سمعت أن قواتنا تعيش على المعلبات ومعظمها من نوع البوليبيف • ولكنى سمعت أيضا انهم يتناولون ما يعثرون عليه من جزر وخضراوات فى الحقول التى يمرون بها • وسألت مونتجومرى عن صحة القصة التى سمعتها انه كسب طائرة ضخمة من جنرال أمريكى وانه يستخدمها الان فى تنقلاته •

وضحك مونتجومرى قائلا انه فعلا كسب الطائرة بملاحيها الامريكيين الخمسة • وانه جاء بهاالى القاهرة • وقال مونتجومرى انه كسب الطائرة فى رهان مع الجنرال الامريكى حول احتلال مدينة معينة فى شمال افريقيا قبل تاريخ معين • وعندما دخل مونتجومرى المدينة أبرق الى زميله الامريكى فوصلته الطائرة وملاحوها • وسوف يحتفظ بها حتى نهاية الحرب • ثم يعيدها للامريكان •

وفى صيف ١٩٤٣ كادت أن تنشب مرة أخرى أزمة مشابهة لازمة ٤ فبراير ١٩٤٢ • فقد حاول فاروق طرد وزارة النحاس من الحكم بدعوى الفساد والرشوة • والواقع انه كان يريد التخلص من النحاس بأى ثمن • ولكنى حذرت حسنين باشا من هذه المحاولة • ثم عرضت الموضوع على لجنة الدفاع • وأبدى الجنرال ويلسون تحفظات عديدة ضد استخدام القوة مع فاروق • وكان الرأى السائد انه لو كان علينا أن نختار بين ذهاب الوفد واستخدام القوة فانه من الافضل أن يخرج الوفد • ولم يكن هذا القرار فى رأيى هو الحل الامثل •

وبعثت الى تشرشل أشرح له الامر • وعلى الفور أرسل برقية الى الجنرال ويلسون يطلب منه التعاون معى تماما • وأن المسالة فى حاجة الى أكثر من استعراض قوة وبضـــعة رجال • وهكذا كانت يدى قوية وانا أقابل فاروق مرة أخـــرى فى ١٧ مايو فى الاسكندرية • وفى ذلك الوقت كانت قواتنا تزحف على تونس • ودخلت فى الموضوع مباشرة • وذكرت فاروق انه فى هذه الايام لا يوجد ملوك كثيرون فى العالم • وأنه رغم اننا نقف قلبا وقالبا وروحا مع النظام الملكى فى كل مكان الا أن فاروق وأسرته يجب أن يتصرفوا بطريقة تجعل بقاءهم فى الحكم مضمونا فترة طويلة • وذكرت فاروق بما يحدث للملوك الان فى كل مكان •

ووافق فاروق على بقاء النحاس فترة أخرى ولكنه شكا لى من الاهانات والتلميحات التى توجه ضد القصر فى البرلمان • وقلت له اننى غير مستعد أن أعمل كالبوسطجى بينه وبين النحاس • وانه كان مخطئا عندما قرر أن يقاطع القصر الحكومة • وأما عن التلميحات التى توجه ضده فقد ذكرت له ان الوحيـد الذى كان يتحدث عن مساوىء الملك ومغامراته هو مكرم عبيد باشا عندما كان وزيرا للخارجية وانه كلما كان يقابلنى كان يكيـــل الشتائم للملك • وضحك فاروق بمرارة وقال انه يعـــرف لكم هو خبيث وشرير مكرم عبيد صاحب الكتاب الاسود •

وهكذا انتهت مؤقتا أزمة أخرى مع فاروق ••

ولكن يبدو أن فاروق لم يكن يريد أن ينسى ٤ فبراير • فقـــد انتهز فرصة زيارة صديق من انجلترا كان يعرفه أيام الدراســـة ودعاه الى انشاص ثم أخذه بعد ذلك الى أوبرج الاهرام • وطوال فترة الضيافة ظل يشكو له من تصرفاتى وعن الطريقـــة التى اتبعتها معه فى حادث ٤ فبراير • ويبدو أن فاروق كان يريد من وراء ذلك خلق رأى عام فى بريطانيا ضدى • وقال فاروق لصـــديقه اننى أحاول أن أعزله عن كل شىء وأن أمنع كبار الضيوف الانجليز من رؤيته • ونفيت بشدة كل هذه الاتهامات • وقلت اننى أسف لانى أعطيته فرصة أخرى يوم ٤ فبراير •

روزفلت والنحاس :

وأثناء رحلة للسفير وزوجته فىجنوب افريقيا بدعوة منالمارشال سمطس • كاد فاروق أن يفقـــد حياته فى حادث ســـيارة • فقد اصطدمت سيارته بسيارة عسكرية بريطانية • وكان معروفا عن

فاروق أنه يقود سيارته بسرعـــة كبيرة • ولكنه نجـا من الموت بأعجوبة • وبعد الحـــادث قام الانجليز بعلاجـــه فى مستشفى عسكرى بريطانى •

وفى نهاية نوفمبر جاء الى القاهرة تشرشل وروزفلت وتشانج كاى تشيك وزوجته • وعقد الثلاثة مؤتمر القاهرة قبل السفر الى طهران للاجتماع مع ستالين • ويبدو أن السفير كان بعيدا عن هـــذه الاجتماعات لانه لايتحدث عنها فى مذكراته بقدر مايتحدث عن لقائه مع تشانج كاى تشيك الذى رفض أن يقابل تشرشل الا اذا حضر مترجمه الخاص لانه لا يتكلم الانجليزية • وعن روزفلت الـــذى شكا له بمرارة من تصرفات ديجول • وأثنى روزفلت على النحاس قائلا : انه شخصية مثيرة فعلا للاهتمام •

١٩٤٤

مصرع لورد موين :

تتحص المذكرات ما حدث فى هذه السنة فتقول ان الحـــرب العالمية ابتعدت تماما عن مصر • ولكن حربا من نوع اخر بدأت فى فلسطين • ويقول تقرير رسمى بريطانى ان فلسطين أصبحت مسرحا لجرائم العنف التى يرتكبها الارهابيون اليهود ضد القوات البريطانية • وكانت الحكومة البريطانية قد اصدرت سنة ١٩٣٩ كتاب ابيض تحدد فيه هجرة اليهود الى فلسطين • ولكن هـــذا القرار لم يعجب اليهود فى بريطانيا وامريكا فبدءوا يهاجمونه بعنف وبكل الوسائل •

وفى فلسطين نفسها بدأت أعمال ارهابية من نوع آخر • فقد حاولت عصابة شتيرن الارهابية ايقاع المندوب السامى البريطانى سير هارولد ماكمشيل فى كمين • وفى أول نوفمبر اغتال اليهود لورد موين فى القاهرة • وكان يشـــغل منصب وزير الـــدولة البريطانى لشئون الشرق الاوسط •

وفى يوم أول يناير ١٩٤٤ يتوقع السفير البريطانى لورد كيلرن المتاعب مرة أخرى مع القصر • فهو يقول فى المذكرات :

« كان العام الماضى حافلا باللقاءات والمؤتمـــرات الكبرى » وهكذا اعتقد ان مصر ستظل تلعب دورا حيويا وهاما كقاعـدة لاستراتيجيتنا فى البحر المتوسط وفى المعركة القادمة فى الشرق الاقصى • وهكذا يبدو ان كل شىء على ما يرام خارجيا • أما داخليا

فان العلامات للاسف لا تبدو مشـــجعة • فالازمة بين الحكومة والقصر ما زالت على اشدها • وأعتقد أنها سوف تنفجر يوما من الايام • وقد سئمت هذه الحالة لانى أود أن أعيش فى سلام بعض الوقت • ولكن لا يبدو اننا سوف ننعم بالسلام هنا قريبا » •

وبالفعل حدث ما توقعته • وبدأت المتاعب فلم تمض ٤٨ ساعة على العام الجديد وبدأت اسمع عن فاروق ومتاعبه • فقد حضر الى الامير محمد على • وشكا الى من تصرفات فاروق بعـــد حادث السيارة • ففى حفل أقامته احدى أميرات الاسرة المالكة توجه محمد عبد المنعم الى فاروق لتهنئته بالنجـــاة من حادث التصادم • ولكن فاروق اجاب بجفاء قائلا :

ـ أنا أعرف أنى خيبت ظن الكثيرين منكم عندما لم أمت فى الحادث • ولكنى سوف أنتقم •

ويقول السفير : ان فاروق وحسنين يدبران شيئا • واعتقد اننا يجب أن نفعل شيئا • ولكن على أن أنتظـــر لارى ما ســـوف يحدث أولا •

فاروق يعقش فى الصيد :

ويشير حادث بسيط وقع فى أوائل سنة ١٩٤٤ الى أن لورد كيلرن لم يكن يريد لاى أحد من الخارج أن يتدخل فى سياســـته فى مصر • وكلما جاء ضيف مهم من لندن كان يحاول أن يعطيه انطباعا سيئا عن فاروق منذ البداية • أو يحاول أن يقلل من أهمية أى شىء يسمعه بأن يقول له ان السياسة فى مصر شىء مختلف تماما وانه لن يستطيع أن يفهمها فى فترة بسيطة • وهكذا كان السفير يتخلص من أى شخص له أهمية ويستطيع أن ينقـــل أى انطباع سيىء عن سياسة كيلرن فى مصر الى المسئولين فى لندن •

حتى جاء انجليزى يدعى جوليان ايمرى وكان من أصـــدقاء السفير • وكان السفير دائما يحكى له اخر الانباء فى مصر • وذات يوم اتصل به حسنين باشا رئيس الديوان وطلب منه اذا كان يريد أن يصحح معلوماته عن مصر أن يجلس مع زعماء المعارضة ويستمع اليهم حتى لا يكون رأيه عن الاحوال من كلام السفير فقط • وجاء ايمرى الى السفير يسأله اذا كان ذلك لا يغضبه • ولما كان ايمرى فى منتهى الذكاء فان السفير لم يلجأ الى الحيلة التى اعتاد أن يتبعها مع الاخرين • ولكنه فكر أن يرد لحسنين باشا الضربة فطلب من ايمرى أن يسأل حســـنين باشا اذا كان من الممكن أن يجتمع بنجيب الهلالى باشا وزير التعليم •

وكان كيلرن يعلم أن القصر يكره نجيب الهلالى بشدة فى ذلك الوقت وحتى يضمن السفير أن يسمع ايمرى كلمـــة طيبة عن السفارة من مصرى مخلص للانجليز فقد طلب منه أيضا أن يقابل أمين عثمان باشا • وهكذا تتضح صورة الحصار الذى يفرضـه السفير على كل من يحضر الى مصر ويحاول أن يتعرف بنفســه على الاحوال أو يقابل المصريين من وراء ظهر السفارة •

ولم يكف السفير عن الحقد على فاروق حتى عندما دعاه الاخير للصيد فى كوم أوشيم • فقد كتب السفير فى مذكراته كشـفا بما إستطاع كل صياد فى الرحلة أن يصيده من بط وطيور أخرى • وعن نفسه يقول السفير انه أصاب ١٣٥ بطة ولكن الصبيان لم يجمعوا له سوى ١١٧ بطة وان اصاباته كانت جيدة لان معظمها كان فى العنق • أما عن فاروق فيقول السفير انه يزعم انه صـــاد ٤٣٧ بطة • ولكنه يشك فى صحة هذا الرقم فيقول ان فاروق كان معه صديق له يصيد معه • وان الخفراء كانوا يصيدون أيضـــا ويجمعون البط على ان فاروق هو الذى أصابه • وفى حفل الغداء الذى اقيم بعد الصيد فى كـــوم اوشيم يلاحظ كيلرن ان فاروق كان يتودد للامريكان كثيرا •

وفى ٦ ابريل ١٩٤٤ عقدبالقاهرة مؤتمر سرى لبحث مشكلة فلسطين وقد اجتمع المؤتمر فى غرفة الحرب بمقر قيادة الشرق الاوسط • وحضره لورد موين ومبعوث خاص من لندن وجميع القـــادة العسكريين فى المنطقة والسفير • وكان البحث يدور حول الآثار التى تترتب على إلغاء بريطانيا لكتابها الابيض سنة ١٩٣٩ الذى يحدد هجرة اليهود الى فلسطين • وماذا يحدث فى العالم العربى اذا اعلنت بريطانيا موافقتها على تقسيم فلسطين بين العـــرب واليهود • وكان هناك شبه اجماع فى المؤتمر أن بريطانيـــا سوف تدفع الثمن غاليا وخاصة فى مصر والعـــراق اذا فعلت ذلك • وأوضح كيلرن أن مثل هذا العمل سيثير رد فعل عنيفا فى مصر وأن على بريطنيا أن تتوقع أياما عاصفة اذا هى فعلت ذلك • وقال السفير كيلرن انه يفضل أن تظل فلسطين تحت الانتداب البريطانى لدواعى الدفاع عن الامبراطورية • وقال قائد آخر انه يخشى من مشروع سوريا الكبرى الذى قد يجعل نفوذ فرنســا أقوى من بريطانيا فى الشرق الاوسط •

وفى نهاية المناقشة طلب لورد موين من الحاضرين الا يذكروا حرفا منها لاى شخص •

فاروق يطرد النحاس :

تتحدث المذكرات بعد ذلك عن تدهور الموقف الداخلي في مصر ، وعن العلاقات التي لم يطرأ عليها أي تحسن بين الملك والنحاس ، وعن ظهور وباء الملاريا في الصعيد الذي قضى على حياة الكثيرين هناك • ويعتقد فاروق أن هذه فرصة أخرى للتخلص من حكومة الوفد ولكن السفير يقف مرة أخرى وراء النحاس وضد الملك . ويقول السفير في المذكرات :

« ابلغني حسنين باشا ان الملك يريد أن يراني • وعندما وصلت الى القصر قابلني فاروق وكلة ترحيب وابتسامات وعلى الفور لعب في صدري الشك انه يخفي قنبلة سوف يفجرها بعد ذلك . وسلمني الملك مذكرة طويلة محتواها انه لم يعد يطيق النحاس أكثر من ذلك • وتبين لي أن الذي أثار فاروق كثيرا تصرفات النحاس أثناء زيارته للصعيد للتفتيش على حملة مكافحة الملاريا • وقال فاروق ان النحاس كان يتصرف أثناء الرحلة وكأنه ملك • وعندما قال لي فاروق :

ـ انك توافقني طبعا انه لا يمكن أن يكون هناك ملكان في مصر »

وأجبت قائلا بسرعة : لا قدر الله •• ان ما نعانيه من ملك واحد يكفينا •

وضحك فاروق بقوة وقال انها ملاحظة لطيفة • وبعد ذلك قال فاروق بطريقة ودية اننا في الماضي دخلنا في معارك كثيرة ، وان الوقت قد حان لابعاد النحاس وتشكيل حكومة أخرى مؤقتة ، وقال ان الرجل الذي اختاره صديق شخصي لي ومخلص للانجليز . وأوضحت لفاروق انه كان يجب أن يخطرني أولا حتى أسأل لندن قبل المقابلة • وقلت له ان رأيي الشخصي ان الوقت غير مناسب لاجراء تغيير وزاري • وقلت أيضا إن مصير العالم كله ومصير مصر أيضا يتقرر الآن في الحرب • وان اجراء تغيير وزاري في هذا الوقت بالذات غير مناسب لمصر ولنا • واننا مرتاحون للغاية لحكومة النحاس التي تطبق المعاهدة بروحها ونصها •

وفي النهاية سألت فاروق : ومن هو اسم الرجل الذي اخترته بدلا من النحاس والذي تقول انه صديقنا ؟

وأجاب فاروق بعد تردد : اليك قائمة بالاسماء التي كنت افكر فيها :

وقدم لى قائمة بالاسماء على رأسها حسنين باشا كرئيس للوزراء • وحسنى صادق كوزير للحربية • وحسن رفعت كوزير للداخلية • ود• شوشة كوزير للصحة • وسابا حبشى باشا كوزير للتجارة • وعددا آخر من الاسماء غير المعروفة • ولكن كان من بينهم عمرو باشا الشاب الثرى جدا وبطل الاسكواش راكيت • وقال لى فاروق ان معظم الاسماء التى اختارها من رجال لاينتمون للاحزاب • وان المهمة الاولى للوزارة ستكون تنظيم عملية الانتخابات القادمة •

وقلت لفاروق اننى يجب أن أسأل لندن أولا • وانه لمعلوماته الخاصة يجب أن يعرف ان الذى يتولى الشئون الخارجية فى بريطانيا الآن ونستون تشرشل نفسه • وانى اتوقع أن يكون الرد قصيرا وحاسما • ووافق فاروق بحماس على أخذ رأى تشرشل الذى كان يعتقد انه صديقه ولكنى حذرته من الافراط فى التفاؤل• وأخذت منه وعدا الا يقدم على شىء قبل أن يصل رد تشرشل من لندن • وسألته ماذا سيفعل اذا قال تشرشل : لا • فأجاب بأن هذا لا يتفق مع تعهدات بريطانيا بعدم التدخل فى الشئون الداخلية لمصر • واعتقد انه سجل نقطة هامة •

ودعوت لجنة الدفاع البريطانية لبحث الموقف • وأثناء الاجتماع تلقيت مكالمة تليفونية من حسنين باشا يقول فيها :

— لقد وقع الملك فاروق قرارا بطرد النحاس من الحكم •

تشرشل يهدد فاروق والنحاس :

وطلبت أن أقابل الملك فاروق فورا • وسألته لماذا أقال النحاس وخالف الاتفاق الذى وصلنا اليه أن ينتظر حتى يصلنى رد من لندن • وقال فاروق انه يستطيع أن يشرح ذلك • ولكنى طلبت أن أقرأ له نص رسالة تشرشل •• أولا • كانت الرسالة موجهة من رئيس وزراء بريطانيا (تشرشل) الى فاروق مباشرة وتقول :

« ان المشكلة التى نشأت بين جلالتك وبين حكومة النحاس باشا مهمة جدا وخطيرة جدا لدرجة انى دعوت مجلس الحرب البريطانى لبحثها فى الاسبوع القادم • وامل الا تتخذوا جلالتكم أى تصرف عنيف قبل ذلك الموعد • كما انى بعثت بتعليمات الى سفيرنا فى القاهرة لكى يتصرف النحاس باشا بنفس الروح •• وان حكومة جلالة ملك بريطانيا ستكون ضد من يضرب أولا •• ولما كانت مصر قد نجت من ويلات الغزو بفضل جهودنا ولم تتحول الى ميدان

للمعارك وتعيش الان فى سلام ورخاء فاننا نجد أن من حقنا ان نخاطبكم حول هذا الموضوع » •

ونصحت الملك فاروق ألا يتجاهل رسالة تشرشل • وخاصة الفقرة التى تتحدث عمن يضرب اولا • ولكن فاروق أخذ يشكو من تصرفات النحاس ويقول انه الان فى طريقه الى الاسكندرية • وسوف يتصرف بنفس الطريقة التى فعلها فى الصعيد وكأنه يحكم مصر • وقلت للملك انه يتسرع فى اصدار أحكامه على النحاس • وتمسكت أن احصل منه على رد على رسالة تشرشل • ووعدنى أن يصل الرد خلال ساعة •

وفى طريقى الى خارج القصر تحدثت الى حسنين باشا وسألته كيف يترك فاروق يفاجئنا بمسدس مصوب الينا بدون اخطار سابق • وحاول حسنين باشا أن يبرر موقف الملك وأن يقول انه أخطرنا بما قد يحدث عن طريق الجنرال ستون • ولكنى رفضت كلامه وأعدت على مسامعه تحذيرات تشرشل الى الملك والنحاس وقلت اننى سوف أتصرف اذا جد شىء فى الموقف •

وعدت الى السفارة ثم استدعيت أمين عثمان باشا وأبلغته ان القصر ينوى اتخاذ اجراءات ما ضد الحكومة • ولم أشأ أن أذكر له صراحة ان الملك ينوى اقالة الحكومة • ولكنى اخبرته انى حذرت الملك من عواقب هذا التصرف • وطلبت منه أن ينقل تحذير تشرشل للنحاس ايضا .الا يضرب أولا ••

واقترح أمين عثمان باشا أن يستدعى النحاس باشا من الاسكندرية فورا • ولكنى لم أشأ أن أعلق على الاقتراح وتركت له حرية التصرف • وعندما توجهت لتناول طعام الغداء تلقيت مكالمة تليفونية من القصر يقول فيها حسنين باشا ان الملك قرر أن ينتظر حتى يصل رد تشرشل من لندن بعد اجتماع مجلس الحرب •

٤ فبراير أخرى :

وفى اليوم التالى تلقيت رسالة من تشرشل تقول :

« سوف أعرض على مجلس الوزراء البريطانى غدا الموقف فى مصر • وهناك احتمال كبير فى أن يؤيد المجلس الحكومة الديمقراطية ضد عصابة القصر التى يرأسها ملك شرقى مستبد كان يثبت دائما انه صديق غير مخلص لبريطانيا • وارجو أن تتخذ مع رؤساء أركان الحرب البريطانيين الاجراءات اللازمة لتوفير القوات التى قد تحتاجون اليها لمواجهة أى متاعب من المصريين » •

وفهمنا رسالة تشرشل على انها انذار اخر لفاروق أن يستمع

الى ما نقوله أو يتنازل عن العرش • ولكنى لم أكن واثقا هذه المرة أن لدينا قوات كافية لمواجهة الموقف • كما أن عددا كبيرا من الذين حولى كانوا يشكون فى هذا التصرف والنتائج التى قد تترتب عليه اذا نحن أقدمنا مرة أخرى على عمل ضد الملك •

وقررت استدعاء مجلس الدفاع البريطانى الى اجتمـــاع عاجل يعقد فورا • وفى الاجتماع قرأت رسالة تشرشل • وقلت ان الامر الان فى أيدى العســـكريين البريطانيين للتصرف كما يجب • وبدأ النقاش حول موقف الجيش والبوليس المصرى اذا نحن أقدمنـــا هذه المرة على عزل فاروق • وكان رأيى أن الجيش والبـــوليس المصرى قد يعارضان قلب العرش ولكنهما لن يعارضا بقـــوة تغيير الملك بملك اخر • وذكرت لمجلس الدفاع حديثـــا دار بينى وبين الامير محمد على الذى شكا الى بعد أحداث ٤ فبراير ان السفارة لم تفكر فيه بالمرة بسبب (صديقته الاجنبية) التى تقيم فى قصر المنيل معه • وقال لى الامير محمد على انه لو ان بريطانيا وضعته على العرش يوم ٤ فبراير لضمن ولاء الجيش المصرى له وبالتالى لبريطانيا فى ذلك الوقت •

وبعد ذلك بدأنا نناقش الموقف بالنسبة للحكومة • وقلت اننى يجب أن أرى النحاس باشا أولا لاعرف موقفه • فمن غير المعقول أن نفعل كل هذا لتأييد رئيس وزراء قد لا يريد منا أن نؤيده واتفقنا على ضرورة عقد هذا الاجتماع فورا مع النحاس •

كما اتفقنا على أنه ليس من المعقول تكرار ما حـــدث يوم ٤ فبراير بالضبط وأن نتوجه مرة أخرى الى قصر عابدين ونحاصره بالدبابات اثناء تسليم انذارنا الى الملك • وتقرر أن أذهب بنفسى وأقابل فاروق وأحاول اقناعه بكل الطرق الممكنة لدى أن يسمع كلام لندن • واذا لم يوافق أقابله مرة أخرى وأسلمه انذارا مكتوبا ومعى الجنرال باجيت • فاذا صمم فاروق عـــلى موقفه أسلمه للجنرال باجيت ليتصرف معه • وجلسنا فى انتظار تعليمـــات تشرشل ونحن نتساءل : هل نتخلص من فاروق •• أو من النحاس ؟

اما النحاس •• أو انا ؟

ووصل تلغراف تشرشل يوم الجمعة ٢١ ابريل ١٩٤٤ • وكان مكتوبا عليه « عاجل جدا » وجاء فيه :

« لقد بحث مجلس الحرب الموقف فى الشرق الاوسط • وقرر انه ليس من الضرورى استخدام القوة ضد الملك فاروق ولو أن ذلك محتمل فى المستقبل • وذلك بسبب التمرد فى اليـــونان وضرورة

مواجهة ذلك أولا . ولهذا يجب ان نحاول كسب بعض الوقت فى مصر حتى نرهق المتمردين فى اليونان » .

ومرفق رسالة أخرى من تشرشل لكى يقوم كيلرن بتسليمها الى الملك فاروق .

كانت محتويات رسالة تشرشل الثانية الى فاروق خـــلال ٤٨ ساعة تقول ان مجلس الحرب يعتقد أن رغبة الملك فى اقالة حكومة يتمتع رئيسها النحاس باشا باغلبية كبيرة فى البرلمان الذى مازال أمامه ثلاث سنوات أخرى يعتبر عملا محفوفا بالمخاطر . ولكن اذا اراد الملك حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة فان لندن لن تتدخل بشرط الا يتولى رئاسة الوزارة أحد رجـــال القصر أو زعيم لا يحصل على الاغلبية فى البرلمان .

وكان معنى رسالة تشرشل أن يحتكم النحاس باشا الى الشعب فاذا جدد الشعب ثقته فيه يعود الى الحكم . وسألت فاروق اذا كان مستعدا لقبول ذلك . ولكن الملك اعترض بشـــدة على هـــذا الاقتراح . وقال ان لديه السؤال التـــالى الموجه الى الحكومة البريطانية :

هل أنتم مســـتعدون للاختيار نهائيـــا بين الملك فاروق أو النحاس باشا ؟

ـ اما النحاس .. واما أنا ؟

وسألت الملك مرة أخرى اذا كان مستعدا لاجراء انتخابات جديدة فقال انه لا يستطيع ذلك . ثم سألته هل ينوى اتخاذ أى اجراء ضد حكومة النحاس فقال انه لن يجيب على هذا السؤال قبل ان تجيب لندن على سؤاله : النحاس أو انا ؟

وبعد ذلك أخذ الملك فاروق ينعى حظه ويقول ان القدر هو الذى وضعه على عرش مصر وجعله يواجه كل هذه المشاكل . وانتهزت الفرصـــة كى اقول له ان والده الملك فؤاد كان يستقبلنى مرة كل أسبوع واننا كنا أصدقاء . وقلت له أيضا ان والده كان متشائما للغاية من احتمالات نجـــاح ابنه الملك فاروق فى الحكم . ولكنى كنت أطمئنه وأقول له اننا جميعـــا سوف نقف جـواره . وبهذه النغمة الطيبة بيننا انتهى اجتماعى مع الملك فاروق .

وكعادتى قابلت حسنين باشارئيس الديوان قبل مغادرتى القصر . ورويت له ما جرى وابدى ارتياحه الشـديد لقرار لندن استبعاده من رئاسة الوزارة . وقال ان فاروق هو الذى ضغط عليه لقبول ذلك . وحاول أن يوهمنى أن أحـــداث ١٩١٩ سوف تتكـرر مرة

اخرى اذا ظل الانجليز يؤيدون النحاس ضد الملك • واكد لى أن فاروق لا يمكنه مطلقا أن يعهد للنحاس باشا باجراء الانتخابات كما طلب تشرشل • وانه لو استمر النحاس فى الحكم فان فاروق سوف يجد نفسه فى وضع حرج للغاية •

برافو •• كيلرن :

وانشغلت فى الايام التالية بما كان يجرى فى الاسكندرية من عمليات ضد أسطول اليونان المتمرد وفى برج العرب ضد الفرقة اليونانية • ولحسن الحظ انتهت العملية بسلام واستسلم المتمردون •• وبعد اجتماعى بالملك فاروق بثلاث أيام زارنى حسنين باشا وهو يحمل رسالة من فاروق تقول انه قرر أن تستمر حكومة النحاس فى الحكم فى الوقت الحاضر• وطلبت من حسنين أن يشكر الملك على قراره الحكيم • وأبلغت لندن على الفور بما جرى وتلقيت البرقية التالية من تشرشل :

- برافو • قل للنحاس أن يحاول اصلاح ما بينه وبين الملك ••

ونستون تشرشل

وبعد ذلك جاءتنى من تشرشل رسالة ثانية أكثر تفصيلا تقول « شخصى جدا ••

لا تقلق من محاولة خلط الزيت والخل • فأنا أفعل ذلك دائما فى طبق السلطة • واذا كان النحاس هو الخل وفاروق هو الزيت فأنا واثق انك تستطيع أن تمزجهما معا • ولا بد أن يفهم النحاس اننا نؤيده لان استقرار مصر مهم جدا لقضية الحلفاء • وانه اذا أثار المتاعب فاننا نستطيع بسهولة جدا أن نعتمد على الطرف الآخر لان هدفنا دائما هو السلام والحرية ••

وبعد اسبوع مما جرى سمعت أن الملك والنحاس لم يجتمعا لتصفية الخلافات بينهما • ولهذا بعثت برسالة الى الملك عن طريق حسنين باشا أقول فيها ان ما يفعلانه شىء سخيف واننى لم أقابله طوال اسبوع حتى يستدعى النحاس • وعلى الفور تلقيت رسالة من حسنين باشا تقول ان الملك سيقابل النحاس • وطلبت أن اقابل الملك بعد ظهر نفس اليوم لاعرف ما جرى بينهما •

ومضت ثلاثة أشهر هادئة • حتى جاء شهر أغسطس • وعلمت أن الملك فاروق عثر على لغم من النوع الخطير على شاطىء قصر المنتزه • وانه طلب من البحرية المصرية أن تنتزع المتفجرات من اللغم • وعندما تدخلت البحرية البريطانية للمساعدة ثار فاروق وامر بشحن اللغم فى لورى يسافر فورا بالطريق الصحراوى •

ووصل اللغم الى قصر عابدين • ورجانى قائد أسطولنا أن أتدخل شخصيا خوفا من انفجار اللغم • واتصلت بحسنين باشا فى الاسكنرية وبعد أن أجرى اتصالات عديدة علمت أن رجال البوليس المصرى نجحوا فى ابطال مفعول اللغم • ولما حكيت لوفد برلمانى بريطانى كان يزور القاهرة ما جرى ابتسموا وقال أحدهم :

– ليت اللغم انفجر !

عبود باشا معنا ١٠٠٪ :

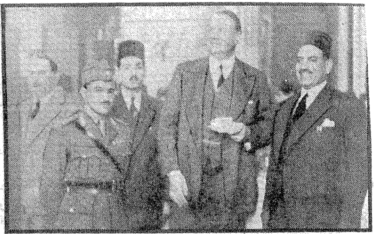
وفى سبتمبر سافر كيلرن وأسرته الى جنوب افريقيا • واثناء غيابه قام الملك فاروق باقالة حكومة النحاس باشا • وعهد الى أحمد ماهر باشا برئاسة حكومة ائتلافية • وكتب السفير فى مذكراته يقول :

(كان من الممكن أن يحدث ما هو أسوأ من ذلك • فقد كنت اتوقع أن يحدث ما جرى • وكم انا مرتاح لانه جرى وانا غائب عن القاهرة • واعتقد ان النحاس لم يتصرف بحكمة عندما طرد الغزالى من جهاز الامن العام لانه أطاع أوامر فاروق • ولما كنت غائبا فى ذلك الوقت لا يستطيع النحاس ولا فاروق اتهامى بانى تخليت عنهما • لقد خدعنا النحاس كثيرا ومن مبادئى ان أقف بجانب أصدقائى • وقد فعلت ذلك بقوة لدرجة انى اتهمت بالانحياز للنحاس • واذا كان لابد من التغيير فمن الافضل أن يحدث ذلك فى غيابى •

انى أعرف أحمد ماهر رئيس الوزراء الجديد جيدا • ومن الطبيعى انه لن يكون فى جيبنا تماما مثل النحاس باشا • ولكنه مدين بشدة لعبود باشا الذى يعتبر ١٠٠٪ معنا • كما أن عبود مدين لنا أيضا • ومشاعره نحو الحلفاء وبريطانيا فوق مستوى الشك • ولكنى حزين من اجل أمين عثمان باشا • انه لخسارة كبرى • ولن تكون الاحوال سهلة مثلما كانت من قبل • وقد قرأت فى الصحف أن أحمد ماهر سوف يستعين بعدد من الوزراء الوفديين واذا حدث ذلك فسوف يكون شيئا مثيرا للاهتمام•

وفى ٧ نوفمبر ١٩٤٤ وقع حادث اغتيال لورد موين وزير الدولة البريطانى لشئون الشرق الاوسط فى القاهرة • وبعث تشرشل الى كيلرن الذى كان فى جنوب افريقيا يطلب منه سرعة العودة الى القاهرة • ولا يكتب كيلرن فى مذكراته عن لورد موين اكثر من سطرين يقول فيهما :

(مسكين والتر موين • اغتاله الارهابيون اليهود • لقد كان موظفا رائعا وصديقا مخلصا خسارة محزنة) •



النحاس باشا وكيلرن فى آخر لقاء لهما قبل أن يغادر كيلرن مصر نهائيا

الأيام الأخيرة..

لم يبق سوى ١٤ شهرا على خروج كيلرن من مصر • ولكن هذه الفترة تشهد أحداثا خطيرة رغم انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وحتى قبل أن يغادر كيلرن مصر بساعات تشتعل نيران ثورة عارمة ضد معاهدة ١٩٣٦ وضد الانجليز فى مصر ، ويحرق المتظاهرون بعض المنشآت البريطانية • ويقع عدد من الجنود الانجليز صرعى وسط اضرابات لم يسبق لها مثيل فى القاهرة والاسكندرية وفى جميع المدن المصرية احتجاجا على بقاء القوات البريطانية فى مصر •

١٩٤٥

سنة حافلة بالاحداث :

تلخص المذكرات أحداث سنة ١٩٤٥ فتقول انه بالرغم من ان هذا العام شهد نهاية الحرب العالمية الثانية فانه لم يمر بهدوء بالنسبة لمصر . فقد زار تشرشل وروزفلت مصر مرة أخرى أثناء عودتهما من مؤتمر يالتا فى شهر فبراير . واجتمع الاثنان بفاروق والملك ابن سعود وامبراطور اثيوبيا ورئيس سوريا .. وحاول الفرنسيون العودة الى سوريا . وأدت هذه المحاولة الى ضرب دمشق بالقنابل وتدخلت القوات البريطانية . وكان لهذا العمل صدى واسع فى جميع الدول العربية وعلى رأسها مصر .

وكان العالم العربى فى طريقه الى اعادة تنظيم نفسه . وشهد هذا العام مولد الجامعة العربية . كما شهد أيضا هذا العام النزاع بين مصر وبريطانيا حول تعديل معاهدة ١٩٣٦ التى أصبحت موضع مناقشة كثيرة فى صحف مصر وبريطانيا . وكانت نقط الخلاف حول جلاء القوات البريطانية عن مصر ووضع السودان بعد انتهاء المعاهدة .

وشهدت سنة ١٩٤٥ ايضا مصرع احمد ماهر باشا رئيس وزراء مصر الذى عينه فاروق بدلا من النحاس باشا أثناء غياب كيلرن فى رحلة فى جنوب افريقيا . وحل مكان أحمد ماهر باشا النقراشى باشا .

وفى بريطانيا انهار التحالف الذى كان قائما بين الاحزاب أيام الحرب . واجريت الانتخابات العامة . وفاز حزب العمال البريطانى . وكانت صدمة كبرى لتشرشل وحزب المحافظين . وكان لهذه النتيجة آثارها فى الشرق الاوسط . كما ظلت مشكلة فلسطين مصدر قلق كبير . وفى سبتمبر استدعت الحكومة البريطانية لورد كيلرن للاشتراك فى مؤتمر لندن الذى حضره جميع الممثلين الدبلوماسيين لبريطانيا فى الشرق الاوسط . وفى هذه المرة كان ايدن وتشرشل خارج الحكم . وكان وزير خارجية بريطانيا الذى رأس المؤتمر ارنست بيفن .

ويقول كيلرن فى مذكراته فى اليوم الاول من العام الجديد ١٩٤٥ :

وهكذا نبدأ سنة جديدة ..

ولكنها ليست بداية طيبة من وجهة نظرى . فما زالت هناك متاعب فى اليونان . وصعوبات فى الهجوم على الجبهة الغربية » ورغم ذلك فان المرء عندما يفكر كيف كانت الاحوال فى بداية عام ١٩٤٤ .. أى منذ عام مضى يعتقد أن الامور الان أفضل بكثير . وبالنسبة لمصر فقد ظلت الامور مهتزة طوال العام الماضى. وصادفتنا مواقف نجحنا فيها وأخرى كان نصيبنا الفشل .. ونحن الان على قمة الموجة . فاما أن نصل الى بر الامان . واما أن تقع أحداث خطيرة ..

ولقد كانت هناك اضطرابات داخلية بعد طرد الملك لحزب الوفد من الحكم . واذا نظرنا الى الامور من وجهة نظر بعيدة فقد كان هذا شيئا لا بأس به . وكان افضل شىء أنه حدث أثناء غيابى فى جنوب افريقيا (يكرر السفير هذه العبارة مرات عديدة فى مذكراته وكأنه يحاول ابعاد أى شك فى أن الامور بدأت تفلت من يديه وأنه لم يعد حاكم مصر من وراء ستار .. كما يحاول أن يوحى بأن فاروق كان جبانا واتخذ قرار ابعاد النحاس أثناء غياب السفير عن مصر حتى يفاجأ بالامر الواقع عند عودته الى القاهرة) .

وتعترف المذكرات بعد ذلك أن الامور فى مصر تطورت بشكل خطير فى السنوات الاخيرة من الحرب العالمية الثانية . فقد ضاق الشعب المصرى بالقيود التى فرضت عليه والتضحيات التى قدمها أثناء الحرب . وضاق بالقيود التى نصت عليها معاهدة ١٩٣٦ . وكانت الصيحة الكبرى التى ترددت فى مصر سنة ١٩٤٥ :

ـ لا بد من تعديل معاهدة ١٩٣٦ .. أو الغائها اذا لزم الامر »

اعدموهم فورا :

وفى أواخر يناير تلقى لورد كيلرن برقية هامة من ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى فى ذلك الوقت . وكان مكتوبا على البرقية من الخارج : شخصى وسرى للغاية ولا تفتح الا بواسطة السفير . وتقول البرقية :

« عزيزى كيلرن :

أرجو أن تدرك أنه ما لم يتم تنفيذ الاحكام التى صدرت ضد قتلة لورد موين فان ذلك سوف يؤدى الى أزمة خطيرة بين مصر وبريطانيا العظمى . وأى تدخل قد يقع لاى سبب فى سبيل تنفيذ الاحكام التى أصدرها القضاء .. وأى تدخل قد يعرقل سير العدالة لا يتفق أبدا مع العلاقات الودية بيننا وبين مصر . وقد يكون هناك ضغط صهيونى واقع على الحكومة المصرية . وقد يكون هناك أيضا ضغط من يهود أمريكا . ولهذا رأيت أن تعرف وجهة نظرى الشخصية بالنسبة لهذا الموضوع . ولا شك انك سوف تستخدم منتهى الحرص واللباقة فى أى عمل قد تقدم عليه . وليس هناك ما يدعونى للاعتقاد أن القانون لن يأخذ مجراه فى قضية لورد موين. ولكنى أبعث اليك بهذه البرقية لزيادة التأكد».

« ونستون »

وأجبت على برقية تشرشل فى نفس الليلة بالبرقية التالية :

« تستطيع أن تطمئن أن السفارة هنا لن تسكت اذا لم يعتمد رئيس الوزراء المصرى الحكم الصادر من المحكمة فى قضية مصرع لورد موين أو اذا تعطل تنفيذ هذا الحكم فى الوقت المناسب ـ وقد أوضحت ذلك لرئيس الوزراء المصرى أحمد ماهر باشا فى اخر لقاء تم بيننا وبحثنا فيه قضية اغتيال اللورد موين ـ وحتى الان فان الاجراءات ما زالت سليمة .. وليس هناك ما يوحى أن رئيس الوزراء المصرى لن يعتمد الاحكام . وأنا أعرف أنه واقع تحت ضغط كبير من الخارج وخصوصا من المؤسسات اليهودية فى أمريكا . ولكن برقيتك الاخيرة سوف تساعدنى فى أن أوضح لرئيس الوزراء المصرى مدى خطورة أى خضوع من جانبهم لهذا الضغط » .

« كيلرن »

وبعد ذلك بثلاثة أيام يتوجه السفير الى مكتب رئيس الوزراء لمقابلة أحمد ماهر .. ويقول فى مذكراته :

« تحدثت الى أحمد ماهر باشا عن اعتماد أحكام الاعدام الصادرة ضد الشابين اليهوديين اللذين قتلا لورد موين . وأبلغته اننى تلقيت توجيهات عليا من لندن بأن أى محاولة لوقف تنفيذ هذه الاحكام سيكون لها أثر أشبه بالكارثة . وأوضحت لاحمد

ماهر باشا ان رد الفعل هذا من جانب لندن جاء بعد أن أبرقت اليهم أن تنفيذ أحكام الاعدام لن يتم قبل مضى فترة تتراوح بين ٢ و ٥ أسابيع ٠٠ وقلت لرئيس الوزراء اننى لا أحاول التدخل فى سير العدالة ٠ ولكنى أريد أن أطمئن الحكومة البريطانية أن الاحكام سوف تنفذ فعلا » ٠

« وأجاب أحمد ماهر باشا قائلا انه لا داعى لقلق لندن حول هذا الموضوع وأن الموقف باختصار هو ان أحكام الاعدام سوف تنفذ فى الوقت المناسب ٠ واعترف أحمد ماهر باشا بوجود ضغط كبير من الخارج على الحكومة المصرية لوقف تنفيذ الحكم ٠ ولكنه قال انه يرفض حتى الآن عمدا أن يقرأ أية برقية من أكوام البرقيات التى تنهال عليه من اليهود وغير اليهود من جميع أنحاء العالم وخاصة من أمريكا ٠٠ وأن هذه البرقيات كما قال له مساعده تطالبه بالعفو عن قتلة لورد موين » ٠

وهكذا يكشف لورد كيلرن فى مذكراته سرا جديدا من أسرار قضية اغتيال لورد موين ٠ وكيف ان تشرشل حاول أن يضغط على مصر للانتقام من قتله اللورد البريطانى والاسراع فى تنفيذ الحكم خوفا من الضغط الهائل الذى كانت تقوم به الصهيونية العالمية لمنع اعدام الشابين اليهوديين اللذين اعترفا فى التحقيق انهما من عصابة « شتيرن » الصهيونية الارهابية التى دربتهما خصيصا لاغتيال لورد موين لانه أقنع تشرشل بوقف هجرة أكثر من مليون يهودى من المجر أثناء الحرب فى صفقة سرية بين الحركة الصهيونية وبين عملاء هتلر ٠

●❖◎

الاسد لا يريد الحضور :

- فى العمل الدبلوماسى تقع أحيانا أشياء قد تبدو صغيرة ولكنها تثير قلقا بالغا للسفراء ٠٠ فهناك مثلا حادث احتجاز الامبراطور هيلاسلاسى امبراطور اثيوبيا (الحبشة فى ذلك الوقت) ٠ ففى منتصف شهر فبراير وصل الرئيس روزفلت الى مصر ٠ وتلقيت تعليمات من لندن أن أرتب اللقاء بينه وبين الملك ابن سعود وامبراطور اثيوبيا أو الاسد كما كنا نسميه ٠ وكانت التعليمات أيضا أن أعد ترتيبات أخرى للقاء آخر بين هذين الملكين وبين تشرشل فى القاهرة ٠ أما اللقاء بين روزفلت وبينهما فكان مقررا أن يتم فى الاسماعيلية ٠

وبالفعل وصـــل الاســد والتقى مع روزفلت فى الاسماعيلية ، وعادت به طائرة امريكية الى مطار « باين فيلد » الامريكى خارج القاهرة • واتصل بى من المطار أحد رجال السفارة البريطانيـــة ليقول لى ان الامريكان يريدون التخلص من الاسد • وأنهم بعد أن اوصلوه الى القاهرة يعتبروننا مسئولين عنه ولا يريدون اعادته الى اديس ابابا • وكانت وجهة نظر الامريكيين ان الاسد لم يعد يهمهم الان بعد انتهاء اجتماعه بروزفلت وانهم لا يستطيعون أن يضمنوا سلامة وصوله الى اديس ابابا • ولهـــذا فهم يلقـــون هذه المهمة الثقيلة علينا •

وكانت المشكلة اننى اريد اقناع الاسد بانتظار وصول تشرشل الى القاهرة ليقابله • ولكنه رفض وصمم على العودة الى اديس ابابا فى طائرة أمريكية • واشترط لكى يعود الى القاهرة لمقابلة تشرشل أن تعود به نفس الطائرة الامريكيه • ولكن الجنرال الامريكى أصر انه لا يستطيع أن يفعل ذلك بدون موافقة واشنطن • وطوال هذه الاتصالات والمكالمات التليفونية كان الاسد فى المطار •• وظل

الاسد هناك حتى فجر اليوم التالى وأنا لا أعرف ماذا فعل •

وانشغلنا بعد ذلك بوصول الملك ابن سعود على ظهــر مدمرة امريكية الى مدينة الاسماعيلية وكان مقـــررا أن يقابله الرئيس الامريكى روزفلت هنـــاك • وبعد انتهاء الاجتمـــاع كان روزفلت سيبحر على ظهر الطراد الامريكى الى الاسكندرية حيث يجتمـــع بونستون تشرشل مرة أخرى • وقال لنا الامريكيون انهم بعد انتهاء اجتماع روزفلت والملك ابن سعود لاشأن لهم بأية ترتيبات أخرى • وكان معنى ذلك أن تتكرر مشكلة الامبراطور الاثيوبى • • وفى هذه المرة كانت المشكلة أسوأ لاننا كنا مضطرين الى الاستعانة بالملك فاروق اذا فكرنا فى احضار الملك ابن سعود الى القاهرة لانتظار تشرشل •

وزاد الامر تعقيدا عندما بعث الملك ابن سعود من الاسماعيلية يقول انه يسره لقاء تشرشل • ولكنه غير مستعد للحضـــور الى القاهرة • وقررت الذهاب الى قصر عابدين ومقابلة الملك فاروق أثناء الحفل الذى اقامه لتكريم الرئيس السورى شكرى القوتلى • ووجدت أن فاروق على دراية بكل ما يجرى • وكان الاســـد حتى الان ما زال فى مطار « باين فيلد » الامريكى ويرفض الحضور الى القاهرة والاقامة فى السفارة البريطانية حتى يحضر تشرشل •

ولهذا اقتصر حديثنا مع الملك فاروق حول حل مشكلة ابن سعود الذى كان يريد أن يقابل تشرشل ولكنه لا يستطيع القدوم الى القاهرة لان هذا كان محرجا للغاية بسبب الظروف السياسية الداخلية فى مصر فى ذلك الوقت .

واقترح الملك فاروق أن يذهب ابن سعود الى الاسكندرية . ولكنى قلت انه لا يحب ركوب الطائرة . وبعد مضى بعض الوقت توصلنا الى أن أفضل ترتيب أن ينزل ابن سعود فى أوبرج الفيوم . وكان فندقا كبيرا جديدا فى ذلك الوقت . وقال فاروق انه سوف يوصى مدير الاوبرج « صوصة » أن يتخذ اللازم لتسهيل الامور وأجرينا الاتصالات اللازمة لاخلاء الفندق حتى تنتهى اقامة ابن سعود فى مصر .

فى صحتك :

وصل تشرشل الى القاهرة يوم الخميس ١٥ فبراير . وكان اسمه بالشفرة فى البرقيات المرسلة الى السفارة « الكولونيل » . وقد وصل تشرشل ومعه ابنته سارة وابنه راندولف . كانت سارة جميلة الى حد ما مثل أمها . ولكنها كانت تبدو شاحبة كالعادة .. أما راندولف فرغم انه تحسن كثيرا عن العام الماضى .. الا انه ما زال يحيرنى .. فهو على العكس من والده تشرشل الكبير على طول الخط .. وأثناء السهرة كان يحاول عمدا فى معظم الاحيان أن يقلل من أهمية كلام والده .

وكما ذكرت من قبل كان مقررا أن يتم الاجتماع بين تشرشل وابن سعود فى أوبرج الفيوم . وعندما توجه البوليس لاخلاء الفندق من النزلاء ثار بعضهم . واضطر البوليس الحربى البريطانى الى اعادتهم الى القاهرة فى سياراته الخاصة حتى يهدىء من ثورتهم . وفى اليوم المحدد للاجتماع ذهبت الى الفيوم . ونزل الملك السعودى الى البهو . وقدمونى اليه . وكان يبدو رجلا رائعا يجذبك الى شخصيته . وكانت أول ملاحظة قالها لى انه من النادر أن يلتقى برجل فى مثل قامته أو أضخم منه . والواقع انه يجعلنى أتذكر الجنرال ديجول ولو أن ابن سعود أضخم وأعرض .

وجاء ونستون تشرشل . وبعد التحيات الاولى توجهنا لتناول طعام الغداء . وكانت فرصة طيبة لى للتحدث مع ابن سعود . وكانت تقف خلفه حاشية كبيرة ومن بينهم عدد من العبيد المدربين

تخصيصا لتلبية طلبات ابن سعود • وكانوا يعدون له أطباقه الخاصة على المائدة • وكان يشرب من ماء خاص أحضروه له من مكة • وقد أصر ابن سعود أن يتذوق كل من تشرشل وانطونى ايدن عينة من هذا الماء • أما باقى الحاضرين على المائدة فقد كانوا يشربون الوسكى والصودا فى أكواب ملونة • وكنا نقول للوهابيين من أتباع الملك المعروفين بحساسيتهم ضد الخمر ان الاكواب الملونة بها دواء خاص •

وبعد الغداء خرجنا جميعا الى الشرفة حيث التقطت صورة تذكارية للجميع ونحن نجلس فى الشمس • وقال ونستون تشرشل انه يريد اجراء مزيد من المحادثات مع ابن سعود • وتركتهما فى الفندق كى أسبق تشرشل الى كوم أوشيم • وجاء تشرشل بعد الظهر • وكان أول شىء طلبه عندما جلس فى الحديقة بكوم أوشيم كأسا من البراندى القوى حتى يستطيع أن يستعيد توازنه الذى فقده مع الملك ابن سعود على المائدة التى خلتمن الويسكى بالنسبة له ولايدن • وبعد أن شرب تشرشل وايدن عدنا الى الفيللا المخصصة لهما • وفى الطريق قابلنا مجموعة من رجال الصحافة وهم فوق الجمال • وأصر تشرشل على النزول من السيارة لفحص الجمال والسؤال عن نوعها •

ونظرنا الى ساعاتنا فاكتشفنا اننا متأخرون بعض الوقت عن موعدنا مع الملك فاروق وعدنا الى السيارة وأمرنا السائق أن يحاول أن يعوض الوقت • وقال السائق ان ركب الموتوسيكلات والسيارات الذى أمامه يعطله عن السرعة • وأمره تشرشل أن يتخطى الموكب وينطلق بسرعة • وكان الطريق مليئا بالمطبات • وخشيت أن يثور تشرشل الذى كان يتأرجح داخل السيارة وهى تقذف به هنا وهناك فى المقعد الخلفى • ولكنه كان مثل طفل سعيد يحب المغامرة •

ووصلنا قبل الموعد المحدد بدقيقة واحدة • وما كدنا ننفض غبار الطريق حتى وصل الملك فاروق • واعتذر عن ذلك بأنه حاول أن يدخل الفيللا من باب اخر • ولكن الحراس أوقفوه ومنعوه من الدخول • فلم تكن لديهم أوامر بدخول أحد • واعتذر له تشرشل قائلا انهم فعلوا ذلك لاسباب تتعلق بالامن •

لا تحاكموا النحاس باشا :

وقبل أن تبدأ المحادثات بين تشرشل وفاروق كان انطونى ايدن

قد قرر ألا يشترك فى هذه المباحثات سوى تشرشل وايدن وأنا » وحاول البعض دخول قاعة الاجتماع ولكن ايدن اغلق الباب بقوة خلفه حتى لا يدخل أحد سوانا • وقد اسـتمرت المناقشة حوالى ساعة ونصف سـاعة ودارت فى جو ودى • وبدأها تشرشـل بالاشارة الى تغيير الوزارة المصرية فى مصر وتخلص فاروق من النحاس •

ورد فاروق قائلا انه أكثر سعادة الان بعد أن تخلص من النحاس » وانه لولا تدخلنا لقام بهذه الخطوة منذ زمن بعيد ، وانه كمصرى كان يشعر فى مناسبات عديدة بالحـاجة الماسة الى هذا التغيير لان الامور كانت سيئة للغاية فى مصر فى عصر النحاس باشا » وتحدث تشرشل بعد ذلك عما سمعه عن النية المتجهة لدى القصر لمحاكمة النحاس باشا • وقال تشرشـل انه لا يوافق بشدة على مثل هذا الاجراء •

وقال فاروق ان البعض كان يطالب بتوجيه تهمة الخيانة العظمى للنحاس • ولكنه لم يوافق على ذلك • ولكن الحكـومة الحالية لاحمد ماهر باشا كشفت مخالفـات خطيرة قد تؤدى الى توجيه بعض الاتهامات للنحاس باشا • ولم يحاول تشرشل أن يدخل فى تفاصيل هذا الموضوع • ولكنه ترك انطباعا قويا فى رأس فاروق أن أية محاكمات للنحاس باشا سوف ينظر اليهـا نظرة سيئة فى بريطانيا •

وبعد ذلك دار الحديث حول الاجتماع القادم للحلفاء فى سان فرانسيسكو فى ابريل لوضع أسس انشاء منظمة عالميـة جديدة تحافظ على السلام بدلا من عصـبة الامم • وقال تشرشـل ان الاشتراك فى هذا المؤتمر « مؤتمر سان فرانسيسكو » يتطلب أن تعلن الدولة العضو الحرب على المحور واليابان قبل أول مارس » وقال تشرشل ان بريطانيا وافقت على قرار مصر أن تظل بعيـدة عن الحرب ولو أنها ظلت تقـدم مساعدات مادية للحلفاء طوال الحرب • ولهذا فانه يرى أن تعطى مصر الفرصة كى تصبح احدى الدول التى اشتركت فى تأسيس هيئة الامم (التى أصبحت فيما بعد الامم المتحدة) »

وسأل فاروق :

هل تريدون حقا أن نشترك فى المنظمة العالمية ؟» وأجاب تشرشل أن المسألة ليست ما نريد نحن ولكن مصر هى التى يجب أن تقرر ذلك • وقال فاروق ان اعلان الحرب فى هذا الوقت المتأخر سوف

يثير سخرية الاخرين وخاصة أن الحرب توشك أن تنتهى • وسال فاروق ماذا تفعل تركيا • واجاب تشرشل أن تركيــا سوف تعلن الحرب •

وقال فاروق :

فى هذه الحالة فان مصر سوف تحذو حذو تركيا • وتذكرت وانا أسمع هذا الكلام ما قاله ابن سعود منذ بضع ساعات لتشرشل فى الفيوم أن المملكة السعودية سوف تفعل ما تفعله مصر • فاذا أعلنت مصر الحرب فسوف تعلن السعودية الحــرب • واقترح فاروق أن يثير انطونى ايدن الموضوع مع أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء عندما يقابله • ووافق ايدن على ذلك •

وانتقل الحديث بعد ذلك الى النواحى الاجتماعيــة • وحاول تشرشل أن ينصح فاروق بتغيير الاحوال الاجتماعية فى مصر • وقال لفاروق أنه لا يوجد مكان فى العالم يحس المرء فيه بالثراء الفاحش والفقر المــدقع فى نفس الوقت كمــا فى مصر • وقال تشرشل أن هذه فرصة لتحسين صورته كملك شاب أن يتزعم حركة اصلاح تهتم بأحوال شعبه ومطالبهم •

وتساءل تشرشل :

لماذا لا تأخذ من الباشوات الاثرياء بعضا من ثرواتهم الكبيرة وتنفقها على تحسين أحوال الفلاحين •

وأجاب فاروق ان هذا ما يتمنــاه فعلا وانه يحس بالحاجة الملحة لضرورة عمل شىء ولكن ذلك من اختصاص حكومته •

هديتى اليك سيارة رولزرويس :

وانتقل الحديث بعد ذلك الى مصرع لورد موين ورأى تشرشل أن حكم الاعدام يجب تنفيذه فى الشابين اليهوديين اللذين قتــلا اللورد • وقال فاروق انه يوافق تماما وانه من ناحيته لديه النية على شنقهما كما يقضى بذلك حكم المحكمة • وتحدث فاروق بعــد ذلك عن الحالة فى سوريا والصدام بين السوريين والفرنسيين • وقال ايدن ان بريطانيا تحاول تهدئة الجانبين ، وفى ذلك الوقت تذكرت أن الرئيس شكرى القوتلى ينتظر فى الخارج • وأن موعد مقابلته لتشرشل قد حان •

ولم يظهر الملك فاروق اى استعداد للانصراف • وغاظنى انه قال انه مستعد للبقاء مدة أطول للحديث مع تشرشل • وخرج ايدن من الغرفة حتى يطمئن الرئيس السورى قبل أن ينصرف غاضبا • واضطررت الى التدخل عدة مرات لتذكير الملك فاروق أن الرئيس شكرى القوتلى ينتظر بالخــــارج • وفى النهــــاية نهض فاروق وانصرف وهو يقول لتشرشل :

ـ لقد استمتعت بحديثنا معا الى حد كبير •

وبعد العشاء جلسنا فى الحـــــديقة • وأخرج كل منا الهدايا الثمينة التى انهالت علينا من الملك ابن ســـعود • وكانت هدايا تشرشل وايدن عبارة عن خواتم ثمينـــــة بها فصوص من المـــاس الرائع • وسيف وخنجر مرصعين بالمـــاس والجواهر • وروائح شرقية جميلة • وكمية من العنـــــبر • وزجاجات غريبـــة الشكل واللون قيل انها تحتوى على بعض التوابل النادرة • وصندوق كبير من عصير ماء الورد • وحقيبة كبرى ملأى بالارواب العربية الخلابة • وارتدى ونستون تشرشل أحـــــد هذه الارواب • وكان منظره يبدو مؤثرا •

ولبس تشرشل أحد الخواتم التى أهداها له الملك سعود وسألنى عن ثمنه وعن ثمن الماسة التى فى الخاتم • ومن حسن الحظ اننى كنت فى جنوب افريقيا أخيرا ولدى فكرة عن أسعار الماس • وقلت لتشرشل اننى أعتقد أن الماسة بالخاتم تزن ١٠ قراريط وأن قيمتها تساوى بالتقريب حوالى ٧٥٠ جنيهـــا استرلينيا • وبينما كان تشرشل يقلب فى صندوق الخاتم عثر على ورقة مكتوبة باللغــــة العربية • وبعثنا بها الى مترجم فوجدنا أنها تقول أن هذه الماسة وزنها ١٠ر٣ قيراط وثمنها ٨٥٠ جنيها استرلينيا •

وتذكرنا أن هناك قاعدة فى بريطانيـــا الا يقبل رئيس الوزراء أية هدايا • وتساءلنا ماذا نفعل بهذه الهدايا ؟ وسألنى تشرشـــل عن القيمة الاجمالية لكل الهدايا التى قدمهـــا اليه ابن سعود • وقلت اننى أعتقد أنها تساوى ٣٥٠٠ جنيه استرلينى • وقال ان ذلك يضعه فى موقف حرج للغـــــاية • وأنه لابد أن يفكر فى حل عندما يعود الى بريطانيا • وقال تشرشل انه وعد ابن سعود أن يرسل له سيارة رولزرويس عندما يعود الى بريطانيا ، وأن الهدية التى قدمها له فى الفيوم كانت عبارة عن عطر لا تزيد قيمته عن ١٠٠ جنيه ، وأنه يشعربالخجل لهذه الهدية المتواضعة •

ولا يخفى السفير فى مذكراته بعد ذلك اعجابه البالغ بتشرشل والكلام الذى يقوله • ويصفه قائلا انه دينامو بشرى وأنه أعجب شخصية قابلها • وانه لا يتردد وتصـــدر منه التعليقات الذكية والعبارات البراقة حول كل موضوع • وعنـــدما يدعو السفير تشرشل للغداء فى منزله يقـــدم اليه صندوقا من ســيجار فاخر يسميه السفير « سيجار الباشا » وكان عبود باشا قد قدمه هدية الى كيلرن • وعندما يتوجه السفير لوداع تشرشل فى المطار تبهره الطائرة التى أهـــداها الرئيس الامريكى روزفلت لرئيس الوزراء البريطانى • ويصف السفير تشرشل فى مذكراته بانه «جون بول» الحقيقى • ففى خلال ثلاثة أيام قضـــاها فى مصر اســتطاع ان يجرى محادثات مفيدة لبريطانيا مع ملكين (فاروق وابن سعود) والامبراطور (هيلاسيلاسى) والرئيس السورى القوتلى •

مات أحمد ماهر :

بعد أسبوع واحد من زيارة تشرشل وفى ٢٤ فبراير ١٩٤٥ دق جرس التليفون فى مكتبى • وكان الجنرال ســمارت على الطرف الاخر من الخط •• وقال لى انه سمع الان أن أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء قد أصيب بجراح بالغة عقب محاولة لاغتياله فى ردهة مجلس النواب • وقال ان الجانى أطلق على أحمـــد ماهر باشا الرصاص من مسدس • وانه أصـــيب بثلاث رصاصات • وطلب منا المصريون ارسال طبيب عسكرى بسرعة •

وعلى الفور اتصلت بالجنرال باجيت لارسال طبيب من الجيش البريطانى الى السفارة ليصحبنى الى مكان الحـــادث حيث كنت انوى الذهاب الى هناك • ولكن بعد ١٠ دقائق اتصل بى سمارت مرة اخرى ليبلغنى ان أحمد ماهر باشا قد توفى متأثرا بجراحه • ورأيت اننى يجب أن أصحب الطبيب معى رغم ذلك للتأكد من صحة تقرير الوفاة • واقترح الجنرال باجيت أن نخطر جميـــع القادة العسكريين للقوات البريطانية فى مصر ان يقفوا فى حالة استعداد لمواجهة اية طوارىء • ووافقته على هذا الرأى •

وركبنا السيارة الى مبنى البرلـــمان • وكان البوليس يحاصر المكان تماما وبعد ان اخترقنا حصار البوليس وجدنا باب البرلمان مغلقا • ولكن جايلز بك الذى كان يعمل مع البوليس المصرى فتح لنا الباب •و كان كل شىء بالداخـــل عبارة عن فوضى • واقترح

أحد ضباط البوليس أن أذهب لرؤية الجاني الذى احتجزوه فى غرفة مجاورة • وقلت له ان هـــذا لا يهمنى بالمرة • واننى أريد رؤية رئيس مجلس النواب فورا • وعثرنا عليه فى احدى الغرف مع عدد من كبـــار المسئولين وأكدوا لى جميعـــا حادث اطلاق الرصاص • وأن أحمد ماهر باشا مات • وأن جثته قد نقلت الى منزله •

وبصعوبة بالغة خرجنـــا من المكان الذى كان حافلا برجال البوليس • وكانوا يفتشون كل من يقابلونه فى المبنى • وتوجهنا الى وزارة الداخلية حيث قيل لنا ان النقراشى باشا وزير الخارجية فى حكومة أحمد ماهر كان يوجد هناك • واكتشفت أن النقراشى باشا قد انصرف • وعلى سلالم الوزارة قابلت مكرم عبيد باشـا الذى أكد لنا الانباء • وقررت أو اتوجه الى قصر عابدين فورا • ولم أجد حسنين باشا هناك • فطلبت من كبير الامناء أن يبلغ الملك فاروق تعزيتى الخاصة • ثم توجهنا الى منزل أحمد ماهر باشـا بالقرب من القبة •

ودخلت المنزل لاجد صدمة كبرى فى انتظارى • فقد اكتشفت أن الذى يستقبل العزاء هو ذلك الشرير على ماهـر باشا • وبدا الامر محرجا • ولكنى ألقيت بالحـــزازات جانبا وتوجهت اليه وأعربت له عن عزائى • وكان يحيط به عدد كبير من الاقارب وهم فى أشد حالات الحزن • وكانت أصوات النســـاء تتردد بشكل مخيف فى غرفة مجاورة • وفى طريقنا الى الخارج شاهدت عددا من أقارب القتيل المسنين وهم يبكون بانفعـــال ويصرخون فى كل مكان •

ويقول السفير فى مذكراته :

ان وفاة أحمد ماهر باشا خسارة كبيرة لنا فقد كان صديقا شخصيا لى طوال السنوات الماضية • كما كان مخلصا لنا ويساعدنا فى معظم الاحيان • ومن الصعب التنبؤ بآثار هذه الخسارة علينا • ومن الواضح أن الذى قتل أحمد ماهر من الوطنيين المتطرفين • وانه أطلق على أحمد ماهرالرصاص لاقتراحه دخول مصر الحرب• وقالوا لى ان هذا الرجل بعث بخطاب الى أحمد ماهر يهدده فيه بالقتل اذا مضى فى خطته لاعلان الحرب ضد المانيا • وأن الخطاب

وصل الى رئيس الوزراء فى نفس اليوم • وسلمه الى رجال البوليس • ولكن يبدو انهم لم يتخذوا اجراءات كافية لحمايته •

⊙✧⊙

مؤتمر فلسطين :

فى أوائل ابريل قررنا عقد مؤتمر فى كوم أوشيم لبحث مشكلة فلسطين • ودعونا الى المؤتمر عددا من الشخصيات السياسية والدبلوماسية فى الشرق الاوسط • ورؤساء أركان حرب الثلاثة للقوات البريطانية • وقبل المؤتمر قرأت مذكرة عن المشكلة كانت موجهة الى وزارة الحرب البريطانية • وكانت المذكرة مكتوبة بأسلوب رائع وقد نجحت فى اقناعى بعدم جدوى فكرة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود • ولكن التوصيات التى قدمتها المذكرة كانت تبدو خيالية • فقد اقترحت تسليم فلسطين وهى تحت الانتداب الى هيئة دولية تضم ممثلين من فرنسا والاتحاد السوفيتى • وتتولى هذه الهيئة ادارة فلسطين •

ودار البحث فى المؤتمر حول هذه المذكرة أولا • وقلت أن المذكرة نجحت فعلا فى فشل فكرة التقسيم • ولكن الاقتراح الخاص بتدويل فلسطين لا يبدو عمليا • وقلت اننى أكره كلمة التدويل • وقلت اننا بعد أن أصبحنا على وشك الانتصار فى الحرب العالمية يجب أن نعالج مشكلة فلسطين من وجهة نظر بريطانية محضة•• أى من وجهة نظر المصالح البريطانية • وقلت أنه لو كان الامر بيدى لتجاهلت كل عوامل الضغط الخارجى بما فى ذلك الضغط الامريكى وأعلنت بشجاعة أننا سوف نبقى فى فلسطين الى أجل غير مسمى •

وقلت ايضا فى المؤتمر أن تصرفاتنا فى المستقبل يجب أن تحكمها استراتيجينا العالمية •• وأن الحرب العالمية الثانية اظهرت لنا الاهمية الحيوية لبعض العناصر وعلى رأسها المواصلات والبترول • ولما كانت فلسطين مهمة جدا فى تغطية هذين العنصرين فاننا يجب أن نبقى هناك • وقلت اننا يجب أن نقول للدنيا كلها انه فى ضوء هذين العاملين المهمين للغاية من الناحية العسكرية فاننا مصممون على البقاء فى فلسطين برغم صيحات العرب واليهود • وقلت ايضا للقادة العسكريين فى المؤتمر :

ـ اننا نكسب الحـــرب الان • ألم يحـن الوقت أن نستجمع شجاعتنا وأن نقف موقفـا قويا من مشـكلة هجرة اليهـود الى فلسطين ، وأن نفعل ما هو فى مصلحة بريطانيا فقط !

واقترحت على المؤتمر أن نصدر بيانا بوصفنا المســئولين عن حماية مصالح بريطانيا فى الشرق الاوسط نعلن فيه لرؤسائنا فى لندن اننا نعتقد أن محاولة ركن الكتـاب الابيض البريطانى على الرف خطأ • وقلت اننا بهذه الطريقـــة نعفى انفسنا من أى لوم قد يوجه لنا فى المستقبل اذا تطورت الامور وأصبح أمن بريطانيا وسلامها فى الشرق الأوسط مهددا • ووافق المؤتمر على ارسال تحذير الى لندن بهذا المعنى حتى لا تمضى فى مشروع التقسيم •

وبعد انتهاء المؤتمر عدت الى القاهرة لاجد فى انتظارى مشكلة اخرى • فقد كان المصريون يطالبون بتعديل معاهدة ١٩٣٦ • ومن وجهة نظرى فقد حصلنـا اثناء الحـــرب على كل ما نريده من المعاهدة • وهكذا تكون المعاهدة قد استنفدت أغراضـها • ومن ناحية اخرى فان الحرب الاخيرة قد طورت وسائل القتال وخصوصا بالطائرات الى حد أن واضعى الاستراتيجية العالمية يفكرون الان فى ادخال تعديلات مناسبة عليهـــا • وعلينا ان نحـاول اقناع المصريين باهمية هــــذه التطورات لنا ولهم • واذا اقتنعـوا أن سلامتهم فى التعاون معنا نستطيع أن نحصـــل منهم على صفقة طيبة •

وفى نفس الوقت تلقيت انباء غير مشـــجعة من أصدقائى فى بريطانيا انه اذا اجريت الانتخابات العامة فان حزب العمال سوف يفوز وسوف يخرج تشرشـــل وايدن من الحـكم واكد لى القادة العسكريون هنا أن الغالبية العظمى من جنودهم ينوون التصويت لحزب العمال وضد تشرشل بعد الحرب •

⊙❖⊙

القنابل تتساقط على دمشق !

وفى احد ايام ابريل حصلت على ترخيص خاص لزيارة المتحف المصرى وكانت الاثار الهامة والنادرة ومن بينها مومياءات الفراعنة قد عادت الى مكانها فى الطابق الثانى من المبنى • وعندما كانت الحرب تقترب من مصر تم نقل هذه القطع الغالية الى مكان امين

فى حالة اذا ما تعرض المتحف لغارة أو فى حالة دخول الالمان القاهرة ولكن بعد ابتعاد خطر الحرب عن مصر عادت القطع الى المتحف .

ولهذا كنت سعيدا بالترخيص الخاص الذى حصلت عليه لرؤيتها . وكانت جميعها تبدو فى حالة طيبة . وأذكر ذات مرة أن ضجة قامت ضد حكومة الوفد فى بدء عهدها للاهمال فى نقل هذه التحف وصيانتها . ومن ضمن الاتهامات التى وجهت للذين اشرفوا على عملية نقل التحف والاثار انهم كانوا يعاملونها وكأنها مخلفات أو قطع خردة قديمة . وقد تحدثت الى زعماء الوفد فى هذا الشأن .

وبعد هذه الزيارة استمر الموقف فى الشرق الاوسط هادئا طوال شهر تقريبا . ثم انفجرت مشكلة سوريا ولبنان . وكانت الامور هناك تسير على غير ما يرام . فقد وعدنا هذه الدول بالاستقلال بعد الحرب فى مقابل وقوفهم معنا . ثم وجدنا أن ديجول يريد العودة الى احتلالها واعادتها الى السيطرة الفرنسية كما كانت قبل الحرب . وفعلا اختار ديجول أسوأ لحظة لتنفيذ خطته . وقرر فى شهر مايو١٩٤٥ ارسال تعزيزات من قواتهالى بيروت ودمشق. ونتيجة لذلك حدثت ثورة فى البلد . ومن المعلومات التى وصلتنى يبدو أن الامر سيىء للغاية .

وبالنسبة لنا فان وضعنا سيكون محرجا أيضا . فقد أثبتنا حتى الان سياسة ذات وجهين : أحدهما أن يؤيد استقلال سوريا ولبنان والاخر الاحتفاظ بمركز فرنسا القوى هناك . ويبدو أن السياستين سوف تصطدمان قريبا . وكان هذا رأيى منذ البداية . وسوف يخلق لنا هذا الموقف رد فعل خطيرا فى مختلف أنحاء الشرق الاوسط وأخشى أن نتأثر جميعا بما قد يقع فى المنطقة من أحداث.

وكم كنت أود لو اننا كانت لدينا الجراة لكى نقول لديجول صراحة اننا لن نسمح بعودة القوات الفرنسية الى سوريا ولبنان . ولكن يبدو أن لندن مهتمة أيضا بمشكلة عدم تدهور العلاقات مع الفرنسيين . ومن المعروف أن العلاقات بيننا وبين ديجول لم تكن طيبة فى معظم الاوقات .

وفى أواخر مايو تدهور الموقف تماما . وحدثت خسائر كبيرة فى الارواح فى القتال الدائر فى سوريا ولبنان . وبدأ الفرنسيون يضربون المدن السورية وخاصة دمشق بالقنابل . وقد سمعت أن عملية ضرب المدن كانت تتم بطريقة عشوائية وبدون أى تمييز

للاهداف • وقد دمرت الطائرات الفرنسية مبنى البرلمان السورى فى دمشق • وفى رأيى أن ما يفعله الفرنسيون فى سوريا لا يقل سوءا عن العمليات الارهابية للنازى وهتلر • وفى اليوم التالى اجتمعت لجنة الدفاع لشئون الشرق الاوسط • وتلقيت نسخة من تلغراف سرى للغاية من تشرشل الى الجنرال باجيت قائد قواتنا فى الشرق الاوسط يطلب فيه أن تتدخل القوات البريطانية فى سوريا لمنع سفك المزيد من الدماء هناك •

وقال تشرشل انه بعث الى الرئيس الامريكى ترومان يطلب منه أن يؤيده وأن ينصح ديجول بالتراجع عن هذه السياسة • وفعلا تراجع الفرنسيون • فلم تكد تمضى ٢٤ ساعة حتى أصدر ديجول أوامره لقواته فى سوريا ولبنان أن تطيع الاوامر الصادرة اليها من الجنرال باجيت القائد العام البريطانى • وهكذا استطاع تشرشل أن ينقذ سمعتنا التى كانت فى الطين طوال أزمة ضرب دمشق بالقنابل •

⊙ ❖ ⊙

ماذا يفعل فاروق فى الظلام ؟

سمعت قصة غريبة لاول مرة عن مغامرات الملك فاروق الغرامية• كنت مدعوا لحفل عشاء عند آل لطف الله وهم من أصل سورى • ولكنهم كانوا من المشهورين فى مجتمع القاهرة فى ذلك الوقت • والتقيت فى الحفل ببطريرك الاقباط فى روسيا • وجلست أثناء العشاء الى جوار زوجة ولى عهد اليونان الامير بيتر • وحكت لى الاميرة عما يفعله فاروق من وراء ظهر الملكة فريدة ليلا •

وكنت أعرف أن الاميرة وزوجها كانا من شلة الملك فاروق • ولكنها صارحته ذات مرة أنه لا يجب أن يشاهده الناس كل ليلة فى الاوبرج مع سائقه السابق بوللى وطبيبه الخاص • ولم يغفر لها فاروق هذه الطريقة فكان يدعو زوجها الى الحفلات التى يحضرها ولا يوجه اليها الدعوة • وقالت لى الاميرة اليونانية أن فاروق يسهر هذه الايام كثيرا عند أسرة مصرية من أصل يهودى وهى أسرة موصيرى • وأن هيلين موصيرى الزوجة تحتفظ بتليفون خاص فى غرفة نومها • وهذا التليفون لا يعرف رقمه السرى ولا يستخدمه سوى شخص واحد فقط هو الملك فاروق •

وعندما يحلو لفاروق أن يلعب القمار فى الواحدة صباحا مثلا فانه يدق التليفون لهيلين موصيرى ويطلب منها أن تجهز له « البرتيتة » واذا كان فاروق يريد حفل عيد ميلاد لاحد أصدقائه

او حفلة تنكرية أو مفاجأة لاحدى صديقاته فانه كان يتصل بهيلين موصيرى ويطلب منها اعداد كل شيء •

وحكت لى الاميرة اليونانية ايضا أن فاروق اقتحم منزلهـا ذات ليلة من الباب الخلفى بعد أن تسلق سور الجنينة وصعد الى الطابق الثانى • وكان الخدم يعرفونه • ولهذا أغلقوا عليه غـرفة نوم الاميرة حتى يستدعوها من حفل راقص كانت تقيمه فى الطابق الارضى وفشلت جهـود الامير بيتر وزوجتـه فى اقنـاع الملك بالنزول الى الحفل • واستعانت الاميرة اليونانية بأميرتين من أسرة طوسون وبصديقة الملك فاروق اليهودية هيلين موصيرى • ونجح الاربعة فى اقناع فاروق بالعودة من حيث أتى حتى لا يراه أحـد على هذه الصورة التى لا تليق بملك يتسلل من ابواب الخدم •

●❖◎

راح ايدن وجاء بيفن :

انتهت الحرب العالمية الثانية باستسلام المانيا وبعدها اليابان فى أغسطس ١٩٤٥ • وكان الشرط الوحيد لليابان بعد ضربهـا بالقنبلة الذرية أن يظل الامبراطور فى الحكم • وقبل الحلفاء هذا الشرط • وأجريت الانتخابات العامة فى بريطانيا وفاز حزب العمال وخرج تشرشل وايدن • وكانت آخر تحية من ايدن الى سفيره فى القاهرة لورد كيلرن أن حصل على موافقة وزارة الخزانة لمـد خدمة السفير بعد أن تجاوز الخامسة والستين من عمره • وفى سبتمبر ١٩٤٥ دعا ارنست بيفن وزير الخـارجية الجديد كيـلرن لحضور مؤتمر خاص للشرق الاوسط يعقد فى لندن •

وكتب السفير يقول :

كان بيفن يجلس فى مقعد الرئاسة فى المؤتمر • وكان موفقـا للغاية • وهو نشيط للغاية وقوى الشخصية • ولديه أفكار تقدمية عن الاحوال بوجه عام والشرق الاوسط بوجه خاص • قد أحببته • وقد بحث المؤتمر مشكلة فلسطين • واشترك فى المناقشة عـدد كبير من الاخصائيين الذين غرقوا فى التفصيلات التافهة • وانتهى المؤتمر الى عدة توصيات أهمها استمرار السياسـة التى تحددت فى الكتاب الابيض الخاصة بهجرة اليهود الى فلسطين •

واتفقنا أيضا على استمرار الوضع كما هـو الان حتى يمكن عرض الامر على لجنة الامم المتحدة الخاصة بالانتداب • وفى نفس الوقت تقوم بريطانيا بالضغط على الدول العربية للموافقة على قبول ١٥٠٠ مهاجر يهودى اضافى شهريا الى فلسطين حتى

تتخذ الامم المتحدة قرارها • وفى رأيى أن العرب اذا لم يكونوا أغبياء فانهم يجب أن يرحبوا بهذا العرض •

وفى نفس الوقت علمنا من المؤتمر ان الرئيس الامريكى هارى ترومان يضغط على حكومة العمال لقبول ١٠٠ الف مهاجر يهودى فى فلسطين • وأنه يحـاول تذكير حزب العمال بوعوده الانتخابية ليهود بريطانيا • واعتقـد أن اليهود فى كل مـكان وفى امريكا بالذات سوف يثيرون ضجة كبرى لقرارات مؤتمر لندن •

نسيت أن أسجل أن أسوأ ما حدث اثناء المؤتمـر ان وزارة الخارجية لم تخصص سيارة لكل سفير اشترك فى المؤتمـر حتى يستخدمها فى تنقلاته • وعندما يفكر الانسان فيما يفعله مندوبنا نائب الملك فى الهند والطائرة الخاصة التى يستخدمها فى تنقلاته هناك فان المرء لا يسعه الا ن يتحسر على ما يحدث له هنا •

فاروق وفريدة :

وبعد المؤتمر ذهبت الى مجلس اللوردات وقمت باجراء مراسم تنصيبى عضوا بالمجلس بعد حصولى على لقب لورد • ثم دعانى الملك جورج الى قصر باكنجهام لزيارة قصيرة • ودار الحـديث طبعا عن مصر والملك فاروق والعلاقات المتوترة بينـه وبين الملكة فريدة • وكان حسنين باشا قد ذكرنى قبل سفرى من القاهـرة بوعد الاسرة المالكة البريطانية بدعوة فاروق لزيارة لندن • وقال حسنين باشا ان الملك فاروق يريد أن يقوم بهذه الزيارة قريبا •

وسألنى الملك جورج رأيى فقلت له اننى أبلغت حسـنين باشا باشا صراحة ان تقاليد الاسرة المالكة فى بريطانيا لن تسمح لها بتوجيه الدعوة اليه لزيارة بريطانيا والجميع يعرفون ان العلاقات بينه وبين الملكة فريدة أصبحت شيئا يثير الاسف • وقد وافقنى الملك جورج على رأيى تماما • وتقرر ارجاء النظر فى هـذه الدعوة الى وقت اخر مناسب •

عدت الى القاهرة فى ديســمبر وزرت الملك فاروق فى قصر القبة لبحث عدة موضوعات تراكمت اثناء غيابى فى لندن • وبدأ الملك الحديث بالاعراب عن مخاوفه العميقة من الخطر الروسى الذى يهدد ايران الان والذى قد يمتد الى الشرق الاوسط كله بعد ذلك • وسألنى الملك :

ماذا تفعل بريطانيا وأمريكا حتى لا تتكرر مأساة ميونيخ مرة أخـرى ؟

ثم قال ان الشعب المصرى لم يكن يبدى اهتماما بالحرب العالمية الثانية لانها لم تكن حربه • ولهذا لم يتحمس لمساعدة الحلفاء •

أما اذا نشبت حرب أخرى مع روسيا فان الشعب المصرى كله ــ كما قال فاروق ــ سوف يقف صفا واحدا ضد الروس ٠

وبحثنا بعد ذلك مشكلة اعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ ٠ واتفقنا على ضرورة بحث التعديل من وجهة نظر التغييرات التى طرأت على الاستراتيجية العالمية ومصالح الطرفين ٠ ثم شكوت له من قانون الشركات المصرية الذى صدر أخيرا والذى قد يلحق الضرر بمصالح الشركات الانجليزية ٠ وقال فاروق انه يجب الانتظار حتى يطبق القانون ونعرف مساوئه ومزاياه ٠ وعندما فتحت موضوع ديون الحرب التى لمصر عند بريطانيا وأن تشرشل قال ان مصر يجب أن تضع فى اعتبارها أن قوات الحلفاء كانت تدافع أيضا عن مصر ٠٠ وقال فاروق انه سوف يطلب من حكومته تخفيض المبلغ كنوع من المساهمة من جانب مصر فى كسب الحرب ٠

١٩٤٦

هدوء ٠٠ قبل العاصفة :

لم يبق على رحيل كيلرن من مصر سوى ٦٨ يوما ٠ وكان قد أمضى بالقاهرة حتى الآن ١٢ عاما كسفير لبريطانيا ٠ ثم رأت حكومة العمال تعيينه مندوبا خاصا فى جنوب شرق آسيا ٠ برغم أن كيلرن قضى شهرين فقط من عام ١٩٤٦ فى القاهرة فانهما كانا مليئين بالاحداث ٠ فقد شاءت الاقدار أن يلقى أمين عثمان باشا مصرعه قبل رحيل كيلرن ٠ وتعترف المذكرات أن أمين عثمان هو الذى لعب دورا هاما من أجل الوصول الى معاهدة ١٩٣٦ وكذلك تنفيذها أثناء سنوات الحرب الحرجة لمصلحة بريطانيا ٠

وشهد شهر فبراير أيضا الخطوات الاولى لاعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ ٠ والاضطرابات التى سادت البلاد تطالب بالغائها والتى أدت الى سقوط حكومة النقراشى باشا وتكليف القصر صدقى باشا أن يشكل الوزارة الجديدة ومن المصادفات الغريبة أن صدقى باشا كان رئيسا للوزارة المصرية قبل وصول السفير اليها بقليل سنة ١٩٣٤ ٠ وهكذا عاش كيلرن دورة كاملة فى مصر ٠

ويكتب السفير فى مذكراته فى مطلع العام الجديد يوم أول يناير ١٩٤٦ فيقول :

سنة جديدة ٠ ترى ماذا تحمل معها لنا ؟

على أية حال لقد انتهت الحرب ، وبقى أن نرتب ما تناثر بسببها من قطع صغيرة ، وهى مشكلة ليست سهلة ٠ وقد انتهى مؤتمر

موسكو أخيراً • ولا يعرف احد النتائج التى حققها • فمثلا لم يعرف العالم كيف حلت مشكلة التسلل السوفيتى فى ايران • والمعلومات التى وصلتنى تقول انه لم يتم الوصول لاى حل • والاخطر من ذلك نوايا السوفييت بالنسبة لتركيا •

وبالنسبة للموقف هنا فكل شىء يبدو هادئا • ولكنه الهدوء الذى يسبق العاصفة • والسبب تعديل معاهدة ١٩٣٦ • وقد بعث المصريون مذكرة الى لندن • وهم يلقون اللوم علينا الان • واعتقد شخصيا انه لا بأس من قبول اقتراحهم بايفاد وفد مصرى الى لندن لبحث تعديل المعاهدة • فهذا أفضل لنا ولهم بعيدا عن الصحافة المصرية • كما انه من الافضل للسفارة هنا أيضا أن تتعامل لندن مع المصريين مباشرة بدلا من أن ترسل الينا تعليمات معينة لا يمكن تنفيذها • وعندما تفشل المفاوضات يلقون اللوم علينا • وأعتقد اننا نشهد الان التاريخ يعيد نفسه • وبغض النظر عن الفقرات العسكرية فى المعاهدة فهناك مشكلة السودان التى يجب حلها أولا •

ومن اكبر المشاكل التى تواجهنا فى الوقت الحاضر الاحتفاظ بمركزنا القوى والسيطرة فى الشرق الاوسط • صحيح أن لدينا الان منظمة الامم المتحدة • وصحيح أيضا أن هناك حكومة جديدة من العمال فى بريطانيا • كما انى لا أكن سوى كل الاعجاب لوزير خارجيتنا العظيم أرنست بيفن • ولكنى لا أستطيع أن أكتم غضبى عندما أسمع كلام ناس متحمسين للسلام العالمى مثل نويل بيكر • وأنا أعتقد دائما أن الشعب البريطانى فى النهاية لن يهضم أى شىء يساوى تسليم حقوقنا فى منطقة حساسة للغاية بالنسبة لمواصلاتنا مع دول الكومنولث الاخرى وهى منطقة الشرق الاوسط •

وعلى أية حال ها نحن الان قد دخلنا سنة ١٩٤٦ •• وعلينا أن نستعد لمواجهة مشاكل من نوع آخر •

◎❖●

المدموازيل اكس :

وتمضى مذكرات كيلرن مرة أخرى عن فاروق فتقول :

يبدو أن الملك فاروق يريد أن يبدأ العام الجديد بفضيحة أخرى• فقد سمعت من مسز جوان كين بويد زوجة كين بويد رجل الاعمال البريطانى والمدير العام السابق لجهاز الامن العام فى مصر أن فاروق أبدى رغبته فى تناول طعام العشاء عند صديقه الجنرال الفراى القائد البريطانى لقواتنا فى الشرق الاوسط • ولدهشة الجميع أحضر فاروق معه عشيقته « مدموازيل أكس » كما

يسمونها هنا . وقد استاء جدا لان الجنرال الفراى لم يرفض هذا الوضع المهين ورحب بفاروق وعشيقته . وبعد ذلك قال لى سرى باشا أنه شكا للملك فاروق من تصرفاته وظهوره علانية مع « مدموازيل اكس » . ولكن فاروق قال انها فتاة لطيفة جدا . وقال سرى باشا للملك أن الانجليز مستاءون جدا من تصرفه . فرد فاروق أن أمير ويلز فعل نفس الشىء « دوق أدنبره » فرد عليه سرى باشا قائلا :

ـ وماذا حدث له نتيجة لذلك .. لقد أجبروه على التنازل عن العرش .

مصرع امين عثمان :

وفى يوم السبت ٥ يناير جاءت انباء عن اطلاق الرصاص على أمين عثمان باشا . وقد أصيب برصاصتين احداهما فى الصدر والاولى ليست خطيرة . واتصلت بى كيتى زوجة أمين عثمان الانجليزية وهى تقول ان زوجها فى حاجة الى نقل دم والى جراح من عندنا . وعلمت أن أمين عثمان أصيب وهو فى طريقه الى مدخل نادى فكتوريا . وأعتقد أن حادث أمين عثمان مقدمة لحوادث اغتيال أخرى مماثلة أستطيع ان أشمها فى الهواء .

وتوجهت فورا الى المستشفى حيث كان يعالج أمين عثمان . وعلمت أن حالته خطيرة للغاية . ووجدت كيتى زوجة أمين عثمان تجلس فى غرفة مزدحمة بالسيدات . واقنعتها أنا وفرغلى باشا مليونير القطن المعروف بالاسكندرية أن تترك الغرفة وتجلس معنا فى غرفة أخرى . وقالت لى انها كانت فى طريقها الى السينما عندما سمعت بالحادث . وعندما وصلت الى مكان الحادث كان زوجها قد نقل الى مستشفى مورو . وكان مازال فى وعيه . ولكن كان من الواضح أن اصابته خطيرة وانه فى حاجة الى عملية جراحية أخرى بعد أن تم اجراء نقل دم له مرتين .

وكانت العملية الجراحية تجرى الان . واستمر الوقت طويلا . وبعثت كلمة الى طبيبين انجليزيين بالداخل كانا يساعدان الدكتور مورو أسالهما عن الاخبار . وجاء الرد أن العملية انتهت الان . وقابلت الدكتور مورو الذى أصر أمين عثمان أن يتولى اجراء العملية له . وكان هناك طبيب رابع ألمانى اشترك فى العملية أيضا . وكان يبدو أن الحالة سيئة . وفى هذه اللحظة وصل النحاس وسراج الدين باشا . وأعتقد انهما كانا داخل غرفة العمليات أثناء الجراحة لامين عثمان .

وقال الطبيب الانجليزى أن هناك فرصة لنجاة أمين عثمان .

ولكن كان واضحا من كلام دكتور مورو أن الامل ضعيف جدا • ولدهشتي وفزعي دخلت كيتي زوجة امين الغرفة وسمعت بنفسها الاطباء يقولون أنه لا جـــدوى وبعد ذلك انصرفت وعـــدت الى السفارة • وعندما سمعت زوجتي الانباء استاءت جدا لانها كانت معجبة للغاية بامين عثمان وعملت معه كثيرا في حفـلات الترفيه من القوات البريطانية •

وبعد دخولي الفراش بساعة تلقيت مكالمـــة تليفونية ان امين عثمان قد توفي • وان جثمانه نقل الى منزله • وشعرت أن هذه مأساة كبرى لنا وللذين يعرفون أمين جيدا • وأنا ارتعـد الان عندما افكر في مشاكل تعديل معاهدة ١٩٣٦ وكيف يحـدث ذلك مع غياب امين عثمان الذى كان بمثابة فرملة ووسيط بيننا وبين الوفد • لقد كان امين صديقا مخلصا لنا •

وفي الجنازة حدثت أشياء كثيرة • فقد كانت الشوارع مزدحمة للغاية • ولم نتمكن من السير الا بصعوبية بالغة • وسألت جايلز بك لماذا لم يتخذ البوليس احتياطات كافية لتنظيم الجنازة • فقال لي ان هذا الامر خطير للغاية لان هناك مظاهرة معادية للحكومة تضم على الاقل ١٠٠ الف شخص يهتفون ضدنا • وان أى تدخل من جانب البوليس سيثير صداما دمويا • وقررت أن أعود للسفارة فورا بعد ان كان في نيتي ان أسير في الجنـــازة حتى الجامع • ولكنني قطعت المسافةمن مكان الجنـــازة الى باب السفارة وهي حوالى ٣٠٠ متر في حوالى ساعة • وكان ذلك شيئا يثير السخط •

وداخل السفارة وجدت هيكل باشا وحسين سرى باشا اللذين هربا أيضا من الجماهير • وكنت في منتهى الغضب لدرجة انى ثرت في وجه هيكل باشا • وانضم الى سرى باشا الذى قال ان الضحية القادمة لرصاص المتطرفين قد يكون هيكل باشا نفسه • وقال أيضا ان وزارة الداخلية لديها ملفات كاملة باسماء هؤلاء الشبان المتطرفين والمتعصبين الذين يشـتركون في هذه العمليات الارهابية • ولماذا لم يفكر أحد في وضعهم في السجن احتياطيا • وشاركت سرى باشا في هذا السؤال وقلت له :

ـ لماذا حقا لا تفعلون شيئا ؟•

وتركت هيكل باشا وهو يرتعد خوفا من حديثنا اليه ومن غضبي الذي انصب على رأسه •

•••

فتق في مؤخرة السفير !

وبعد ذلك بـ ٤ ايام دعيت الى قصر عابدين لتحيـة الملك ابن

سعود الذى كان يزور مصر · واثناء خروجى من السيارة امام قصر عابدين شعرت بشيء ما يتمـــزق فى بنطلونى · وخشيت أن يكون شيئا خطيرا · ولكن الســـائق طمأننى أنه شيء بســـيط · ودخلت غرفة العرش حيث وجدت الملك ابن سعود جالسا هناك والى يمينه أبناؤه الاثنا عشر · والى يســاره وزراؤه · وكانوا يرتدون جميعا الزى العربى · ولهذا كان المنظر مؤثرا · وكانوا يرتدون أيضا قلادة النيل التى أهداها لهم الملك فاروق ·

وخلف الملك ابن سعود كان يقف عـــزام بك ثم النقراشى باشا رئيس الوزراء · وبعد أن صافحنا الملك عدنا الى قاعة الانتظار· وفى الطريق أحسست أن الفتق فى بنطلونى قد تضاعف لان تيار الهواء كان يداعب ساقى وضممت ذيل الجاكت الطويل بقوة حتى يخفى القطع فى بنطلونى · ورفضت أن أجلس مثل باقى السفراء وظللت واقفا وسط القـــاعة وأنا أضع يدى خلف ظهرى مثـــل نابليون بالمقلوب (كان معروفا عن نابليون انه يضـــع دائما يده فوق صدره) · ولمح الوزير المفـــوض الامريكى أن شيئا ما فى عينى يشير الى أننى لست على مايرام ·

وتوجهنا بعد ذلك لتحية الملك فاروق · ثم الى قاعة العشاء · واتبعت نفس التاكتيك لاخفاء بنطلونى الممـــزق · وكان على أن اجلس الى المائدة وبمجرد أن جلست شعرت بتيار الهواء المتسرب من الفتـــق يتحول الى عاصـــفة · ولم يكن هناك خطر مادمت جالسا · وحاولت أن أشغل نفسى بالحديث مع أحد أبناء الملك ابن سعود الذى كان يجلس الى جوارى · وبعد العشاء حاول رئيس الوزراء المصرى النقراشى باشا أن يدفعنى ناحية الملك فاروق · ولكنى ظللت أتقهقر حتى وصلت الى أريكة بجوار الحائط استندت عليها لاخفاء مؤخرتى الممزقة ·

وبعد ذلك دعيت مع الاخرين لمشاهدة مسرحية بالقصر · وكانت باللغة العربية · ويبدو اننى نمت أثناء العرض · بل أعتقد اننى كنت أشخر أيضا وبعد العرض حاولت أن أهرب من الزحام حول البوفيه وعدت الى السفارة لأجد أن حجر البنطـــلون به فتق طوله ٦٠ سنتيمترا على الاقل ·

يا لها من ليلة !! ··

بأى حق يتدخل الامريكان ؟

وبعد ذلك كتبت تقريرا الى وزارة الخارجية عن آراء ابن سعود التى سمعتها منه فى حفل غداء أقمناه تكريما له · يقول الملك ان بريطانيا تعترف بأنه مد يده اليها فى أيامهم البســـوداء ·· وأنه

سيمدها اليهم أيضا فى أيامهم البيضاء • وأن العرب يعتبرون بريطانيا صديقتهم ويتوقعون منها الحماية • وأن المشاعر المعادية لبريطانيا التى تبدو من وقت لاخر فى العالم العربى اشبه بالخلاف الذى ينشب بين الاباء والابناء عندما يصيح الاب متمنيا موت الابن •• ولكنه سوف يضرب أول من يقول آمين •• متمنيا فعلا موت الابن •

وقال الملك ابن سعود لى انه لا شىء يستطيع أن يمزق الصداقة العربية البريطانية الا اذا وقعت أعمال اضهاد أو شىء يهدد الاسلام أو مستقبل العرب • وقال انه من أجل الاسلام قد يحارب بريطانيا نفسها •

ثم انتقل الحديث الى فلسطين واليهود الذين قال عنهم ابن سعود انهم خطر على الاسلام وعلى الصداقة العربية الانجليزية وقال ابن سعود ان العرب كانوا يسيطرون على فلسطين طوال ١٤٠٠ سنة• وانهم لم يستولوا عليها من اليهود• ولكنهم استولوا عليها بحد السيف من الرومان • وسألنى ابن سعود •

ـ هل هناك دولة فى أوربا ترضى أن تتنازل عن أراضيها التى ظلت تحكمها طوال ١٤٠٠ سنة ؟

ثم قال ابن سعود : أنا لا أفهم لماذا يقتل النازى اليهود ويضهدونهم ثم تعاقبون العرب • ولا أفهم لماذا يتدخل أصدقاؤنا الامريكيون فى هذه المشكلة وبأى حق يتدخلون واذا كان الانجليز قد خاضوا الحرب العالمية الثانية وضحوا بكثير من الارواح من أجل العدالة والحق •• فهل يضحون بكل هذا من أجل اليهود فى فلسطين •• هل اليهود أقوى من النازى واليابانيين ؟

واستطيع أن أقول ان مجمل حديث ابن سعود كان بمثابة انذار ودى لبريطانيا • وقد ذكر أن روزفلت قال له ان اليهود ليست لهم أهمية حقيقية فى السياسة الامريكية لانهم يتحكمون فى ٣ ملايين صوت فقط من بين ٥٠ مليون صوت انتخابى • وقال روزفلت أيضا انه لا يخشى الرأى العام اليهودى فى بريطانيا وأنه سيحاول الا يلحق بالعرب أى ضرر • وقال ابن سعود ردا على سؤال انه لا يوجد يهودى واحد فى السعودية منذ ١٤٠٠ سنة • وأنه لم ير يهوديا واحدا طوال حياته •

تعليمات جديدة من لندن :

فى أواخر يناير تلقيت تلغرافين طويلين من لندن تعلن فيهما وزارة الخارجية قبول بريطانيا لمبدأ اعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ • وأن المباحثات الاولية يجب أن تجرى فى القاهرة قبل الموافقة على

سفر وفد مصرى الى لندن • وأن الملك فاروق يجب أن يوسع قاعدة الحكم بحيث تضم الوفد ايضا حتى يمكن أن ينضم حزب الوفد الى أى بعثة مصرية تسافر الى لندن لتعديل المعاهدة •• هذا فى مقابل وعد من بريطانيا الا تتدخل فى المشاكل الشخصية بين الملك فاروق والنحاس باشا •

وقابلت الملك فاروق • وابلغته بمحتويات البرقيتين • وابدى ترحيبه بهذه التطورات ، ولهذا كانت دهشتى كبيرة للغاية عندما ابلغنى المستر بيفن أن عمرو باشا السفير المصرى فى لندن وبطل الاسكواش راكيت المعروف أعرب لوزارة الخارجية عن خوفه وقلقه لموقف بريطانيا من محاولة عودة الوفد الى الحكم • وظللت حائرا فى فهم ماذا جرى أو كيف تجرى الاحداث •

وفى ذلك الوقت كانت الصحف فى بريطانيا تزعم اننى والملك فاروق لا يكلم أحدنا الاخر • ورجوت صديقا لى هو موريس هانكى كان عائدا لبريطانيا أن يلقى خطابا فى مجلس اللوردات او يكتب فى الصنداى تايمز ليشرح للشعب البريطانى الحقيقة كما رآها هنا وأن الملك فاروق على علاقة طيبة معى •

مقلب من فاروق :

وبعد مضى ٤ أيام حتى تلقيت نبأ كالقنبلة من لندن • فقد ابرق لى أرنست بيفن وزير الخارجية يقترح أن اقبل منصب المندوب الخاص لبريطانيا فى شرق اسيا وجنوبها على أن تغطى مهمتى كسفير متجول الملايو (ماليزيا الان) والهند الصينية ثم هونج كونج وجاوه • وقال بيفن فى برقيته انه يرى أن أقبل المنصب الجديد قبل بدء محادثات تعديل المعاهدة بدلا من الانتظار حتى منتصفها ثم أرحل من القاهرة •

وبعد الشعور الاول بالخجل من هذه البرقية اخذت افكر فيها كنوع من المجاملة ولكنى كلما فكرت اكثر ايقنت انها مؤامرة دبرها لى فاروق عن طريق عمرو باشا سفيره فى لندن للتخلص منى وطردى من القاهرة قبل بدء محادثات تعديل المعاهدة • ورغم كل شىء فانا أعتقد أن هذا التطور فيه راحة كبرى لى لانى أعتقد أن فرصة نجاح محادثات تعديل المعاهدة واحد فى الالف • ولكن الشىء الذى يؤلمنى ان هذا « الشلوت الى اعلى » الموجه الى سوف يضر بسمعتنا وكرامتنا فى مصر • لان البعض هنا سوف ينظرون اليه على انه انتصار للقصر على السفارة • وسوف يؤدى ذلك الى كارثة •

وبعثت ردى الى لندن فى برقيتين أعلن فى احداهما قبول النقل

من القاهرة وارسال بعض التفصيلات • وفى الثانية أبلغهم رأيى فى التطور والاثار السياسية التى سوف تترتب قطعا على هـذا القرار بالنسبة للمصريين وفى هذا الوقت بالذات كانت الاضطرابات على أشدها فى مصر ومظاهرات الطلبة لا تنقطع • ومناسبة عيد ميلاد فاروق فى ١١ فبراير كانت هناك أنباء عن مظاهرة كبرى معادية لبريطانيا • وقد أبلغت قلقى وخوفى من نشوب أعمال عنف ضد بريطانيا للنقراشى باشا •

وبعد ذلك زارنى صديق من لندن قال لى انى كنت مرشحا لمنصب نائب الملك فى الهند • وأن الملك جورج نفسه كان يؤيد ترشيحى • ويبدو أن واحدا فى حكومة العمال لم يوافق وخسرت هذا المنصب الكبير بفاروق ضئيل جدا فى الاصوات • واقترح بعضهم أن أعمل سفيرا فى واشنطون • ولكن هذا الاقتراح لم يوافق عليه أيضا •

وفى يوم عيد ميلاد الملك فاروق (١١ فبراير) تلقيت برقيـة عاجلة من وزير الخارجية ارنست بيفن يقول فيها ان الموقف فى جنوب شرق اسيا خطير للغاية .. وانني يجب الا أؤخر رحيـلى من مصر أكثر من ذلك •

القاهرة ـ ٦ مارس ١٩٤٦

اليوم الاخير :

ذهبت لتوديع اسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء الجديد • وشكوت له مما جرى للمؤسسات البريطانية فى مصر فى اليوم السابق • وقلت اننى كنت أتمنى أن تكون هذه الزيارة لمجرد مصافحته قبل رحيلى وتمنياتى له بالتوفيق • ولكنى مضطر أن الفت نظره للحوادث الخطيرة التى وقعت من المتظاهرين ضد المنشآت البريطانية وضد الرعايا البريطانيين فى الاسكندرية يوم ٤ مارس وكيف أدت هـذه الحوادث الى مصرع جنديين بريطانيين •

وبعد الظهر توجهت الى قصر عابدين لحضور حفل غداء أقامه الملك فاروق لوداعى • وكانت تبدو عليه علامات الود والصداقة نحوى ولكن هذا فى الظاهر فقط • وانا واثق انه رغم كل تحياته وتمنياته كان فى منتهى السعادة لرحيلى • ومما لا شك فيه أن قلبه يرقص فرحا وهو يرانى أعطيه ظهرى وأغادر مصر كما هو محدد بعد ثلاثة أيام •

ويقول اخر سطر فى مذكرات كيلرن عن فاروق :

« انه ممثل كبير » !

فهرس

صفحة

- كلمة قبل ان تقرأ هذه المذكرات
  بقلم : احسان عبد القدوس ٣
- حكاية ٢ مليون كلمة ٧
- غليان فى مصر ٩
- جواسيس فى قصر المنتزه ٣٧
- سحب الحرب العالمية الثانية تهب على العالم ٤٧
- عندما تقدم روميل نحو مصر ٥٧
- الانذار البريطانى ٧٥
- وبدأ الانتقام ٩١
- الايام الاخيرة ١١٧



هذه المذكرات لها قصة :

● عندما وصل المندوب السامى البريطانى الى مصر فى يناير ١٩٣٤ .. كان هتلر قد وصل الى كرسى الحكم فى ألمانيا . وكان كل شىء يبدو هادئا فى القاهرة .

● ولكن سحب الحرب كانت تتجمع فى المنطقة . والعواصف السياسية والعسكرية كانت على وشك أن تهب على الشرق الاوسط وافريقيا .

● وفى هذا الوقت كانت الحياة السياسية فى مصر يسيطر عليها ٣ مصادر : القصر والاحزاب والسفارة . وكان لورد كيلرن يقول ان الوضع أشبه ببسكليته بثلاث عجلات وأنه هو الذى يحافظ على توازنها .

● واستمر السفير مشغولا بلعبة القط والفار بينه وبين فاروق حتى استطاع الملك أن يضربه الشلوت الاخير ويقنع لندن بسحبه من مصر . ولم ينس كيلرن هذه ... آخر أيامه . وظل يهاجم مصر فى الصحف ... اللوردات حتى مات . وهذه المذكرات تحكى قص... مصر .

كمال ...

الثمن ١٢ قرشا